



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الإسلامي
دراسات عليا

التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي الفاطمي

(دراسة تاريخية عقدية)

أطروحة تقدمت بها الطالبة

منى يوسف ناصر

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

الإسماعيلي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

حيدر محمد عبد الله الكربلائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الاحزاب، الآية ٥٣

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة المعنونة " التناويل الباطني في المنظور الإسماعيلي الفاطمي (دراسة تاريخية عقيدية)" التي تقدمت بها الطالبة منى يوسف ناصر، جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

التوقيع
المشرف: أ. د. حيدر محمد عبد الله الكربلائي

التاريخ: ٢٥/٥/٢٠٢٥ م

توصية رئيس قسم التاريخ

بناء على التوصيات المتوافرة، أرشح الأطروحة للمناقشة

التوقيع :
الاسم : ٣٨٨٨ محمد هادي بصريه
رئيس قسم التاريخ:
التاريخ : ٢٣/٥/٢٠٢٥ م

اقرار الشهير الشهوي

أشهد أن الاطروحة الموسومة بـ " التاويل الباطني في المنظور الإسماعيلي
الفاطمي (دراسة تاريخية عقديّة) " في كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء،
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي قد أجريت
تقويمها فوجدتها صالحة وسليمة لغوياً ولأجله وقعت.

التوقيع: 

الاسم: د. كريمة نواس محمّد

التاريخ: ٢٥/٦/٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا اطلعنا على هذه الأطروحة المعنونة " التاويل
الباطني في المنظور الإسماعيلي الفاطمي (دراسة تاريخية عقديّة)" وقد ناقشنا
الطالبة (منى يوسف ناصر) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ووجدنا أنها جديرة
بالقبول لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي بتقدير: (جيد جداً)

التوقيع: 
الاسم: أ.د غنية ياسر كباشي
عضوا
التاريخ: ٨ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

التوقيع: 
الاسم: أ.د أياد عبد الحسين صيهود
رئيس اللجنة
التاريخ: ٩ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

التوقيع: 
الاسم: أ.د سلوى حسن عيدان
عضوا
التاريخ: ٨ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

التوقيع: 
الاسم: أ.د نجلاء كريم مهدي
عضوا
التاريخ: ٩ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

التوقيع: 
الاسم: أ.د حيدر محمد عبد الله
عضوا ومشرفاً
التاريخ: ٨ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

التوقيع: 
الاسم: أ.د محمد مهدي علي
عضوا
التاريخ: ٩ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

وقد صدقت من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء
التوقيع: 
أ. د هادي شندوخ حميد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

التاريخ: ٩ / ٢٥ / ٢٠٢٥ م

الإهداء

أنتَ الكتاب

دل الدليل بأنك الأيمانُ

ذا قول طه جاء فيه بيان ...

أنتَ الكتاب وما حوى تأويله

التوراة، والإنجيل، والقرآن...

أنتَ السماء وما حوت أفلاكها

النجم أنتَ، وواحد القمران...

لازال حُبك خير أعمال الورى

يمحو الذنوب ويُرجح الميزان...

أُنْ قلتُ اسمك يا علي مردداً

تدنو الجنان، وتغلق النيران...

ولأنك ملاذي الآمن الذي الجأ اليه عندما تعصف بي الهموم، والشدائد...

ولأنك سندي الأول والأخير بعد الله...

ولأنك بابُ الله وبابُ رسوله الكريم، وحجابه الآمن...

ولأنك فارس المعارك القتالية، والكلامية، وحامل راية التأويل...

إلى حيث مقامك السامي، وحضرتك العلية اهدي هذا الجهد الممتزج بشغف
المعرفة...

إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

شكر وعرفان

امثالاً لقوله تعالى: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}**، يطيبُ لي وقد أكملت مسيرتي البحثية العلمية أن ابدأ أولاً بشكر المنعم الذي تفضل عليّ، ووفّقني لأتم عملي على أكمل وجه بما يرضيه تعالى من أمانة النقل، والكتابة، والبحث، ولا يسعني أيضاً ألا أن استهل كلمات شكري بالصلاة على نبينا الهادي محمد واله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بتصديق وإحسان إلى يوم الدين.

كما أتقدم بخالص شكري، وامتناني إلى الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي الذي تفضّل عليّ باختيار الموضوع، والأشراف، وحتى إكمال عملنا هذا، ولم يبخل بالجهد والنصيحة، والمشاورة العلمية، أو تصويب المعلومات، وتهذيبها، وتوفير المخطوطات النادرة من مكتبته الخاصة، وكان لي خير عون، ومرشد لهذه المسيرة العلمية الزاخرة بالجواهر المعرفية، داعيةً له بمزيد من التألق والتوفيقات الإلهية لما يحب ويرضى، وأن يجعل الله هذا الجهد في ميزان حسناته.

ومن واجب العرفان تقديم الشكر والتقدير إلى رئاسة قسم التاريخ المتمثلة بشخص الأستاذ المساعد الدكتور محمد مهدي الشبري، ومقرر القسم المدرس الدكتور حيدر الحسيناوي لتقديمهم المساعدة طيلة فترة الدراسة فجزاهم الله خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر والثناء إلى اساتيدي الفضلاء الذين نهلت منهم الكثير خلال سنوات الدراسة، والبحث واخص منهم بالذكر: الأستاذ الدكتور حسين القطب، والأستاذ الدكتور عمار محمد يونس، والأستاذ الدكتور أياد الخفاجي، والأستاذ الدكتور ميثم مرتضى نصر الله، والأستاذ الدكتور هاشم الكعبي، والأستاذ الدكتور زمان عبيد وناس، والأستاذ الدكتور نعيم عبد جودة، والأستاذ الدكتور عباس جبير، والأستاذة الدكتورة انتصار لطيف السبتي، وجميع الأساتذة الأكارم في قسم التاريخ.

ويطيب لي أن أسجل شكري وعرفاني إلى الخبيرين العلمي، واللغوي لما سببذلانه من جهد في قراءة، وتقويم الأطروحة.

وشكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمون لما سببذلونه من جهد بدءاً من قراءة الأطروحة حتى تسجيل الملاحظات التي تزيد من رصانة الدراسة، فجزاهم الله كل خير.

وأتقدم أيضا بالشكر الجزيل لكل المكتبات التي تزودت، ونهلت منها معلوماتي بكوادرها جميعا.

كما وأتقدم بالشكر والامتنان لزملائي وزميلاتي في السنة التحضيرية على كل قول أو جهد قدموه لي كما أخصُ بالشكر أختي وصديقتي ورفيقة رحلتي الدراسية التي شاركتني ذات الاختصاص والأشراف والتي كنت اقضي معها الساعات في المناقشات العلمية الهادفة والتي لم تبخل على بالتشجيع والمساعدة وكانت خير أخت وصديقة الأستاذة ببداء محمد عبد، لها مني كل المحبة والاحترام.

وأتقدم بوافر الشكر والامتنان والحب إلى عائلتي الكريمة التي تحملت معي كل الجهد والمشقة، والذين لولا وجودهم لما استطعت إكمال هذه المسيرة العلمية، بدءا بأمي الغالية، والتي اسأل الله تعالى أن يمنَّ عليها بوافر الصحة، والعافية، والتي تكبدت كل الصعوبات، وسهرت على راحتنا حتى أوصلتنا إلى ما نحن عليه، فهي صاحبة الإنجاز الحقيقي، إذ لو لا وجودها المبارك لما وصلنا...أخواني الأعزاء جناحي اللذان أطير بهما، بقية من والدي رحمه الله، واللذان لم يبخلا علي يوماً لا بالجهد، ولا بتحمل الكثير من عناء الدراسة، ولا بالتشجيع، والثناء فجزاهم الله عني كل خير، وحفظهم الله لي خيمة، وسورا، ووفقهم لكل ما يحب، ويرضى... أخواتي الحبيبات ملجأ، وانس احاديثي لكم مني كل الحب والدعاء... كل من وقف معي، أو شجعني، أو دعى لي بدعوة خالصة، لكم مني كل الشكر والتقدير.

الباحثة

قائمة المختصرات والرموز المستخدمة في الأطروحة

الرمز	معناه
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	تاريخ الوفاة
د.ت	دون تاريخ طبع
ج	الجزء
بلا	بلا مطبعة
ص	الصفحة
صص	صفحات متتالية
د. م	دون مكان طبع
ط	الطبعة
م	مجلد
P	page
pt.	part
Vol	volumes
Ibid	Ibidom
J.R.A.S	Journal of the Royal Asiatic Society
E.d.i	Encyclopedie de l' islam C2 ene edition
B.S.O.A.S	Bulletin of the School of oriental and African Studies

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	
إقرار المشرف	
الإهداء	
شكر وتقدير	
قائمة الرموز والاختصارات	
المحتويات	أ - ح
المقدمة	١٢-١
الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي	١٣-٦٦
المبحث الأول: التعريف بالتأويل لغةً، واصطلاحاً	١٤-٢٢
أولاً: التأويل، واشتقاقاته اللغوية	١٤-١٧
ثانياً: التأويل اصطلاحاً	١٧-٢٢
المبحث الثاني: علمي الظاهر، والباطن ومدلولاتهما اللغوية، والاصطلاحية	٢٣-٣٤
أولاً: علم الظاهر:	٢٣-٢٧
١- الظاهر في اللغة	٢٤-٢٤
٢-: الظاهر في الاصطلاح	٢٤-٢٨
ثانياً: علم الباطن	٢٨-٣٤
١-الباطن في اللغة	٢٨-٢٩
٢-الباطن في الاصطلاح	٢٩-٣٤
المبحث الثالث: موقف الفرق والمذاهب الإسلامية من فكرة التأويل	٣٥-٥٠
أولاً: أصحاب الاتجاه الأول الرافض لفكرة التأويل	٣٦-٤٣
ثانياً: أصحاب الاتجاه الثاني القائلين بجواز التأويل أو عدم جوازه	٤٣-٤٦

٥٠-٤٦	ثالثاً: أصحاب الاتجاه الثالث القائلين بوجوب التأويل
٦٦-٥١	المبحث الرابع: أهمية، ومشروعية التأويل في الفكر الإسلامي
٥٥-٥١	أولاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به
٥٧-٥٦	ثانياً: تنزيه الأنبياء
٥٩-٥٧	ثالثاً: عدم الجمود على النص والخروج من ظاهر التفسير
٦٢-٥٩	رابعاً: دفع إشكالية وجود التعارض أو التناقض في القرآن الكريم
٦٥-٦٢	خامساً: شمولية النص واستمراريته وحيويته
٦٦-٦٥	سادساً: الوصول إلى الغاية المبتغاة (حقيقة القرآن السامية ومعارفه الخالدة)
١١٩-٦٧	الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)
٨٥-٦٨	المبحث الأول: التأويل في القرآن الكريم، ومدلولاته
٧٣-٦٨	أولاً: التأويل في القرآن، ومعانيه
٨٣-٧٣	ثانياً: مراحل التنزيل والتأويل للقرآن الكريم
٧٨-٧٥	١-مرحلة التنزيل
٨٣-٧٨	٢-مرحلة التأويل
٨٤--٨٣	ثالثاً: التعريف بمفهوم التأويل في القرآن
٨٥-٨٤	رابعاً: درجات ومراتب التأويل
٩٦-٨٦	المبحث الثاني: التأويل في السنة النبوية الشريفة، ومدلولاتها
٨٧-٨٦	أولاً: تعليم التأويل ونقله إلى أوصيائه وخلفائه
٩٦-٨٧	ثانياً: نماذج تأويلية للرسول (صلى الله عليه واله)
٩٠-٨٧	١-تأويل الآيات
٩٦-٩٠	٢-تأويلات أخرى
١١٩-٩٧	المبحث الثالث: التأويل وأهميته في روايات أهل البيت عليهم السلام

٩٧-٩٩	أولاً: علم التأويل عند الأئمة (عليهم السلام)
٩٩-١٠٢	ثانياً: حملة التأويل
١٠٢-١٠٦	ثالثاً: مصادر التأويل عند أهل البيت (عليهم السلام)
١٠٦-١١٣	رابعاً: مرويات أهل البيت (عليهم السلام)، في التأويل
١١٣-١١٩	خامساً: المعالجات التأويلية عند أهل البيت (عليهم السلام)
١٢٠-١٦٧	الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي
١٢١-١٣٨	المبحث الأول: مفهوم التأويل وأهميته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي
١٢٢-١٢٦	أولاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية السياسية
١٢٦-١٣٢	ثانياً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية العقيدة
١٣٢-١٣٤	ثالثاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية التاريخية
١٣٤-١٣٨	رابعاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية الفكرية (العلمية)
١٣٩-١٥٧	المبحث الثاني: نظرية المثل والممثل ومدلولاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي
١٣٩-١٤١	ثانياً: المثل والممثل في اللغة والاصطلاح
١٣٩-١٤٠	١- المثل في اللغة والاصطلاح
١٤٠-١٤١	٢- الممثل في اللغة والاصطلاح
١٤١-١٤٤	أولاً: مفهوم المثل والممثل في القرآن الكريم
١٤٥-١٤٩	ثالثاً: نظرية الفيض الأفلاطوني والعقول العشرة
١٤٩-١٥٧	رابعاً: المثل والممثل في الفكر الإسماعيلي الفاطمي
١٥٨-١٦٧	المبحث الثالث: الرموز والإشارات ومدلولاتهما التأويلية في الفكر الإسماعيلي الفاطمي
١٥٨-١٦١	أولاً: الرمز، والإشارة في اللغة والاصطلاح
١٥٨-١٥٩	١- الرمز في اللغة والاصطلاح

١٦١-١٥٩	٢-الإشارة في اللغة، والاصطلاح
١٦٤-١٦١	ثانياً: الرمز، والإشارة في القرآن الكريم
١٦٧-١٦٤	ثالثاً: الرمز والإشارة وتأويلاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي:
٢٢٥-١٦٨	الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي
١٩٠-١٧٠	المبحث الأول: نماذج من تأويل القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام):
١٧٢-١٧١	أولاً: توطئة
١٧٥-١٧٢	ثانياً: نماذج من تأويل الحروف المقطعة في القرآن الكريم:
١٨٢-١٧٥	ثالثاً: نماذج من تأويل بعض النصوص القرآنية:
١٩٠-١٨٢	رابعاً: نماذج من تأويل أحاديث السنة النبوية، وروايات أهل البيت
١٨٧-١٨٣	١-نماذج تأويلية للأحاديث النبوية الشريفة:
١٩٠-١٨٧	٢-نماذج من تأويل أحاديث أهل البيت عليهم السلام
٢٠٦-١٩١	المبحث الثاني: نماذج من تأويل التكاليف العبادية الشرعية
١٩٣-١٩١	أولاً: توطئة
١٩٦-١٩٣	ثانياً: تأويل الطهارة
١٩٩-١٩٦	ثالثاً: تأويل الصلاة
٢٠١-١٩٩	رابعاً: تأويل الزكاة
٢٠٢-٢٠١	خامساً: تأويل الصوم
٢٠٥-٢٠٢	سادساً: تأويل الحج
٢٠٦-٢٠٥	سابعاً: تأويل الجهاد
٢٢٥-٢٠٧	المبحث الثالث: المقاصد التأويلية الأصولية، والعامة عند الفرقة الإسماعيلية الفاطمية (نماذج مختارة)
٢١٨-٢٠٧	أولاً: التأويل في الأصول

٢١٠-٢٠٧	١-التوحيد:
٢١٣-٢١٠	٢-النبوة:
٢١٥-٢١٣	٣-الوصاية:
٢١٧-٢١٥	٤-الإمامة:
٢١٨-٢١٧	٥-روح القدس:
٢١٨	٦-الوحي
٢٢٥-٢١٨	ثانياً: المقاصد التأويلية العامة
٢٢٠-٢١٩	١-مفهوم إبليس في التأويل:
٢٢٠	٢-البحر، والسفينة:
٢٢١-٢٢٠	٣-جزيرة صاغون:
٢٢١	٤-تأويل الذهب، والفضة:
٢٢١	٥-حد العلم:
٢٢٢	٦-تأويل القلادة، والطوق:
٢٢٢	٧-تأويل التراب:
٢٢٢	٨-مفهوم القلة، والكثرة:
٢٢٣	٩-تأويل الطوفان:
٢٢٣	١٠-تأويل الملكان: مبشر وبشير؛ ومنكر ونكير:
٢٢٤-٢٢٣	١١-تأويل الأيام النحسات، والأيام المشرفات:
٢٢٤	١٢-تأويل اللحم
٢٢٤	١٣-تأويل أم داود:
٢٢٥-٢٢٤	١٤-رمز الملح:
٢٢٥	١٥-تأويل الجنة والنار:

٢٢٥	١٦-تأويل البعث، والقيامة:
٢٢٩-٢٢٦	الخلاصة
٢٤٦-٢٣٠	الملاحق
٢٣١	ملحق رقم ١: شجرة بني هشم وأئمة الشيعة الأوائل
٢٣٢	ملحق ٢: دائرة الظاهر والباطن
٢٣٣	ملحق ٣: عالم لوحدة من جهة التركيب
٢٣٤	ملحق ٤: عالم الدين من جهة التركيب
٢٣٧-٢٣٥	ملحق ٥: خطبة الإمام علي (ع) في بيان معنى التوحيد
٢٣٩-٢٣٨	ملحق ٦: دائرة خط تأليف الشريعة
٢٤٠	ملحق ٧: دائرة الأيمان والكفر
٢٤١	ملحق ٨: مراتب الوجود عند إخوان الصفا
٢٤٢	ملحق ٩: دائرة العالم العلوي والعالم السفلي
٢٤٣	ملحق ١٠: دارة تبين أن أفضل الرسالة أصلها عقل
٢٤٥-٢٤٤	ملحق ١١: نموذج لتأويل معنى الجن، ومعادهم، ومساكنهم واخرتهم
٢٤٦	ملحق ١٢: قصيدة الداعي المؤيد في الدين الشيرازي إلى الخليفة المستنصر
٢٩٢-٢٤٧	قائمة المصادر والمراجع والدوريات
	Abstract

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نطاق البحث، وتحليل المصادر

يمثل التأويل ركناً، وأصلاً مهماً في الإسلام، إذ صرحت به الآيات القرآنية، والروايات التاريخية، ويعدُّ المرحلة الثانية من مراحل الفهم القرآني، بعد مرحلة التنزيل، وتتفق أغلب الفرق الإسلامية على أصالة التأويل في الإسلام، إلا أنهم اختلفوا في مسائل وجوبه، أو استحبابه، أو تحريمه، بعد انتقال الرسول (صلى الله عليه واله) إلى بارئته (جل وعلا)، مستندين في ذلك على حجج، وذرائع مختلفة.

وكان من الثابت في التاريخ الإسلامي في عهوده الأولى أن الصحابة كانوا على معرفة بعلوم التأويل، وكانوا يتناولونها كما كانوا يتعلمونها، واستمر هذا الوضع حتى تسلط الأمويون على الخلافة، إذ قام معاوية بن أبي سفيان بإصدار أوامره بمنع التأويل؛ وذلك لأسباب سياسية، ودينية، ويعزى ذلك لأرتباط التأويل بأهل البيت (عليهم السلام)، بشكل عام، وبالإمام عليّ (عليه السلام)، وفضائله بشكل خاص، وهذا يتضح من خلال محاوره ابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان حول مسألة تحريم القول بالتأويل^(١).

ولذلك تنطلق أهمية التأويل عند الفرقة الإسماعيلية في أوائل انطلاقتها من كونها فرقة من الفرق الشيعية، والتي تؤمن بأن الدعوة الإسلامية تحتوي بين طيات معارفها، وشرائعها على العديد من الحقائق الباطنية، والتي لا يمكن الوصول إليها بأي حال من الأحوال بواسطة العقل البشري فحسب، بل لابد من وجود مرجعية فكرية، وعقائدية عليا يرجعون إليها، وتتمثل هذه المرجعية بالإمامة، والتي كانت من أول شروطها أن يكون من يتولى هذا المنصب من أهل بيت محمد وآل محمد (عليهم السلام)، حصراً، وهي وحدها القادرة على تأويل حقائق الأشياء و بواطن الأمور. ويرى العديد من الباحثين أن التأويل الباطني عند الفرقة الإسماعيلية بدأت أول ملامح، وإرهاصات ظهوره في حدود بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إذ إنه بدأت تتشكل في الساحة بؤادر التأويل الباطني، والرمزي لآيات مخصوصة من القرآن، وقسم الموارد

(١) الهلالي، سليم بن قيس (ت: ٧٦هـ / ٦٩٥م)، الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط ١، (قم، الهادي، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، صص، ٧٨٢-٧٨٣.

الحرام، والحلال في الشريعة، وبدأت تظهر على الساحة مؤلفات لعدد من الدعاة، ومنهم الداعي عبدان (ت: في القرن الثالث الهجري)، وجعفر بن منصور اليماني (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، فضلاً عن مصنفات، أو ما يُعرف برسائل إخوان الصفا، والذين كان لهم الدور الكبير في نشر المعارف التأويلية، وعُدَّ التأويل جزءاً لا يتجزأ من مبادئ الدعوة الإسماعيلية، بل إنه الأساس الذي قامت عليه دعوتهم عقدياً، وسياسياً وتاريخياً، وثقافياً، وعلمياً. ولا بد من الإشارة إلى أنهم قد وصلوا إلى مراتب متقدمة في عملية الاستنباط، والتأويل الباطني للنصوص، لاسيما بعد مزجه بطابع فلسفي مميز.

أن الفكر الإسماعيلي كان قد جعل أساس الدين ينطلق من عملية المماثلة، أو ما تُعرف بنظرية الظاهر، والباطن إذ إنه جعل لكل ما موجود في العالم الأرضي من حدود تماثل، أو تشابه للحدود الروحانية العلوية، فمثلاً النبي (صلى الله عليه واله)، في الحد الأرضي يماثل السابق في الحد العلوي، والوصي في الحد الأرضي يماثل التالي في الحد العلوي، وهكذا التوالي. فالظاهر هو ما يبدو للعيان أو، الجزء المحسوس؛ أما الباطن فهو الخفي المستتر، والذي يستدل على وجوده من خلال الظاهر.

أما مسألة تفسير القرآن الكريم فإن الإسماعيلية تذهب إلى أن هذه المرحلة قد تمت وأُكملت في عهد الرسول (صلى الله عليه واله)، وهي من مستلزمات دور النبوة، وقد أتمها بأكمل وجه، أما المرحلة الثانية فهي من مخصصات الإمام عليّ (عليه السلام)، والأئمة من بعده، وهي باقية فيهم، ولذلك فإنهم يعتمدون على تأويل الآيات القرآنية والروايات، والأحداث. أما مسائل التفسير فيشيرون إليها أحياناً، وأحياناً ينتقدون تفاسير الفرق الأخرى، وخصوصاً في المسائل التي تتعلق بالتجسيم، أو عدم تنزيه الله تعالى.

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع؛ وذلك لارتباطه بكل جوانب، ونواحي المذهب الإسماعيلي، إذ لا نجد جزئية، أو منحى لا يتداخل فيه الجانب التأويلي، ألا أننا لم نجد دراسة أكاديمية في تخصصنا تتناول هذا الموضوع المهم، والخطير، والذي يعد الركن الأساس للمذهب الإسماعيلي، والذي تميزوا من خلاله عن غيرهم، حتى تُسبَّ إليهم، ونُسبوا إليه، وإن كل دراسة تتعلق بالمذهب الإسماعيلي لا يمكن أن يُكتب لها النجاح أن لم تجعل من التأويل جانباً من دراستها، ولذلك جاء اختيارنا للموضوع لأصالته أولاً، فضلاً عن أهميته في فهم المذهب الإسماعيلي الفاطمي ثانياً؛ كونه من الموضوعات البكر التي لم تدرس، وحتى وأن درست فأنها كتبت بأقلام معادية لهذه الفرقة، ولحيوية الموضوع، ودقته، وامتزاجه بالطابع الفلسفي، كما

ويمكن القول أن التأويل الشريان النابض بالمعاني المتجددة، وهذا ما عزز من اختيارنا لهذا الموضوع الأصيل في عنوانه، ومادته العلمية.

وقد ترك الإسماعيلية الفاطميون تراثاً فكرياً مهماً، وهائلاً، رغم ما تعرضوا إليه على مراحل التاريخ إلا أن المكتبة الإسماعيلية ظلت غنية بإشعاعها، الفكري، والعلمي من خلال مصنفات فلاسفتها ومفكريها، وفي مقدماتهم أخوان الصفا، وأبن حوشب، والقاضي النعمان، والسجستاني، والكرماني، والمؤيد الشيرازي، وغيرهم الكثير من أقطاب الفكر الإسماعيلي، وكان هذا سبباً مهماً آخر يستدعي منا البحث، والدراسة فضلاً عما تمثله عقيدة وجوب التأويل عند الإسماعيلية من دور هام في إثبات الإمامة، وتخصيصها في الإمام علي (عليه السلام)، وذريته مستندين في ذلك على ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢)، إذ أن الراسخين في العلم هم الإمام علي (عليه السلام)، والأئمة من ذريته، ولذلك فإن مسألة وجوب التأويل وحصره في الإمام علي (عليه السلام)، وذريته هو ترسيخ لمبدأ الإمامة عليهم بالنص.

وقد جاء اختيارنا لموضوع الدراسة خلال دراستنا للفكر، والعقيدة الإسماعيلية، إذ اطلعت على بحثين للدكتور حيدر الكربلائي الأول كان بعنوان "التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي، (دراسة تاريخية عقائدية)"، والثاني كان بعنوان "المنهج التأويلي عند القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) دراسة في رسالته مفاتيح النعمة" ومن خلال هذه المطالعة شغل ذهننا الأهمية الاستثنائية للتأويل، وفي ضوء ذلك جاء اختيارنا لهذا العنوان كدراسة أكاديمية لبيان التأويل، وأهميته، ومعانيه، وكل ما يتعلق ببيانه.

منهج البحث:

اقتضت حاجة الدراسة تقسيمها على أربعة فصول، تسبقها مقدمة، وتتلوها خلاصة تتضمن النتائج التي توصلت إليها الباحثة خلال رحلة البحث، والدراسة، والملاحق، وقائمة بأهم المصادر، والمراجع المعتمدة.

تضمن الفصل الأول: "التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي" أربعة مباحث، تضمن المبحث الأول: التعريف بالتأويل لغة، واصطلاحاً، عرضت فيه، التأويل، واشتقاقاته اللغوية، والتأويل اصطلاحاً، أما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه علمي الظاهر، والباطن

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

ومدلولاتهما اللغوية، والاصطلاحية، إذ بات من الضروري معرفة المدلولات اللغوية لهذه المعاني للتفريق بين العلمين، بينما تضمن المبحث الثالث: موقف الفرق، والمذاهب الإسلامية من فكرة التأويل، إذ قسمته على أولاً: أصحاب الاتجاه الأول الرافض لفكرة التأويل، وثانياً: أصحاب الاتجاه الثاني القائلين بجواز التأويل، أو عدم جوازه، وثالثاً: أصحاب الاتجاه الثالث القائلين بوجوب التأويل، إذ يمثل هذا المبحث الآراء المختلفة حول مسألة التأويل، مع نقل نصوص لكلام علماء الفرق، والمذاهب، وحججهم وأدلتهم الشرعية على ما يعتقدون، وفق سياق تاريخي، أما المبحث الرابع فكان بعنوان: أهمية، ومشروعية التأويل في الفكر الإسلامي، إذ تضمنت دراسته كلاً مما يأتي، أولاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به ، ثانياً: تنزيه الأنبياء، ثالثاً: عدم الجمود على النص، والخروج من ظاهر التفسير، رابعاً: دفع إشكالية وجود التعارض، أو التناقض في القرآن الكريم، خامساً: شمولية النص، واستمراريته، وحيويته، سادساً: الوصول إلى الغاية المبتغاة (حقيقة القرآن السامية ومعارفه الخالدة).

وجاء الفصل الثاني بعنوان: "التأويل في القرآن والسنة، وروايات أهل البيت (عليهم السلام)" الذي تضمن ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول تحت عنوان التأويل في القرآن الكريم، والذي اشتمل على المفردات الآتية: التأويل في القرآن، ومراحل التنزيل والتأويل للقرآن الكريم ، والتعريف بمفهوم التأويل في القرآن، ودرجات، ومراتب التأويل، وكان المبحث الثاني بعنوان: التأويل في السنة الشريفة، إذ تكون من أولاً: تعليم التأويل ونقله إلى أوصيائه وخلفائه، وثانياً: نماذج لتأويلات الرسول (صلى الله عليه واله)، والذي بدوره اشتمل على نقطتين: أولاًها تمثلت بتأويل الآيات، والأخرى تضمنت تأويلات أخرى، وكان المبحث الثالث: التأويل وأهميته في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، وقد تضمن :علم التأويل عند الأئمة (عليهم السلام)، وحملة التأويل، والتعريف بهم، و مصادر التأويل عند أهل البيت (عليهم السلام)ومرويات أهل البيت (عليهم السلام)، في التأويل، بالإضافة المعالجات التأويلية عند أهل البيت (عليهم السلام). إذ مثل هذا الفصل دراسة تاريخية للتأويل وفقاً للقرآن الكريم، والسنة المشرفة، وروايات أهل البيت (عليهم السلام).

وكان الفصل الثالث بعنوان: "التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي" الذي تضمن ثلاثة مباحث، إذ جاء المبحث الأول بعنوان: مفهوم التأويل، وأهميته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي، واشتمل على الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية السياسية، والفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية العقديّة، وكذلك الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية التاريخية، بالإضافة إلى الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية

الفكرية(العلمية)، أما المبحث الثاني: فكان تحت عنوان نظرية المثل والممثل ومدلولاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي، وتضمن مفهوم المثل والممثل في القرآن الكريم، والمثل والممثل في اللغة والاصطلاح، وكذلك اشتمل على نظرية الفيض الأفلاطوني والعقول العشرة، والمثل والممثل في الفكر الإسماعيلي الفاطمي، وكان المبحث الثالث تحت عنوان : الرموز والإشارات ومدلولاتهما التأويلية في الفكر الإسماعيلي الفاطمي، واشتمل على الرمز، والإشارة في القرآن الكريم، والرمز، والإشارة في اللغة والاصطلاح، و الرمز والإشارة وتأويلاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي.

فيما خصّصتُ الفصل الرابع لدراسة: "نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي" إذ جاء بثلاثة مباحث، وكان المبحث الأول بعنوان: نماذج من تأويل القرآن، والسنة، وروايات أهل البيت (عليهم السلام): وقد تضمن على توطئة، بالإضافة إلى نماذج من تأويل الحروف المقطعة في القرآن الكريم: ، و نماذج من تأويل بعض النصوص القرآنية، وأيضاً نماذج من تأويل أحاديث السنة النبوية، وروايات أهل البيت، وخصّصتُ المبحث الثاني لدراسة: نماذج من تأويل التكاليف العبادية الشرعية، وتضمنت دراسته، توطئة، ثم دراسة تأويل التكاليف الشرعية، وهي على التوالي: تأويل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، وكان المبحث الثالث: المقاصد التأويلية الأصولية، والعامّة عند الفرقة الإسماعيلية الفاطمية(نماذج مختارة)، وقد تضمنت دراسته: أولاً: التأويل في الأصول، واشتمل على التوحيد، والنبوة، والوصاية والإمامة، وروح القدس، والوحي، وثانياً: المقاصد التأويلية العامة، وتشمل مفهوم إبليس في التأويل، والبحر، والسفينة، وتأويل الذهب، والفضة، حد العلم، وتأويل القلادة، والطوق، وغيرها من التأويلات.

ولا يخفى على الباحثين الكرام في الشأن الإسماعيلي، وغيره صعوبة الموضوع، وتداخله مع غيره من العلوم مثل الفلسفة، وعلم الكلام، والعقيدة، والفقه، والحديث، والتفسير، وعلوم القرآن، واللغة، بالإضافة إلى كتب الفرق والمذاهب، وكل هذا يشغلت الباحثة، ويتطلب منها تركيزاً، ووقتاً طويلاً في البحث، وجمع المعلومة، وتهذيبها، وتلخيصها قبل تدوينها.

ولا يخفى أن جلّ علماء الطائفة الإسماعيلية كانوا فلاسفة، وأطباء، وعلماء فلك، وقضاة، وهذا يزيد من صعوبة الجوانب التي يطرحونها في كتبهم، لا سيما أنها من المواضيع التي تُعرف بعلم الحقيقة، والتي تحتاج إلى ذكاء، وفهم، وتركيز، ولذلك تطلب الموضوع من الباحثة الكثير من القراءة، والتركيز للوصول إلى فهم المعلومة قبل تدوينها، إذ أن مثل هكذا

موضوعات ليست سردية لا تستدعي جمع المعلومات فحسب، وإنما هي موضوعات عقلية تتطلب شدة التركيز، والدقة، والفهم قبل تدوين المعلومة.

وكان لثقة اساتيزي بنجاحي، وتشجيعهم، ودعمهم المستمر لي، وعلى وجه الخصوص أستاذي المشرف خير دافع، وعون لكي أخوض هكذا نوع من الدراسة، والبحث.

نقد المصادر، وتحليلها

اعتمدت في هذه الدراسة على عددٍ كبيرٍ من المصادر والمراجع، التي اتكأت عليها الدراسة في فصولها المختلفة، وبعض هذه المصادر كان معاصراً للحقبة التي تم الكتابة عنها، وبعضها كان قريباً منها، هذا فضلاً عن عدد من المراجع والدراسات الحديثة التي خدمت البحث من خلال آراء ووجهات نظر مؤلفيها، ومن أبرز هذه المصادر كان التالي:

أولاً: المخطوطات

اعتمدت الأطروحة على الكثير من المخطوطات من ضمنها مخطوطات إسماعيلية تخص المذهب الإسماعيلي وعقائده، وكان كانت لها الدور الأساس في إغناء البحث وسد ما فيه من الثغرات، فمن المخطوطات الإسماعيلية مخطوط "تأويل الزكاة" و " الفترات والقرانات"، وهي للداعي الإسماعيلي الكبير جعفر بن منصور اليماني إذ بيّن المخطوط الأول جوانب مهمة من التأويل الإسماعيلي، لفريضة الزكاة في جزئها العلمي، وحقيقتها المراد منها، إذ يتوضح من خلال المخطوط أن الزكاة ليست مجرد فريضة لدفع السهم المخصص لها، وإنما لها أبعاد عملية أخرى تخرج عن مفهومها العبادي المعتاد لتتشكل في معاني أخرى؛ فمفهوم الزكاة الحقيقي يخرج إلى أبعد من القضايا الفقهية، ليشمل المسائل العقدية، فتكون الزكاة بمعنى الأساس، ودفع أموال الزكاة بمثابة الولاية، والمحبة التي تمنح للأساس، ومثلما تمثل الزكاة طهارة للأموال، كذلك فإن الولاية والمحبة الممنوحة للأساس بمثابة طهارة للأرواح، والنفوس، وبلا أدنى شك فإن هذه طريقة جديدة في فهم الأفعال العبادية، وطريقة جديدة لمعالجتها.

أما المخطوط الثاني فهو يمثل المراحل المهمة في التاريخ، وكذلك مخطوط " صندوق اللآلئ من أقوال الموالى"، والذي أفادتنا المعلومات التي فيه عن طبعة القرآن الكريم وتفصيلاته، وتسميات الآيات، بالإضافة إلى عدد أجزاءه عندهم، وترتيبها وغيرها.

ثانياً كتب التفاسير: -

أمدتنا كتب التفسير، بالتوضيح المطلوب للآيات المتعلقة بالتأويل، والعقائد الإسلامية، والفرائض، والأحكام وكانت معلومات تاريخية مهمة والتي أفدنا منها في جميع فصول الدراسة وعلى وجه الخصوص في الفصل الثاني، ومنها "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ويُعدّ من أهم مصنفات مدرسة التفسير بالمأثور، وتفسير العياشي للعياشي (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) وتفسير الكشف والبيان للثعلبي (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) للطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، وكذلك اعتمدنا كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الذي يعتمد في تفسيره على الطريقتين الرأي والمأثور، و التبيان في تفسير القرآن، وتفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، و تفسير القرآن العظيم لمؤلفه ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

ثالثاً: كتب الحديث

لقد أفادتنا كتب الحديث المباركة في الرجوع إليها، لأجل تخريج الأحاديث الشريفة التي وردت في ثنايا الدراسة، والاستدلال على صحتها، لا سيّما فيما تضمنته تلك الكتب من أحداث تاريخية، أو مواضيع عقدية ترتبط بالولاية، والإمامة، والتأويل، وغيرها، وفي مقدمة هذه الكتب كتاب "الكافي" لمؤلفه محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، ومن لا يحضره الفقيه و"الأمالي"، و"علل الشرائع"، و"كمال الدين وتمام النعمة" للصدوق (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، و"الامالي" الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، و"مسند زيد بن علي بن الحسين" لزيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢هـ/ ٧٤٠م)، والتي أغنت الأطروحة بمادتها الحديثية، والمعلومات التاريخية بين طياتها. إذ كان لوجود الكم الهائل من الأحاديث الشريفة بين طياتها دوراً مهماً لجمع المعلومة، وتتبعها، وتحليل مضامينها للوصول إلى المعاني التأويلية، والمقارنة بينها، والأخذ بأكثرها دقة في سرد المعلومة، ونقلها.

رابعاً / المصادر الإسماعيلية

اعتمدتُ الدراسة على عددٍ وفيرٍ من المصادر الإسماعيلية التاريخية منها، والعقائدية، والفلسفية، إذ مثلت تلك المصادر المفتاح المهم، لكشف لغز الكثير من الحوادث، والعقائد، ونظام الدعوة الداخلي لها، والفلسفة التي برعت بها، حتى عرفها أحد الباحثين المحدثين واصفاً إياها بقوله: " أنها قصيدة فلسفية تتطور مع الزمن..." وكان العديد من مفكري الإسماعيلية فلاسفة خاضوا غمارها فبرعوا فيها، وتأتي في مقدمة تلك المصادر المصنفات التي تعنى بالتأويل، أو

علم الباطن، أو العلم الحقيقي، وهي بمثابة العمود الفقري للأطروحة ومحور دراستنا ، التي اعتمدنا عليها.

وكان من المصادر الإسماعيلية المهمة، والتي تعد بمثابة ثروة علمية قد أفادتنا بمعلومات عن كافة تفاصيل علم التأويل والمصطلحات الفلسفية الإسماعيلية كافة، فضلاً عن أهم العقائد والتكاليف ومقاصدها العلمية ومن أبرزها:

— كتاب "أثبات النبوءات " وكتاب " الافتخار " وكتاب " الينابيع " لشيخ فلاسفة الإسماعيلية في المشرق، وعنوان نهضتها الداعي أبو يعقوب إسحاق السجستاني (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م)، والتي أرفدت البحث من خلالها التعرف على بعض المصطلحات الفلسفية والآلهة التي ورد ذكرها.

كتاب "تأويل الدعائم " وكتاب "دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام" وكتاب "أساس التأويل " وكتاب "كتاب التوحيد " للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، والتي أغنت الدراسة بالعديد من المعلومات الشاملة حول التأويل، ونطاقه، وتطوره.

وكذلك كتاب "الكشف" وكتاب "سرائر وأسرار النطقاء" وكتاب "العالم والغلام" للداعي جعفر بن منصور اليماني (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، وهي من أهم مصادر الإسماعيلية التي تتعلق بالفكر الإسماعيلي وعقائده وتاريخه، إذ أنها أمدتنا بالكثير أثناء تناولنا جذور الدعوة في اليماني، وفي عقائد الإسماعيلية، واعتقادها بالإلهيات، ومقارنتها مع ما كتب من لدن مخالفيهم في الفكر، والعقيدة.

- ومن الكتب المهمة في التأويل، والفلسفة، والعقائد كتاب "راحة العقل"، وكتاب "المصابيح في أثبات الإمامة"، و"الرسالة الموسومة باللازمة لصوم شهر رمضان"، و"رسالة المباسم والبيانات"، "الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار " للداعي الكرمانلي، أحمد حميد الدين (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م)، وكانت هذه الكتب، والرسائل عبارة عن ثراء معرفي، وفلسفي هائل، إذ تمتزج فيها العلوم الفلسفية، مع العلوم العقدية، والعلوم الطبيعية، لتكون تشكيلة رائعة من العلوم المتقدمة.

وكتاب "رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف شهر رجب"، و"عيون الأخبار وفنون الآثار"، و"زهر المعاني" للداعي إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م)، وكان الكتابان يحويان على الكثير من المعارف التأويلية، والعقدية، والدعوية للفاطميين؛ أما

الكتاب الأخير فهو يتكون من عدة أسباع، أو جزاء، إلا إنه تم الاعتماد على الجزء السادس منه، ويعد من المصادر الإسماعيلية من المصادر المهمة التي تتحدث عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية

خامساً: كتب التاريخ العام

كانت المصادر التاريخية المعين الذي اغنى الرسالة بالمعلومات المهمة، والأحداث ومقابلتها مع النصوص الحديثية، والتي تتطلبها الدراسة، والتي وظفت في جميع فصول الدراسة، ومنها "تاريخ اليعقوبي" لمؤلفه أحمد بن اسحق بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، "وتاريخ الرسل والملوك" لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب "الكامل في التاريخ" لأبن أثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، "وتاريخ الإسلام" للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، وكتاب "البداية والنهاية"، لأبن كثير (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م)، وغيرها الكثير وكتاب "البدء والتاريخ"،

سادساً: كتب الفضائل والمناقب

تُعد كتب الفضائل، والمناقب واحدةً من أهم المصادر التي كان لها دورٌ كبير في إغناء الرسالة من خلال تسليط الضوء على مناقب أهل البيت (عليهم السلام)، ومنها "فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)" لأبن حبان، احمد بن محمد سعيد (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، وكتاب "فضائل الشيعة" للشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١هـ / ٩٩١م)، و"بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد" للصغار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت: ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، وكتاب "الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)" لابن شاذان، سديد الدين بن جبرئيل القمي (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م).

سابعاً: كتب السير

تعد كتب السير من الكتب المهمة عند الباحثة، وذات فائدة كبيرة لا غنى عنها، فقد أمدتنا تلك الكتب بمعلومات وافية عن حياة الرسول (صلى الله عليه واله)، وحياة الصحابة، وكذلك أمدتنا بمعلومات مهمة عن الغزوات، والحروب، وكثير من الأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذه الدراسة، وأعطتنا نبذة عن حياتهم، وشملت فائدتها جميع فصول الرسالة، ولعل أهم هذه الكتب "سيرة ابن هشام" لعبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)، و "السيرة النبوية وأخبار الخلفاء" لأبن حبان (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، وكتاب "تنزيه الأنبياء"

للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٧٠ م)، و "جوامع السيرة" لأبن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)، و "الفصول في السيرة" لأبن كثير (٧٧٤ هـ) والفصول المهمة في معرفة الأمة لأبن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥٨ م).

ثامناً: المعاجم والموسوعات

وكان لمعاجم اللغة العربية الأهمية الكبيرة في رفد الدراسة بالكثير من التعريفات لعدد من الألفاظ، والمصطلحات التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة، فقد أزلت تلك المعاجم الغموض عن الكثير من المصطلحات التي ذكرتها الباحثة؛ فضلا عن بعض المصطلحات التي أوردها علماء الإسماعلية في مصنفاتهم. ولعل أبرز هذه المعاجم، كتاب "الصاح تاج اللغة وصحاح العربية" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م)، وكتاب "النهاية في غريب الحديث" لابي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)، وكتاب "لسان العرب" لجمال الدين بن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (ت: ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، وكتاب "تاج العروس من جواهر القاموس" لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م).

تاسعاً: الرسائل والأطاريح والدوريات

لا تقلّ تلك الدراسات أهميةً عن المصادر والمراجع الأخرى فأنها تعد مرجعا أفادت منه الدراسة في جوانب عدة ومن أهم تلك الدراسات.

- أطروحة الدكتوراه للباحث بالفلسفة والفكر الفاطمي الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي والموسومة "الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي وأثره السياسي والفكري والعقائدي في الدولة الفاطمية (٣٩٠ هـ - ٤٧٠ م) / ٩٩٩ - ١٠٧٧ م) دراسة تاريخية" وهي دراسة متميزة إذ بقدر ما أبرز فيها الباحث من دور للداعي المؤيد في حفظ التراث الإسماعيلي الفاطمي ، بعد نقله من مركز الخلافة في مصر إلى بلاد اليمن عن طريق تلميذه الداعي لمك بن مالك (ت ٥١٠ هـ / ١١١٦ م)، وبعد إدراكه خطورة المرحلة ، فضلا عن اثر الداعي من خلال نتاجه الفكري على الدعاة اللاحقين للدعوة، فإنه ضمنها الكثير من العقائد والجوانب التأويلية والفلسفية والتي أثرت الدراسة بالمعلومة المهمة.

- وكذلك رسالة الماجستير للدكتور حيدر محمد عبد الله "المشرع الإسماعيلي أبو حنيفة القاضي النعمان القيرواني المغرب (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م). عصره دوره في الدولة الفاطمية - كتبه ومؤلفاته، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧ م)". تناول فيها سيرة، وحيات القاضي النعمان، ودوره في الجانب العقدي على اعتباره المشرع، وواضع الأسس الأولية التي ارتكزت عليها الدعوة، وهو واضح من مؤلفاته، ومصنفاته المختلفة من فكر، وعقيدة، وتاريخ، وغيرها من العلوم.

- كما أفادتنا أطروحة الدكتوراه للباحث مضر غالب يوسف " الفكر الإسماعيلي (الطبيي).
في مصنفات الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م). (دراسة تحليلية).
أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة كربلاء: كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٤م)". إذ
أفادتنا في معرفة جانب من جوانب الفكر الطبيي من خلال أحد أقطاب، ودعاة الفكر الطبيي، ألا
وهو الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، في قسم من المسائل العقدية، والعبادية.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته

في الفكر الإسلامي

❖ المبحث الأول: التعريف بالتأويل لغة، واصطلاحاً

أولاً: التأويل، واشتقاقه اللغوية

ثانياً: التأويل اصطلاحاً

❖ المبحث الثاني: علمي الظاهر، والباطن ومدلولاتهما اللغوية، والاصطلاحية

أولاً: علم الظاهر

١-الظاهر في اللغة

٢-: الظاهر في الاصطلاح

ثانياً: علم الباطن

١-الباطن في اللغة

٢-الباطن في الاصطلاح

❖ المبحث الثالث: موقف الفرق والمذاهب الإسلامية من فكرة التأويل

أولاً: أصحاب الاتجاه الأول الرافض لفكرة التأويل

ثانياً: أصحاب الاتجاه الثاني القائلين بجواز التأويل أو عدم جوازه

ثالثاً: أصحاب الاتجاه الثالث القائلين بوجوب التأويل

❖ المبحث الرابع: أهمية، ومشروعية التأويل في الفكر الإسلامي

أولاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به

ثانياً: تنزيه الأنبياء

ثالثاً: عدم الجمود على النص والخروج من ظاهر التفسير

رابعاً: دفع إشكالية وجود التعارض أو التناقض في القرآن الكريم

خامساً: شمولية النص واستمراريته وحيويته

سادساً: الوصول إلى الغاية المبتغاة (حقيقة القرآن السامية ومعارفه الخالدة)

المبحث الأول

التعريف بالتأويل لغة، واصطلاحاً

أولاً: التأويل، واشتقاقاته اللغوية

أن المتتبع لكتب اللغة، والمعاجم يجد جملة من التعريفات لمصطلح التأويل فالبعض عرفوه على أنه المآل، والرجوع، والعاقبة، والمصير، فقالوا أنه من أول ويؤول تأويلاً، وهي تأتي بمعنى عاد ورجع، وهو المرجع وما تصير إليه الأمور، فقالوا أنه اخذ من آل ويؤول إذا صار إليه، فأولته بمعنى صيرته إليه^(١).

وهو آخر الأمر وعاقبته، ومن ذلك قولهم: " إلى أي شيء مآل هذا الأمر" بمعنى مصيره وعقبه وأخره، إذ أن اشتقاق الكلمة ارفعوه إلى المآل وهو المصير والعاقبة^(٢).

والتأويل في أصله جاء من ألت إلى شيء أي أوّل إليه، إذا صرت إليه، كما في قوله تعالى: {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم}^(٣)، إذ يراد منه ما يؤول من الكلام المتشابه إلى الكلام المحكم، ولذلك جاء لفظ تأويله وليس تفسيره^(٤)، فالأول هو الابتداء للشيء أما التأويل فهو الانتهاء للشيء، ومصيره، وعاقبته، وأخره^(٥)، ومن ذلك قوله تعالى: {هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ}^(٦)، أي ما يؤول إليه وقت بعثهم ووقت نشورهم. هذا ما دونه الشعراء في دواوينهم كقول الشاعر الأعشى^(٧):

(١) الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠ هـ / ٩٨١ م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م)، ج ١٥، صص ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: محمد علي بيضون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م)، ص ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٤) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ ببيت الله بيات، ط١، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢ هـ)، ص ١٣٠.

(٥) ابن فارس، معجم اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ م)، ج ١، ص ١٠٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د. م: دار الفكر، ١٩٧٩ م)، ج ١، ص ١٦٢؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م)، ص ١٨٩.

"على أنها كانت تأول حبها" تأول ربي السقاب فأصحابا

ويقصد في أنها كانت تأول في حبها، أي في عاقبة هذا الحب ومرجعه. ومما يجري على السنة العرب قولهم أول بالحكم إلى أهله قاصدين به رده وأرجعه إليهم، وكذلك قولهم لمن فقد ضالة له: أول الله عليك، أي رد وأرجع اليك ضالتك، وعلى نفس المنوال قولهم: "لا تعول على الحسب تعويلاً فتقوى الله أحسن تأويلاً"، أي أحسن عاقبة ^(١) فيما يرى غيرهم من العلماء أن التأويل هو ذاته التفسير، والتدبر، فقالوا إن التأويل هو تفسير للكلام والذي تختلف معانيه، والذي لا يصح ألا أن يكون ببيان غير لفظه، وهذا ما ذهب إليه الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م) ^(٢)، وتبعه فريق من العلماء ^(٣).

وقالوا أيضاً بأنه التفسير لما يؤول إليه الشيء، كما جاء في كتاب الصحاح ^(٤)، والنظم المستعذب ^(٥)، ومختار الصحاح ^(٦) فأول الكلام، وتأوله بمعنى دبره، وقدره، وفسره كما جاء في المحكم والمحيط الأعظم ^(٧)، ولسان العرب ^(٨)، والقاموس المحيط ^(٩)، وتاج العروس ^(١٠)، ووفقاً لذلك يكون تأويل الكلام هو تفسيره وتوضيح ما هو الغامض منه، وتأويل الموقف

^(١) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م)، ج ١، ص ٣٩.

^(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج ٨، ص ٣٦٩.

^(٣) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٣٢٩؛ الصحاح بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني الطالقاني (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤ هـ)، ج ١٠، ص ٣٧٨.

^(٤) الجوهرى، أبو نصر أسماعيل بن حماد الفارابي (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م)، ج ٤، ص ١٦٢٧.

^(٥) بطل الركي، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٢٦ م)، تحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٩٨٨ م)، ج ١، ص ١٤٨.

^(٦) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩ م)، ص ٢٥.

^(٧) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م)، ج ١٠، ص ٤٤٨.

^(٨) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، (ت: ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، ط ٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، ج ١١، ص ٣٣.

^(٩) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، أشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥ م)، ص ٩٦٣.

^(١٠) الزبيدي، محب الدين أبي فياض السيد محمد بن مرتضى الحسيني الواسطي (ت: ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. م، دار الهداية، د.ت)، ج ٢٨، ص ٣٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

هو تفسيره ورده إلى الغاية التي ترجى منه، أما تأويل الرؤيا فهي محاولة تفسيرها وإيجاد تعبير لها^(١).

وهذا أن دلَّ على شيء أنما يدلُّ على أن أغلب علماء اللغة، وكتاب المعاجم ذهبوا إلى أن التأويل، والتفسير يحملان نفس المعنى^(٢)، في حين أن القسم الآخر من علماء اللغة، والمفسرون والمفسرون لكتاب الله عز وجل ذهبوا إلى القول بأن التأويل مأخوذ من الإيالة أي السياسة، فنقول العرب: "قد ألنا، وإيل علينا، أي سُننا، وساسنا غيرنا، فكأنَّ المؤول للكلام يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه"^(٣).

وهناك من يرى أن التأويل في اللغة في حقيقته لا يخرج عن معنيين محددين هما العاقبة والرجوع والعود، والثاني التفسير للكلام وبيان معانيه^(٤)، بينما ذهبت طائفة أخرى إلى أن التأويل يختلف عن التفسير، فقالوا أن التفسير هو حالة أخبار لمعاني الآحاد من مفردات الجملة، بينما التأويل هو الأخبار عن المعنى الإجمالي للجملة، كما قالوا أن التأويل أكثر ما يُستعمل في الكتب الإلهية بينما يُستعمل التفسير في الإلهيات وغيرها من الكتب، وقالوا أن التفسير هو بيان للفظ لا يكون محتملاً ألا لوجه واحد بخلاف التأويل الذي يكون متوجه إلى أكثر من معنى بما

(١) عمر، احمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (د. م، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٣، ص ١٣٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٠٦؛ ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت ٥٤٢هـ / ١٢٤٢م)، تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ)، ص ٥؛ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري، (ت ٧٧٠هـ / ١٣٧٠م)، المصباح المنير، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ص ٢٦١؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٩، ص ١٢٣.

(٣) الثعلبي، احمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحق (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٨٧؛ أبو منصور ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٦م)، شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: مصطفى صادق الرافعي، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص ٣٧؛ ابن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٤؛ السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت)، ج ٣، ص ٢٨؛ ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ج ٥، ص ٣٦؛ الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧١م)، تفسير الثعالبي=الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)، ص ٤٢.

(٤) أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م)، ج ١، ص ١٨٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

يظهر من الأدلة^(١)، ومن الاختلافات الأخرى، قالوا أن التأويل هو كشف لباطن القرآن، وهو يتعلق بالدراية، والمتشابهات؛ أما التفسير فهو كشف لظاهر القرآن، وهو متعلق بالرواية، والمحكمات من الآيات^(٢).

ووفقاً لما ذكر في أعلاه نجد أن علماء اللغة، والتفسير على اختلاف فرقهم، ومذاهبهم التي يعتقدون بها قد اختلفوا في تفسيراتهم، وتعريفاتهم لمفهوم التأويل، وهذا واضح من النصوص، فنراهم قد انقسموا على ثلاثة أقوال: الأول ذهب إلى أن التأويل هو ذاته التفسير، والبعض الآخر اخذ هذا المصطلح من جانب سياسي، في حين نجد القسم الثالث ذهبوا إلى أن التأويل يختلف مع معنى التفسير، ونحن نذهب مع ما ذهب إليه هؤلاء العلماء على اعتبار أن التفسير هو المعنى الظاهر، في حين أن التأويل يختص بعلم الباطن.

ثانياً: التأويل اصطلاحاً

تنوع مصطلح التأويل عند العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين، بل وحتى المحدثين، فعرفوه بكلام مختصر جامع للدلالة بقولهم هو: "باطن المعنى، أو رموزه، أو جوهره، وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها"^(٣). وجاء في تعريفه أيضاً على أنه تفسير للكلام، وبيان لمعناه، وبذلك يكون مترادفاً مع معنى التفسير^(٤)، سواء أكان الكلام موافق لظاهرة أو مخالف له^(٥)، وهذا ما سار عليه ابن جرير الطبري أبان تفسيره لكتاب الله^(٦)، إذ إنه كان يشير كمثال على تفسيره في أغلب النصوص القرآنية بقوله: "القول في تأويل قوله جل ثناؤه: {يَوْمَ الدِّينِ}"^(٧) أو "القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ}"^(٨).

(١) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص ١٢٩-١٣٠

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، ط ١، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤ م)، ص ٣٩.

(٣) القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن أحمد (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)، أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، ط ١ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠ م)، ص ٧؛ الكربلائي، حيدر محمد عبد الله، التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد (١٠)، ٢٠١٤ م، ص ٤٠٣.

(٤) الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ١٨٣

(٥) ابن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٤

(٦) الثعالبي، تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص ٤٣؛ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ١، ص ٢٦.

(٧) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، (د. م: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ١٥٥.

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٣٨.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

ويشير الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ - ١١٥٣م) ^(١)، إلى أن التفسير لا يخرج عن معنيين في اصطلاح العلماء: فالأول هو كونه قسما من أقسام البديع الذي يرجع للمحسنات اللغوية، والمراد منه إتيان المتكلم بمعنى لا يمكن فيه استقلال الفهم لأدراك فحواه ومغزاه من دون أن يفسره الكلام الذي يأتي بعده، والثاني هو العلم بالأصول التي توصل إلى معرفة معاني كلام الله تعالى من الأوامر أو النواهي وغيرها. وقالوا أيضا انه عملية البحث عن مقصد الالفاظ، وما سيؤول إليه المعنى ^(٢).

كما عرفوه على انه "رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر" ^(٣)، وعرفوه أيضا بأنه "هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به" ^(٤) ألا أن العلماء أنفسهم لم يعولوا على هذا التعريف ووجهوا إليه نقدهم على اعتبار أن لا شرح أو بيان أو إيضاح فيه، وإنما هو مجرد انعكاس لما موجود في الخارج ^(٥)، إذ أن الأعيان الخارجية أنما هي مصداق للشيء، وليس تأويلاً له، ووفق هذا التعريف اللغوي يقصد بالتأويل على انه عملية، أو ممارسة ذهنية يرافقها فعل النفس وليس كما ذهب إليه ابن تيمية ^(٦) الذي يقول: "فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلية فإذا قيل: طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها" ^٧ والذي عُرف بتحامله

^(١) الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء، ط ١، (بيروت: منشورات مؤسسة الاعلمي، ١٤١٥هـ)، ج ١، صص ١٧-١٨.

^(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، تفسير الشهرستاني = مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، تحقيق: محمد علي آذرشب، ط ١، (طهران: مركز البحوث والدراسات للتراث، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ٤٧.

^(٣) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص ١٣٣؛ الشيخ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٩؛ السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: الدكتور محمد التونسي، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣م)، ج ٣، ص ٢٧٣؛ حيدر الأملي، حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني (ت ٧٨٢هـ / ١٣٨١م)، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق: محسن موسوي تبريزي، ط ٣، (قم: نور على نور، ١٤٢٢هـ)، ج ١، ص ٢٣٨.

^(٤) القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، ط ٣، (د. م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ص ٣٣٨.

^(٥) الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ١٨٣؛ ابن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٥؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص ٤٣.

^(٦) معرفة، محمد هادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ط ١، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦ م)، ص ٨٠.

^٧ ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الحنبلي (ت: ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م)، الاكلیل في المتشابه والتأويل، تج: محمد الشیمی شحاته، ط ١، (الإسكندرية: دار الايمان للطبع والنشر، د.ت)، ص ٢٨.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

على التأويل، وأصحاب التأويل. أما الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ^(١) فعرفه على انه رد أو إرجاع الشيء إلى غايته التي يراد منه، سواء أكان علماً أو كان فعلاً، فمثلاً في العلم كما في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ...} ^(٢) ، أما في الفعل كقول الشاعر: وللنوى قبل يوم البين تأويل ^(٣).

أما عند طائفة أخرى من العلماء فعرفوه بقولهم: فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به ^(٤) أو هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخره يحتمله ^(٥).

(٥).

في حين أن الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) ^(٦)، في مصنفاته المختلفة عن التأويل ذهب برأي مغاير لما ذهب إليه سابقه بخصوص التأويل، إذ عد التأويل عبارة عن الاحتمال الذي يعضده الدليل يصير به على الظن، وهذا واضح من قوله: "أن التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة إلى المجاز، وكذلك تخصيص العموم يرد اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز، فإنه إن ثبت أن وضعه وحقيقته للاستغراق فهو مجاز في الاختصار على البعض فكأنه رد له إلى المجاز".

أما السهروردي المقتول (ت: ٥٨٧ هـ / ١١٨٢ م) ^(٧) عرفه بقوله: " إرجاع صور الأوضاع الشرعية إلى ماله، والمعاني التي هي لها، وكشف تلك الحقائق من تحت تلك الصور". فيما ذهب ابن رشد (٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) ^(٨)، بالقول إن معنى التأويل هو: " إخراج دلالة اللفظ من

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دمشق: منشورات ذوي القربى، دار القلم، ١٤١٢ هـ)، ص ٩٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٩٩.

(٤) ابن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص ٥؛ الثعالبي، تفسير الثعالبي=الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص ٤٣؛ السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص ٣٩.

(٥) ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد (ت: ٧٩٢ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط ١، (د. م: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ)، ص ١٨٢؛ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م)، التعريفات، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م)، ص ٤٧.

^٦ أبو حامد محمد بن محمد، المستقصى، ص ١٩٦.

^٧ شهاب الدين يحيى، رسالة هياكل النور، ط ١، (طهران: نشر نقطه، ١٣٧٩ هـ)، ص ١١٦-١١٧.

(٨) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، فصل المقال، تحقيق: محمد عمارة، ط ٢، (د. م: دار المعارف، د. ت)، ص ٣٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازة من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عدت، في تعريف أصناف الكلام المجازي".

بينما ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ^(١) فذهب إلى أن التأويل هو عملية نقل للظاهر من موضعه الأصلي بقوله: "التأويل نقل الظاهر عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"، وشاركه في ذلك ابن الأثير ^(٢).

وذهب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ / ١٣٥٠م) ^(٣) للقول بأن معناه هو: "حقيقة المعنى وما يؤول إليه في الخارج أو تفسيره وبيان معناه وهذا التأويل يعم المحكم والمتشابه والأمر والخبر"، بينما ذهب الزركشي (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١م) ^(٤)، إلى تعريفه بكونه "التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً".

والملاحظ أن التأويل وتعريفه تطورت كثيراً في العصور الحديثة، على يد العديد من الباحثين، سواء كانوا من العرب، أو من المستشرقين الغربيين، فمثلاً في دراسات الباحثين الغربيين نلاحظ أنها ركزت كثيراً على التأويل، وحددوا معاني عديدة لتعريفه، فمنهم من ذهب إلى أنه يأتي بمعنى التفسير، فيما ذهب آخرون إلى أنه يأتي بمعنى الفهم، وقال قسم آخر أنه ينصرف إلى معنى الشرح، فيما ربطه القسم الآخر بعملية الترجمة ^(٥)، ألا أن كل هذه المقاصد الدلالية هي منضوية تحت ما يُعرف بمفهوم الهرمينوطيقا ^(٦)، فمثلاً عُرفت الترجمة على أنها

^(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، تح الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٣٧.

^(٢) ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك، مجد الدين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٨٠.

^(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، تحقيق: تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط ١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)، ج ١، ص ١٨١.

^(٤) بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء إحياء الكتاب العربي، ١٩٥٧م)، ج ٢، ص ١٧٢.

^(٥) فيدوح، عبد القادر، إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، ط ١، (د. م: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م)، ص ٥٢.

^(٦) وترجع هذه الكلمة إلى (Hermeneuein، Hermeneia) والتي تعني فسر يفسر وهي في كلمة يونانية مشتقة من رسول الإلهة اليونانية والذي كان بمثابة الوسيط بين الإلهة في السماء وبين أهل الأرض والتي تكون مهمته ترجمة وتفسير كلام الإلهة ونقله إلى بني البشر بلغة يفهمون بها مقاصد الإلهة. مصطفى، عادل، فهم الفهم، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي، ٢٠١٧)، ص ١٧.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

تأويل النصوص لغوياً، بكلام من غير لغتها^(١) وبذلك يكون التأويل هنا بمعنى الترجمة اللغوية للنصوص المكتوبة بغير لغتها.

كما أن التأويل عند ليبينز (leibniz)^(٢) : يأتي مرادفاً لمعنى الاستقراء والذي يقصد به البحث عن العلل للأشياء لأجل الارتقاء منها إلى العلة الأولى والتي هي الله تعالى، أما عند شلايرماخر (Schleiermacher)^(٣) : فهو فن امتلاك جميع الشروط المهمة والضرورية لعملية الفهم، وكشف حقائق الأشياء، بينما يرى المؤرخ، والفيلسوف فيلهم دلتاي (Wilhelm dilthey)^(٤) : أن الهرمنيوطيقا أو التأويل على أنه أساس لكل الدراسات الإنسانية أو العلوم الاجتماعية والعلوم الروحية والتي تعنى بتفسير التعبيرات للحياة الداخلية للإنسان وسواء كانت هذه التعبيرات أفعالاً تاريخية، أو إيماءات، أو أعمالاً أدبية أو فنية، أو قانون مدون.

أما عند الباحثين العرب فذهب قسم منهم إلى أنه يعد من أرقى العمليات الذهنية التي يقوم الدارس أو الباحث باللجوء إليها في تعامله مع الخطابات أو النصوص، أو الملفوظات فيتجاوز المعنى الظاهر إلى الباطن، وينتقل من دلالات النص التعينية التقريرية إلى دلالات النص الموحية والمجازية، إذ إنه يستكشف كل المعاني التي تتوارى خلف المعاني المباشرة الأولى^(٥).

(٥)

وهذا ما أكدته نصر أبو حامد^(٦) بقوله: أن التأويل ينطلق من بعدين يكونان أساسيين، الأول الأول يكمن في إرجاع الظاهرة أو الشيء إلى أسبابها الأصلية أو عللها الأولى، أما البعد الثاني فهو الوصول نحو الغاية، أي غاية الأشياء. في حين عرفه البعض على أنه: "صرف اللفظ إلى معنى يحتمله. أنه انتهاك للنص وخروج بالدلالة، ولذلك هو يشكل استراتيجية أهل الاختلاف والمغايرة، وبه يكون الأبداع والتجديد، أو الاستئناف وإعادة التأسيس"^(٧).

(١) الشباب، عمر شيخ، التأويل ولغة الترجمة، بلا، (بيروت: دار الهجرة للطباعة والنشر، د. ت)، ص ١٣.
(٢) نقلاً عن صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٢٣٤.
(٣) نقلاً عن بلال، رافع وجلول بن طرات، اللغة وأزمة التأويل في الفكر الغربي المعاصر، مجلة أبعاد، مجلد ١٠، العدد ١، للسنة ٢٠٢٣م، ص ١٧.
(٤) نقلاً عن مصطفى، فهم الفهم، ص ٦٦.
(٥) حمداوي، جميل وداود بلال، من التأويل إلى الهرمنيوطيقا، ط ١، (طنجة: المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٢م)، ص ٥.
(٦) نادية قمري، التأويل في الفكر العربي المعاصر - محمد اركون انموذجاً -، مذكرة ماستر مقدمة إلى كلية العلوم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، للسنة ٢٠١٩-٢٠٢٠م، ص ٢٦.
(٧) حرب، علي، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، ط ١، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م)، ص ٢٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أما علماء اللاهوت فهم أيضاً فسروا التأويل بحسب اعتقاداتهم الدينية بقولهم: هو تفسير الكتب المقدسة تفسيراً مجازياً أو رمزياً لأجل الكشف عن معانيها المستترة الخفية^(١).

ومن خلال كل ما تمّ ذكره في أعلاه يمكننا القول أن التأويل هو مجموعة العلوم والمعارف المتعلقة بالقضايا والمسائل العقديّة، وهذا واضح من قول الرسول (صلى الله عليه واله) لأبن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"^(٢)، فالفقه عند المتشركة هو العلم المتحصل بجملة من الأحكام الشرعية للفروع، من خلال النظر والاستدلال^(٣)، أو هو العلم المتعلق بقضايا الأحكام العملية دون الاعتقادية^(٤) أو هو "العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال"^(٥)، وإن ما يقابل الفقه هو العقائد والذي هو العلم الذي يبحث بما يعتقد الإنسان أو يؤمن به والذي يقيم من خلاله البرهان المفيد لليقين أو هو مجموعة البراهين الدينية التي تثبت من خلال البرهان القاطع^(٦)، أو هي مجموعة الأمور التي أمر الإسلام الاعتقاد بها عبر الارتكاز على الأدلة العقلية أو النقلية عن طريق القرآن أو السنة وهي تشمل الإلهيات، والنبوات، والسمعيات أو الغيبيات^(٧).

من كل ذلك نخلص إلى أن التأويل هي كلمة تنمّز بالحيوية والشمولية، لاستقطاب المعاني والدلالات والمقاصد، الباطنة أو المتوارية، لتتشكل من خلالها معاني وأفعال ذات دلالات واضحة للفهم.

(١) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٢٣٤.
(٢) مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ / ٧٦٨م)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ)، ج ٤، ص ٩٠٥؛ التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن ربيع (ت: ٢٨٣هـ / ٨٤٧م)، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٠٨؛ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ - ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) الأمدي، علي بن محمد (ت: ٦٣١هـ)، الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ)، ج ١، ص ٦.

(٤) العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر (ت: ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط ١، (قم: ١٤١٤هـ)، ج ١، المقدمة ص ٨.

(٥) ابن العلامة، محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، (ت: ٧٧٠هـ)، إيضاح الفوائد، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى وآخرون، ط ١، المطبعة العلمية، (قم: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ١٣٨٧هـ)، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٦) الخن، مصطفى سعيد، مبادئ العقيدة الإسلامية، ط ٩، (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٧م)، ص ١٥.

(٧) الطحان، منيب، الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، ط ١، (دمشق: دار سعد الدين، ١٩٩٩م)، ص ١٣٦.

المبحث الثاني

علمي الظاهر، والباطن ومدلولاتهما اللغوية، والاصطلاحية

أولاً: علم الظاهر:

١- الظاهر في اللغة

يأتي معنى الظاهر في اللغة على انه الأمر البادي^(١)، والبين^(٢)، وهو يعني الظهور فيقال للشيء إذا ظهر بدا، أي بمعنى الأبداء^(٣) ومنه قول الله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٤)، والظاهر أيضاً يأتي بمعنى الإظهار، فيقال اظهر فلان نفسه بمعنى أرى أرى نفسه، وظهر الرجل إلى القوم، بمعنى برز لهم، وظهر الأعداء بمعنى بدوا إمام أسوار المدينة، وتأتي ظهر بمعنى اشتهر، وخرج، وعلا، واطلع، مثل قولهم ما بقي عند سحنون أي كتاب ألا وكان يونس قد ظهر عليه، أي بمعنى اطلع عليه^(٥).

كما يأتي بمعنى الإعلان، فيقال رجل علانية وقوم علانيون، أي بمعنى الظاهر أي الذي يكون أمره علانية^(٦)، والظاهر يأتي على معنى مخالف للباطن وهو عند النحويين يكون بخلاف بخلاف الاسم المضمر، إذ إنه اسم يتضح من خلال لفظه، وهو مجرد في ذاته، صريح في معناه، كما يأتي في اللغة بمعنى الزائل فيقال: هذا الأمر ظاهر عنك في عيبه أو عاره، أي بمعنى زائلاً عنك، كما يطلق على أشرف الأرض بالظواهر^(٧)، ومنها أطلقت تسمية قریش

(١) كراع النمل، علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن، (ت: بعد ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م)، المنجد في اللغة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ودكتور ضاحي عبد الباقي، ط٢، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨ م)، ص٢٥٦١٩٨٨ م، ص٢٥٦.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج٥، ص١٩٤.

(٣) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت: ٤٤٤ هـ)، الفرق بين الضاد والطاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، (دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٧ م)، ص٧٢.

(٤) سورة الروم، الآية ٤١.

(٥) دوزي، رينهارت بيتر آن (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد محمد سليم النعيمي، ط١، (الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠ م)، ج٧، ص ١٢٥.

(٦) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٢، ص ١٥٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٢٨٩.

(٧) نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج٧، صص ٤٢٥٦-٤٢٥٧.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الظواهر على الأقوام التي تكون نازلة بظهر مكة أي في جبال مكة، إذ يطلق على ما يرتفع من الأرض ويغلظ تسمية ظاهر الأرض أو ظهر الأرض^(١).

وعُرف أيضاً على أنه "هو الواضح المنكشف، من: ظهر الأمر الفلاني أي وضح وانكشف"^(٢) كما يعرف الظاهر على أنه الكلام الذي يحتمل معنيين ويكون الواحد منهما اظهر من الثاني^(٣)، كما يقال أن الظاهر هو الواضح^(٤)، "والظاهر: هو ما انكشف واتضح معناه للسامع من غير تأمل وتفكر كقوله تعالى: {وأحل الله البيع} ^(٥) وضده الخفي: وهو الذي لا يظهر المراد منه إلا بالطلب"^(٦)، أما عند النحاة فيطلق على الاسم الذي يكون ليس بضمير واسمه المظهر، وعند أهل الأصول فيقولون عنه لفظ يظهر منه المراد من خلال نفس الصيغة، ومن خلال قيد الظهور يخرج المشكل، والخفي، والمتشابه، والمجمل^(٧)، كما يشار للظاهر على أنه لفظ القرآن، كما قيل على أنه الخبر والحديث، كما قيل أنه ما ظهر تفسيره^(٨).

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بحدود اثنان وعشرون مرة في مواضع مختلفة وبصيغ مختلفة، كلها تشير إلى معنى ما يبدو من الأمر أو الشيء والذي يكون بعكس الباطن^(٩).

٢-: الظاهر في الاصطلاح

يُعرف الظاهر في الاصطلاح على أنه اسم من أسماء الله تعالى^(١٠)، " هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه. وقيل: هو الذي عُرف بطرق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٨١-٤٨٥.

(٢) العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المظهر (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م)، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهاري، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٦ هـ)، ج ٢، ص ٤٨٧؛ النراقي، محمد مهدي (ت: ١٢٠٩ هـ)، أنيس المجتهدين في علم الأصول، تحقيق: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، ط ١، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٨٨ هـ)، ج ٢، ص ٨٧٤.

(٣) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص ٦٤.

(٤) السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م)، الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: د. مازن المبارك، ط ١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١ هـ)، ص ٨٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٦) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٥٩٤.

(٧) التهانوني، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ٢، ص ١١٤٤.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٨١.

(٩) الكسنزان الحسني، محمد بن الشيخ عبد الكريم (ت ١٤٤١ هـ)، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ط ١، (دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٥ م)، ج ١٤، ص ٣٦٥.

(١٠) نثوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج ٧، ص ٤٢٥٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أفعاله وأوصافه"^(١)، وقيل هو الغالب بمقتضى القدرة على كل الأشياء، وهو الظاهر لكل العقول من خلال أفعاله وحججه والبراهين الوجودية، والأدلة الوجدانية^(٢).

وعُرف الظاهر على أنه "ما لا يفتقر في إفادته لمعناه إلى غيره سواء أفاده وحده أو أفاده مع غيره"^(٣)، كما عُرف على أنه "اللفظ الظاهر ما دلّ على معنى بالوضع الأصلي أو العرفي، ويحتل غير احتمالا مرجوحا"^(٤)، أو "هو لفظة معقولة المعنى لها حقيقة ومجاز، فإذا وردت على حقيقتها كانت ظاهرا وإن عدلت إلى جهة المجاز كانت مؤولة. وهذا صحيح في بعض الظواهر"^(٥) وهو اسم للكلام الذي ظهر المقصود أو المراد منه إلى السامع في نفس الصيغة، أو هو ما يظهر المراد منه إلى السامعين بنفس الكلام،^(٦) وضده الخفي، وعلى ذلك يكون ظاهر العلم هو أعيان للممكنات، أما ظاهر الوجود فهو تجليات الأسماء^(٧).

وهو يأتي بنحو ما دل على دلالة ظنية ويكون ذلك أما من خلال الوضع أو من خلال العرف، وكذلك يأتي على أنه ما يفهم بنفسه المراد به، ويمكن أن يتم تأويله، سواء بالحروف أو الأفعال، أو الأسماء^(٨).

وقيل هو ما يحتمل معنيين يكون أحدهما اظهر من المعنى الآخر^(٩)، أو "ما دل على معنى معنى دلالة راجحة أذ يظهر منه المراد للسامع بنفس الصيغة ويكون محتملا للتأويل والتخصيص"^(١٠)، أو هو ما اتضح وانكشف معناه عند السامع من دون تفكر أو تأمل^(١١)،

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٦٤

(٢) عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، ص ١٤٤٣.

(٣) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)، المحصول، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)، ج ٣، ص ١٥٢؛ العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر (ت ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م)، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادر، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٦هـ)، ج ٢، ص ٤٨٧.

(٤) الآمدي، الأحكام، ج ٣، ص ٥٢؛ العلامة الحلي، نهاية الوصول، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٥) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١ م)، البحر المحيط في أصول الفقه، ط ١، (د. م، دار الكتب، ١٩٩٤م)، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٦) سورة النساء، الآية ٣.

(٧) الجرجاني، التعريفات، ص ١٤٣؛ الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق ١٢هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٨) الفقيه، يوسف بن أحمد بن عثمان (٨٣٢هـ)، تفسير الثمرات البانعة والأحكام الواضحة القاطعة، ط ١، (صعدة: مكتبة التراث الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٤١-٤٢؛ السنيكي، الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، ص ٨.

(٩) السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص ٦٤.

(١٠) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٣٠.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وظاهر الأمر هو ما يبدو عند الناظر، كما قيل أن الظاهر هو الأفعال للجوارح الخارجية وبخلافه الباطن^(٢)، وهو المعنى السابق إلى الفهم عند السامع من دون المعاني الأخرى التي قد يحتملها اللفظ، أو هو المعنى المتردد بين مجموعة من الاحتمالات لكنه في أحد الاحتمالات يكون الأرجح، ومعنى ذلك أن هناك أكثر من احتمال يدل على اللفظ ألا أن أحد هذه الاحتمالات يكون الأقرب إلى فهم السامع وذلك لأسباب معينة منها الاستعمال اللغوي، أو استعمال في الشرع أو صناعة^(٣).

كما عُرف على أنه "اللفظ الذي دلّ على معناه دلالة واضحة إذ لا يتوقف فهم المراد منه على قرينة خارجية ولم يكن معناه هو المقصود الأصلي من السياق"^(٤)، وعلى نفس السياق جاء في تعريفه على أنه "إحدى صيغ اللفظ الواضح الدلالة، ويعني في الاصطلاح أنه اللفظ الدال على المراد منه بنفس صيغته من غير أن يكون فهم المراد منه موقوفاً على أمر خارجي"^(٥).

أما عند الأصوليين فيعرف على أنه التوقف عند حدود اللفظ الذي ورد من الشارع، من دون عناية للبحث عن مقاصدها أو عللها، ومن دون الاعتناء بالظروف أو القرائن التي تحيط باللفظ حين وروده^(٦)، وأيضاً قيل "هو لفظة معقولة المعنى لها حقيقة ومجاز، فإذا وردت على حقيقتها كانت ظاهراً وإن عدلت إلى جهة المجاز كانت مؤولة"^(٧).

أما عند الفلاسفة، فقد عرفوا هذا العلم بأنه العلم الذي يتعلق بمجموعة القوانين التي تتوافق مع العقل^(٨) والنفس الطبيعية، وإن الحد لعلم الظاهر هو "أنه العلم بالسنن العامية على الأمر

(١) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٥٩٤؛ جهامي، جبرار ودغيم، سميح، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ط ١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ١٦٦٩.

(٢) عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٢، ص ١٤٤٣.

(٣) عثمان، محمود حامد، القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، ط ١، (الرياض: دار الزاحم للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ)، ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) البرديسي، محمد زكريا، أصول الفقه، ط ٢، القاهرة (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت)، صص ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) جهامي، جبرار ودغيم، سميح، موسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ص ١٦٧١.

(٦) الغوري، عبد الماجد، معجم المصطلحات الحديثية، ط ١، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ)، ص ١٨٦.

(٧) العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ط ١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٨٨١.

(٨) ويطلق العقل بوجه عام على كل ما يميز به الحق من الباطل؛ والصواب من الخطأ، كما يطلق على صور

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الكَلِّي اللانق بالطبيعة والعقول والنفوس الطبيعية" وهذا ما أكدّه ابن حيان، وتبعه فريق من الفلاسفة العرب، والمسلمين^(١).

وعرفه الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م) أيضاً بأنه السابق نحو الفهم، وإذا لم يكن اللفظ ظاهراً فيكون محتملاً، أو هو الألفاظ التي يغلبُ على الظن، فهم المعنى منها^(٢) وقيل هو ما يبدو من الأشياء في مقابل ما هو عليه في ذاتها^(٣).

وأيضاً ورد مفهوم الظاهر فلسفياً بأنه "إذا كان التأويل ينبسط بين ظاهر وباطن، فإن ما يبدو ظاهراً من النص بوضوح يسبق معناه المخفي منه. لذا اعتبر ظاهر النص دليلاً كونه لا يؤدي إلى احتمال معنى مجازي مبطن. وهذا ما يدفع أهل الظاهر إلى عدم الخوض في تعاريج معنى اللفظ لسببين: الأول وضوحه واصطلاحه العام؛ والثاني عدم افتراضه ثنائية إذا ما حاولنا إبرازها أدت إلى غموض واضطراب في الفهم. من هنا يسمي الظاهر صاحب دلالة راسخة لا ظنّ أو شكّ فيها. لكن هذا لا يعني التوقف عند هذا الحدّ من الفهم والإفهام، لأن النص الفلسفي أو الديني قابل دوماً للتأويل فيما يطرح وراء الظاهر واقعا وذهناً"^(٤).

من كل ما سبق نستنتج أن مفهوم الظاهر هو اللفظ الذي يدل على المعنى الشائع، أو الغالب للفظ إذا كان من دون قرينة، كقولنا لفظة شجرة مجردة من الإضافات فأنّ الذهن ينصرف من خلالها إلى المعنى الشائع لها والذي يوحي أنها واحد من النباتات، أما إذا صاحب اللفظ قرينة فأنها تنصرف إلى ما دلت عليه القرينة كقولنا: شجرة العائلة والتي تدل على سلالة النسب لوجود القرينة.

—العمليات الذهنية بشكل عام، وعلى البراهين، والاستدلالات بشكل خاص، وهو مجموعة من المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعاً، وهي مبدأ الهوية، وعدم التناقض، العلمية. مذكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، ط١، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م)، ص ١٢٠.

(١) ابن حيان، مجموعة مصنفات في الخيمياء والإكسير الأعظم، ص ٤٧، ٦٦.

(٢) الغزالي، المستصفى، ص ١٩٦.

(٣) مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، د.ت) ج ٢، ص ٥٧٨.

(٤) جهامي، جبرار ودغيم، سميح، موسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ص ١٦٧١.

ثانياً: علم الباطن

١- الباطن في اللغة

أشار علماء اللغة إلى معنى مفردة الباطن فقالوا أنها ترجع إلى بطن والتي هي بخلاف الظهر، ونحو البطانة أو الظهارة أي بمعنى الباطن للثوب وظاهره كقوله تعالى: {مُتَكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} (١)، وأيضاً منها تأتي كلمة البطنة والتي يقصد بها الامتلاء (٢)، ومنها ما نقل عن الرسول صلى الله عليه واله في حق الإمام علي عليه السلام إذ جاء في الأثر: " يا علي إن الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي شيعتك فأبشر، فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم " (٣)، ومن ذلك وصف الإمام علي (عليه السلام) الأنزع البطين أي الممتلئ بالعلم.

وهي أيضاً تُطلق على الجزء الذي يكون غامضاً من الأرض (٤)، كما قالوا أن الباطن هو اسم لله تعالى من ضمن أسماءه الحسنى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٥)، كما يأتي الباطن بخلاف وضد للظاهر (٦)، كما ذكروا أن معنى الباطنة من المدن كالباطنة من البصرة، أو الكوفة، أنما تعني مجتمع، أو محل الأسواق والدور، أما ما تنحى عن الأسواق والدور فيسمى ضاحية، وذكروا أن الباطن قد يدل على التخصيص كما في قولهم نعمة

(١) سورة الرحمن، الآية ٥٤.

(٢) الفراهيدي، كتاب العين، ج٧، ص ٤٤٠.

(٣) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢هـ - ١٤٢٩م)، مسند الإمام الرضا، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجليلي، ط١، (د. م، مركز النشر التابع لمكتب الأعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ)، ص ١٥٧؛ الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الاعلمي، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٤م)، ج٣، ص ٥٢؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، (قم: دار الثقافة، ١٤١٤ هـ)، تعريف الكتاب ص ٢٩٣.

(٤) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ - ٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ج١، ص ٣٦٠؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ٢٠٧٩.

(٥) سورة الحديد، الآية ٣.

(٦) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١ م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر ٢٠٠٣ م)، ج ١، ص ٣٦١.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

باطنة أي مخصوصة وهي بخلاف النعم الظاهرة والتي تكون عامة ^(١)، أما البطن من العرب فهي دون القبيلة ^(٢).

والبطن من الشيء هو جوفه، وجمعه بواطن^(٣)، والباطن هو كل أمرٍ غامضٍ وخفي لا تدركه الحواس ^(٤)، والتبطن هو الدخول في بواطن الأمور^(٥) ومن ذلك ما ورد في الأثر في وصف القرآن الكريم، أن لكل آية ظهر ولها بطن، ولذلك ذهبوا إلى أن ظهر الآية هو الواضح البيان، أما البطن فهو الذي يحتاج إلى تفسيره^(٦)، وبطن الأشياء أي ما خُفي، وأُستتر منها، ويقال بطن في الأمر إذا عرف بباطنه، وفي المجاز يقولون بطن بفلان أو من فلان، إذا أصبح واحداً من خواصه، كما يقولوا استبطنوا أمرهم إذا كانوا قد عرفوا باطنهم، كما أن البطانة تكون بمعنى السريرة، كما أن البطانة تقال لصاحب السر الذي يشاوره الأنسان بكل الأحوال^(٧).

٢-الباطن في الاصطلاح

أن الباطن هو اسم من أسماء الله تعالى الذي يعني العارف بطواهر الأمور وبواطنها^(٨)، وكما قال الحليمي **"الباطن الذي لا يحس وإنما يدرك بآثاره وأفعاله"**^(٩) أي هو الذي يعلم بالسرائر والخفيات، وهو المحتجب عن أوهام وأبصار الخلائق، فلا يدركه البصر أو يحيط به الوهم^(١٠)، كما يشير إلى الاحتجاب عن أعين الناظرين، والتجلي لبصائر المتفكرين، وهو الذي يطلع بواطن الغيوب^(١١)، **"والباطن ماهية لا احتجاب حقيقة ذاته عن نظر العقول بحجب كبريائه**

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٣، ص ٢٥٢.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٥٩.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٩، ص ١٩٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٠.

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١٣٠.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٤.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٨) أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد

يوسف الدقاق، (د. م، دار الثقافة العربية، دت)، ص ٦١.

(٩) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م)، الأسماء

والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط ١، (جدة: مكتبة السوادي، ١٩٩٣ م)، ج ١، ص ٩٨.

(١٠) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٣٦.

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٤؛ ابن الإمام، محمد بن محمد بن علي بن همام أبو الفتح، تقيّ

الدين، (ت: ٧٤٥هـ)، سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، ط ١، (دمشق: دار ابن

كثير، ١٩٩٣م)، ص ٢٦٤؛ بن علان، محمد الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت: ١٠٥٧ هـ)، الفتوحات

الربانية على الأذكار النووية، (د. م، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، د. ت)، ج ٣، ص ٢١٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وقال بعضهم الظاهر إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود" بينما الباطن هو المعرفة الحقيقية^(١).

وبطن القرآن هو تأويله^(٢)، كما يشار به إلى المعارف الخفية والعلوم الأخروية^(٣)، والباطن والباطن هو الذي يكون على وجه يتعذر فيه أدراكه^(٤)، كما عد على أنه النوع الثاني من أنواع الوحي والذي يقصد به التأييد القلبي الذي ليس فيه شبهة، أو معارض، أو مزاحم، فيظهر له الحق من خلال نور في قلبه من ربه فيتضح إليه الحكم^(٥) وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: **{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ}**^(٦)، وعُرف أيضاً على أنه العلم الذي يستدل به من مدلول الألفاظ على المعنى، وقيل أيضاً هو العلم المتعلق بالحروف المقطعة التي وردت في أوائل سور القرآن الكريم، وهو علم معرفة الله تعالى وصفاته، كما أنه العلم الذي من خلاله تتم معرفة الأدلة للرد على كل المخالفين للمعتقد من خلال القرآن الكريم والسنة^(٧)، وقد نسب إلى هذا العلم فرقة من فرق الشيعة، والتي قالت أن لكل ظاهر في الشرع باطناً، فمثلاً الصوم هو إشارة إلى كتم مذهبهم، أما الحج فيعني الوصول إلى أمامهم أو الداعي^(٨)، وقيل هو المعنى الخفي، أو هو العبر العبر والتحذير والتنبيه، أو هو التعظيم والتفهم^(٩).

(١) الكفوي، أيوب بن موسى (١٠٩٤ م - ١٦٨٣ م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م)، ص ٥٩٣.

(٢) القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت: ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، ط ٣، (قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ)، ج ١، مقدمة المصحح، ص ٢٠.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣١٨؛ المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت: ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط ١، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠ م)، ص ٢٣١.

(٤) الشيخ الطوسي، التيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ)، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٥) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: ٤٨٣ هـ / ٩٩٣ م)، أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٩٩٣ م)، ج ٢، ص ٩٠.

(٦) سورة النساء، الآية ١٠٥.

(٧) ابن العربي المعافري، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م)، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليمان، ط ١، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٩٨٦ م)، ص ٥٢٦-٥٣٧.

(٨) نشوان الحميري، أبو الحسن بن سعيد اليمني (ت: ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط ١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩ م)، ج ١، صص ٥٥٦-٥٥٧.

(٩) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٦٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

كما عُرف الباطن على أنه الفكر والذي يستغرق في القلب من دون الأوراد الظاهرة، وهو الذي بالإمكان الحصول عليه من خلال الاكتساب مع الجهد^(١)، والباطن في الوحي هو ما يمكن أن ينال من خلال اجتهد الرأي والتأمل فيه^(٢)، كما يأتي على أنه الشيء الذي يراد من الخطاب واشترطوا فيه شرطين: الأول: هو الصحة على ما يقتضي الظاهر الذي فُرّر في لسان العرب وإن يجري وفقاً للمقاصد العربية والثاني: هو أن يحتوي على الشاهد النصي، أو يكون ظاهراً في موضع آخر إذ يشهد لصحته بلا معارض^(٣)، وهو الذي لا يظهر، أو ينكشف معناه ألا من خلال التفكير والتأمل^(٤).

وعرفه الرافعي^(٥): على أنه العلم المخصص للحقائق التي لا يمكن أن تحملها الحياة الدنيا، والتي لولاها لما تمكن أي نبي من الأنبياء بأن يحمل هموم الأمة كاملة، إذ إنه لا تغيره أو تعجزه أو تضنيه، وأضاف أبي زهرة^(٦) إلى تعريفه قائلاً: هو إشارات بيانية نحو الحقائق النفسية والكونية، وغيرها من المعاني التي يمكن أن يدركها العقل، ويصل إلى كنهها العالم ذوي البصيرة المستتيرة، والذي قد آتاه الله استقامة الفكر ونفاذ العقل، ويظهر من ذلك على أن الباطن هو العلم الذي يفهم من خلال اللفظ، والذي يريده جل علاه من كلامه، على اعتباره مجموعة من الأوامر الخاصة والتي يعرفها أهل الله من خلال تعليم الله لهم وإرشادهم إليها^(٧).

وأيضاً أشير إلى أنه الشيء الذي يحتاج للتفسير، والذي يمكن التوصل إليه من خلال النظر والقياس والخبر والاستدلال، فمثلاً في قوله تعالى {اغْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}^(٨)، فإنه سبحانه وتعالى لم يفوض لهم العمل بما يحبون وجعل عليهم النهي والأمر كقوله تعالى

(١) ابن قدامة المقدسي نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٦٨٩ هـ / ١٢٩١ م)، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: الأستاذ محمد أحمد دهمان، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٩٧٨ م)، ص ٢٧٥.

(٢) حسام الدين السُّعْنَاقِي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي (ت: ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، الكافي شرح البزودي تحقيق: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه)، ط١، (د. م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م)، ج٣، ص ١٥٦٢.

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (ت: ٧٩٠ هـ / ١٣٨٩ م)، الموافقات، تحقيق: تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (د. م، دار ابن عفان، ١٩٩٧ م)، ج٤، ص ٢٣١؛ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ)، ص ٤٨.

(٤) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٨٤٦.

(٥) مصطفى صادق بن عبد الرزاق، وحي القلم، ط١، (د. م: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م)، ج٢، ص ٢٧.

(٦) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، (د. م، دار الفكر العربي، د. ت)، ص ٤١١.

(٧) الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٠ م)، ج٢، ص ٢٨٢.

(٨) سورة فصلت، الآية ٤٠.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ} ^(١)، إذ إنه وإن كان ظاهر الأمر التفويض ألا أن الباطن فيه الوعيد والتهديد لهم ^(٢).

أما العلم الباطني فهو العلم الخفي الذي خصص لمعرفة الخفيات والأسرار، مثل علم الحروف، أو الجفر، إذ يدعي أصحاب هذا العلم أنهم يعرفون من خلاله كل الحوادث، وحتى انقراض العالم، كما أطلق اللفظ على كل تعليم يختص به عدداً محدداً من الأشخاص ولا يظهره إلا لأنفسهم، أو من يكونون مقام أنفسهم لا اعتقادهم أن هذا العلم خاص بأهله ^(٣).

أما الفلاسفة المسلمين فذهبوا بمذاهب شتى أبان تعريفهم للباطن فعرفه الفيلسوف والطبيب جابر بن حيان (ت: ١٩٨ هـ / 815 م) ^(٤) على أنه " العلم بعقل السنن وأغراضها الخاصية اللائقة بالعقول الإلهية"، أما الفارابي (ت: ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ^(٥) فقد عرفه على أنه الحس المشترك أي أنه عبارة عن شيء من الإدراكات للملكوت مثل الأحوال والأمور التي تتعلق بالإخبار عن الغيب، إذ يرى أن القوة والتي يسميها المتخيلة تكون عند قسم من الناس من الشدة الغالبة إذ إنه لا يمكن للحواس الظاهرة أن تستولي عليها فتكون لهم قوة في الباطن.

في حين أن الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) عرفه بأنه: الباطن هو الروح والحياة ^(٦)، وكذلك عرفه على أنه جزء من علم الفقه واسماه علم المكاشفة إذ قال عنه بأنه غاية العلوم، وإن من لم يكن له نصيب في هذا العلم فقال إنه يخاف عليه سوء الخاتمة، فهو يقسم الفقه إلى علمي المكاشفة والمعاملات ^(٧)، وأضاف تعريفاً آخر بقوله أن: "علم الباطن هو علم يقين المقربين، وثمرته الفوز برضا الله تعالى، ونيل سعادة الأبد، وبه تزكية النفس وتطهيرها، وتنوير القلب

(١) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٢) الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: د. حفي محمد شرف، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٩ م)، ص ٩٢.

(٣) صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، ١٩٥.

(٤) أبو موسى جابر، مجموعة مصنفات في الخيمياء والإكسير الأعظم، تحقيق: بيبير لوري، أرك هولمياري، ط ١، (بيروت: دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٨ م)، ص ٤٠.

(٥) أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان، فصوص الحكمة (شرح الغازاني وحواشي الداماد)، تحقيق: علي اوجبي، ط ١، (تهران: انجمن آثار ومفاخر فرهنگي، ١٣٨١ هـ)، ص ١٧٠.

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج ١، ص ١٥٨.

(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٩.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وصفاؤه إذ إنه ينكشف بذلك النور أمور جلية، ويشهد أحوالا عجيبة، ويعاين ما نمت عنه بصيرة"^(١).

أما الصوفية، واهل العرفان فلهم رأيهم في التعريف بالباطن وهذا ما نجده عند أبي طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ / ٩٩٦م)^(٢) أن الباطن هو علم متعلق بعلم الظاهر وهما لا ينفصلان ولا يستغني أحدهما عن الآخر، وهما كالقلب والجسم، كما يرى أن العلم ليس في السماء، أو في تخوم الأرض، أو البحار، وإنما هو موجود في القلوب يظهر من خلال التأدب بأخلاق الروحانيين، ثم أضاف تعريفاً آخر قائلاً: بأنه علم القلوب والذي يراه حقيقة للأيمان، وإن القلب هو مصدر هذا العلم فهو يعتبره فقيه متنور بالأيمان، وبه ينطق أحكام الله، وأطلق عليه اسم علم العلماء^(٣).

فيما يرى أبو نصر الطوسي (ت: ٣٧٨هـ / ٩٨٨م)^(٤)، أن علم الباطن هو علم أهل العرفان والتصوف؛ وذلك لكونهم لديهم مستنبطات استخرجوها من القرآن الكريم والحديث الشريف، وإن هذا العلم هو من أعمال القلب وهو متعلق بالجوارح والنعم الباطنة. أما عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ / ١١٦٥م)^(٥) فيرى أن الباطن هو أحد أنواع الفقه، والذي يأتي بعد تعلم الفقه الظاهر، والاعتزال واعتبره بمثابة الضياء الذي ينير طريق السالك إلى الحق (عز وجل).

وهذا ما أشار إليه ابن أبي نصر البقلي بقوله (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)^(٦) بقوله: "وأما صبغ الباطن، هو الذي كسا الله تعالى قلب آدم، ولهذا سجدت الملائكة بين يديه". وقال عمر السهر وردي (ت: ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)^(٧) بأنه العلم الذي يزداد فيه العبد باليقين وهو يكتسب من خلال مجالسة الصالحين والعلماء والزاهدين المقربين والصحبة، أما حاجي خليفة

(١) الباكستاني، إحسان إلهي ظهير (ت: ١٤٠٧هـ)، التصوّف: المنشأ والمصادر، ط ١ (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٨٦ م)، ص ٢٤٨.

(٢) علم القلوب، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص ٥٢.

(٣) محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: باسل عيون السود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٢١٠.

(٤) عبد الله بن علي، اللمع في التصوف، تحقيق: رنولد الن نيكلسون، (لندن: مطبعة بريل في مدينة ليدن، ١٩١٤م)، ص ٢٤.

(٥) الفتح الرباني والفيض الرحمانى، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، ط ١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م)، ص ٦١.

(٦) أبي محمد صدر الدين روزبهان، عرائس البيان في حقائق القرآن، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ٦٣.

(٧) عوارف المعارف، تحقيق: أ. د أحمد عبد الرحيم السايح المستشار وتوفيق على وهبة، ط ١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٣٩.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

(ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) ^(١) فيقول إن علم الباطن عند المتصوفة هو "هو معرفة أحوال القلب والتخلية ثم التحلية وهذا العلم يعبر عنه بعلم الطريقة والحقيقة أيضا".

من كل ما سبق نخلص إلى أن الباطن في كل شيء هو متعلق بالجزء الخفي، أو الجوهر، أو الماهية الحقيقية للأشياء الظاهرة، مثل الروح في الجسد، فالجسد الظاهر يفنى، أما الروح فهي الحقيقة الباطنة للإنسان وهي باقية، وإن هذا الجزء المادي الظاهر ما هو إلا دليل على وجودها، وغلاف لحفظها، وكذلك الحال في الظاهر فهو دليل يدل على المعاني الباطنة، وغلاف يحفظها من التلف والضياع والانكشاف، فهو في حاله كحال الثمرة، فالقشر الظاهر ما هو إلا غلاف يحفظ الثمرة، ودليل يدل عليها، أما الباطن فهو الثمرة المرجوة.

^(١) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م)، ج ١، ص ٢١٨.

المبحث الثالث

موقف الفرق والمذاهب الإسلامية من فكرة التأويل

لقد اتسعت مجالات ونطاقات التأويل في الفكر الإسلامي وتنوعت وذلك بحسب مشاربيها الفكرية التي انطلقت منها، إذ ارتبط التأويل حاله حال بقية العلوم والمعارف الأخرى بالأفكار المتضاربة، والمتباينة، إذ كان إثر نشوء المذاهب، والفرق، قد القى بضلاله ليس على الجوانب الدينية والسياسية فحسب، وإنما شمل الجوانب العقلية والفكرية.

وقد أشار أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)^(١) إلى الحالة التي كانت عليها المذاهب والفرق في بيان رأيها بقسم من المسائل الخلافية^(٢) ومنها التأويل فيقول: "اعلم: أن هذا الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور، بل تحته كل الغور؛ لأن كل فرقة تكفر مخالفتها، فتنسبه إلى تكذيب الرسول: فالحنبلي يكفر الأشعري زاعماً أنه كذب الرسول في إثبات جهة فوق الله تعالى، وفي الاستواء على العرش. والأشعري يكفره زاعماً أنه شبه وكذب الرسول في أنه ليس كمثله شيء. والأشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له. والمعتزلي يكفر الأشعري زاعماً أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول في التوحيد"، فرسم الغزالي بذلك صورة لما كان يعانيه المجتمع الإسلامي المنقسم على مذاهب وفرق يكثر بينها الخلاف والاختلاف والجدال والاقتتال، ومحاولات لتغليب كل جهة لأفكارها وأراءها.

كما صرح ابن رشد (ت: ٥٩٥ هـ / 1198 م)، عن حالة المذاهب والفرق وتعاملها مع الشريعة إذ يقول: أن كل واحدة منها جاءت بتأويل في الشريعة بخلاف التأويل الذي جاءت به الجهة الأخرى، وكانت كل جهة تزعم انها جاءت بالمقاصد التي يريدوها الشرع، وكان من نتيجة ذلك التمزق في الشرع والانحراف عن قصده الأول، ثم يبين ما فعلته المذاهب والفرق بالشرع من جهة التأويل سواء الخوارج، أو المعتزلة، أو الأشعرية، أو الصوفية، ثم يتحدث عن النكبة

(١) أبو حامد محمد بن محمد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ط١، (بيروت: دار المنهاج، ٢٠١٧م)، ص٥٦.

(٢) ينقل بعض الأعلام عن السبب المباشر في الاختلاف بين الفرق، والمذاهب في اعتقاداتهم، وأفكارهم، وموضوعاتهم، إذ يعزون ذلك إلى عدم الالتزام، والتمسك بمذهب أهل البيت (عليهم السلام). الحميري النجفي، محمد بن فرج (ت: حدود ١١هـ)، مخطوط أبواب الجنان، والرسائل الثمان، نسخة خطية مصورة في مكتبة التراث الشيعي.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

التي حصلت بمجيء أبي حامد الغزالي، والذي قام بعرض الحكمة جميعها على العامة أو الجمهور مع عرض آراء الحكماء^(١).

وكان التأويل قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بما كان عليه المجتمع في تلك الفترة محكوماً بنطاق مليء بالنعرات الخلافية، للمذاهب والفرق، والمفاهيم المختلفة بين علمائهم وفقهائهم، فضلاً عن الفلاسفة، وعلماء الكلام، مما كان له الأثر في إثراء الجوانب المعرفية والنصوص بمعانٍ جديدة بحسب الاختلافات الناشئة فيما بينهم^(٢).

ويلاحظ الدارس للمذاهب والفرق على الامتداد التاريخي لها، أن التأويل كان عاملاً مهماً من عوامل الاختلاف، أو الافتراق، أو الخلاف، وهذا بدوره يعود إلى إشكالية التأويل نفسها والتي تتعلق باللفظ والمعنى، وتجاوز مدلول المعنى الظاهر، إلى معنى جديد قد يكون ذا معنى مغاير للفظه، ولذلك أصبح التأويل سلاح ذو حدين، للمذاهب والفرق والمتكلمين والباحثين والفلاسفة، إذ إنه عد وسيلة لمرونة الشريعة وحيويتها من جهة، ووسيلة للتحريف والتلاعب بمدلولات النصوص من جهة أخرى^(٣).

وينبغي الإشارة هنا إلى أن مواقف المذاهب والفرق في مسألة التأويل لم تخرج من نطاق ثلاثة اتجاهات متباينة، إذ كان كل اتجاه منها يحاول إثبات وجهة نظره عن طريق أدلته، ومبانيه الفكرية التي يؤمن بها وهي على النحو الآتي:

أولاً: أصحاب الاتجاه الأول الرافض لفكرة التأويل

وهم الذين تبنوا القول بتحريم التأويل وعطلوا العمل به، وهذا الاتجاه يشمل المفوضة وهم الذين حرّموا التأويل وذهبوا إلى تعطيل تفسير آيات الكتاب التي تتحدث عن الصفات وتحريم الكلام في بيان معانيها مطلقاً، وهو مذهب عدد من القدماء من رواة الحديث، وتابعهم عدد من المتأخرين، وكذلك الذين ذهبوا إلى تحريم التأويل ووجوب تفسير الآيات التي تتحدث عن الصفات بمعناها الظاهر والحسي، فقالوا أن الله يداً، ورجل، وعينان، وغيرها من الصفات

(١) ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٥٩٥هـ / 1198 م)، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ط١، (بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م)، ص٦٩.

(٢) فيدوح، عبد القادر، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، ط١، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، صص ١١-١٢.

(٣) خالد، بلمصاليح، التأويل وأثره في نشأة الفرق، مجلة المعيار، منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت، الجزائر، العدد الثاني، ٢٠١٠م، ص٥٥.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الحسية^(١)، وقد تكلّموا وكتبوا واصدروا الفتاوى لبيان رأيهم في تحريم التأويل أو تركه وتعطيله وعدم الخوض فيه، كما الفوا الكتب في توضيح هذه المسألة ومنها كتاب (إبطال التأويلات) لأبي يعلى الفراء (ت: ٤٥٨هـ-١٠٦٦ م)^(٢)، و(كتاب ذم التأويل) لأبن قدامة المقدسي (ت: ٣٣٧هـ/٩٤٨ م)^(٣)، وهو بذلك يكون الاتجاه الذي تبناه المعطلة والمشبّهة والمجسّمة.

وقد استدّلوا هؤلاء في أثبات منهجهم على عدد من النصوص لعلمائهم وأئمة مذاهبهم ومنها ما جاء عن أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ/٧٦٧ م)^(٤) قوله: "وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته، أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف"، وهذا ما أكدّه أيضاً ابن قتيبة الدينوري بقوله: (ت: ٢٧٦هـ-٨٨٩ م)^(٥)، والذي أوضح فيه أن التأويل باطل لا يجوز العمل به ويبيّن أن هذا هو الأجماع للسلف: "لقد أجمع السلف على أن هذا التأويل الذي ذهب إليه هؤلاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، ومتأخرو الأشاعرة، هو تأويل باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو قول لا أصل له في لغة العرب، بل هو تفسير لكلام الله بالرأي المجرد، لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون قول السلف".

ومنها ما قاله الفقيه الحنبلي محمد بن الحسن الشيباني "اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صفة الرب (عز وجل) من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق

(١) مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، العقائد الإسلامية، عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشريعة، ط١، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، (قم، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص٥١.
(٢) للاطلاع أكثر ينظر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦ م)، إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، ط١، (الكويت: دار إيلاف الدولية. دت)، ص٧١.
(٣) للاطلاع أكثر ينظر ابن قدامة المقدسي نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٣٣٧هـ/٩٤٨ م)، ذم التأويل، تحقيق: بدر بن عبد الله بدر، ط١، (الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ)، ص١١-٢٤.
(٤) النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الفقه الأكبر، ط١، (الإمارات: مكتبة الفرقان، ١٩٩٩ م)، ص٢٧.
(٥) أبو محمد عبد الله بن مسلم، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، (د. م، دار الراية، ١٩٩١ م)، ص٥٣.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء^(١) إذ يشير الحديث فيما يشير إلى الأجماع بين علمائهم على تحريم التأويل.

وذكر ابن عبد البر (٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م)^(٢)، وهو أحد فقهاء المالكية في مسألة التأويل على أن أهل السنة جميعهم يقرّون بالصفات التي وردت في القرآن الكريم كما هي عليه، من دون مجاز أي من دون تأويل وينتقد الفرق التي تأول الصفات: "أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة".

وما أشار إليه أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م)^(٣)، في جوابه لأحد طلبته حول مسألة التأويل ورأيه فيها، إذ أشار أن عقيدة الأئمة هي ترك التأويل ويعتقد أن الأولى اتباع أجماع أئمة المذاهب والصحابة: "اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها، وأجرواها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في أي الكتاب، وما يصح من سنن الرسول صلى الله عليه واله وسلم، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها: وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقلاً اتباع سلف الأمة، فالأولى اتباع وترك الابتداع، والدليل السمع القاطع في ذلك أن أجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيهم وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغاً و محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها

(١) نقلاً عن اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: ٤١٨ هـ / ١٠٢٨ م)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط ٨، (السعودية: دار طيبة، ٢٠٠٣ م)، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري، ط ١، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ)، ج ٧، ص ١٤٥.

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط ١، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٢ م)، ص ٣٢-٣٣.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرف عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي دين أن يعتقد تنزه الله عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب تبارك وتعالى".

أما أبو يعلى في كتابه أبطال التأويل فأضاف قائلاً: أن آيات القرآن تنقسم على محكم ومتشابه، وإن المحكم كما ذهب هو نفسه التنزيل، وهو يعرف بظواهره من دون تأويل، أما المتشابه فهو لا يعلم تأويله أحد ألا الله وقد استند في ذلك إلى قوله تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب"^(١).

وقد افرد فصلاً في كتابه لإثبات عدم جواز تأويل الصفات ولا حتى تفسيرها ومن ضمن ما جاء فيه قوله الذين يبين فيه أجماع أهل مذهب السنة على هذا الرأي "أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبهه"^(٢).

أما أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)^(٣) فيشير إلى انقسام المذاهب الأربعة واتباعهم في مسألة التأويل لا تخرج عن قولين، الأول ينفي وجود البواطن في ظواهر الكلام، أي ينفي التأويل من الأصل ووفق هذا المسلك يكون التأويل باطلاً، والقسم الآخر يذهب إلى ترجيح احتمالية وجود الكنايات للبواطن، ولكنهم يقولون أن الرسول (صلى الله عليه واله) لم يأذن بالتصريح بهذه البواطن، وإظهار تأويلاتها، وبذلك يكون التأويل في مسلك هؤلاء ليس باطلاً فحسب وإنما هو حرام شرعاً، ومحذور استعماله، ومن يعمل به فهو آثماً، وفاجراً، ومتجاوزاً لأمر الشريعة، وأن هذا الرأي كما يشير الغزالي هو رأي متفق ومجمع عليه: "إذ يتيقن قطعاً أن القائل قائلان قائل يقول لا باطن لهذه الظواهر ولا تأويل لها فالتأويل باطل قطعاً

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت: ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م)، إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، ط ١، (الكويت: دار إيلاف الدولية، د.ت)، ج ١، ص ٥٩، ص ١٤٩.

(٣) فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت)، ص ٦٤-٦٥.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وقائل ينقدح له أن ذلك يمكن أن يكون كنيات عن بواطن لم يأذن الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصرح بالبواطن بل ألزمه النطق بالظواهر فصار النطق بالبواطن حراما باطلا وفجورا محظورا ومراغمة لواضع الشرع وهذه التأسيسة بالاتفاق فليس أهل عصرنا مع بعد العهد بصاحب الشرع وانتشار الفساد واستيلاء الشهوات على الخلق وإعراض الكافة عن أمور الدين أطوع للحق ولا اقبل للسر ولا آمن عليه ولا أخرى بفهمه والانتفاع به من أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأسرار والتأويلات أن كان لها حقيقة فقد أقفل أسماعهم عنها وأجم أفواه الناطقين عن اللهج بها ولنا في رسول الله أسوة حسنة في قوله وفعله فلا نقول ألا ما قال ولا نظهر ألا ما يظهر ونسكت عما سكت عنه".

وينقل الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ-١١٥٣م) ^(١)، أن السلف من كبار الصحابة وأئمة المسلمين مثل مالك بن انس، ومقاتل بن سليمان، واحمد بن حنبل فلم يتعرضوا للتأويل وإنما تقبلوا ما ورد في القرآن الكريم، والسنة على ظواهره من دون تأويل بقوله "فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل: مالك بن أنس، ومقاتل بن سليمان، وسلخوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن علم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات".

أما ابن العطار (ت: ٧٢٤هـ / ١٣٢٤ م) ^(٢)، والذي يعد من شيوخ المدرسة النورية بدمشق فيقول في كتابه: الاعتقاد الخالص، بإمكانية الرؤية لله تعالى في الآخرة وان التسليم بها لازم، ويرى أن تأويل الصفات، والمعاني الخاصة بالربوبية ينبغي تركه: "رؤية الباري عز وجل في دار السلام واجبة الإيمان بها من غير اعتبار بوهم، ولا تأويل بفهم، ولا إحاطة ولا كيفية، إذ تأويلها وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية؛ تركه، ولزوم التسليم، وهو دين المرسلين"

وقد ذكر العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) ^(٣)، أن بعض الفرق، والمذاهب الإسلامية، ومنهم الحنابلة يذهبون إلى تشبيه الله تعالى واسماهم أهل الظاهر، أي الذين كانوا لا يجيزون التأويل، وينقلون أخبار الصفات على ظاهرها بقوله: "أطبق العقلاء على ذلك إلا أهل الظاهر،

^(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، (دمشق: مؤسسة الحلبي، ١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٠٤.

^(٢) علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق: الدكتور سعد بن هليل الزويهري، ط ١، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١١م)، ص ١٣٣.

^(٣) جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، نهج الحق وكشف الصدق، تحقيق: السيد رضا الصدر والشيخ عین الله الحسني، (قم: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، ١٤٢١هـ)، ص ٥٥.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

كداود، والحنابلة كافة، فإنهم قالوا: إنه تعالى جسم يجلس على العرش، ويفضل عنه من كل جانب ستة أشبار بشبره، وأنه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار، وينادي إلى الصباح: هل من تائب، هل من مستغفر وحملوا آيات التشبيه على ظواهره".

ونقل الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ^(١) في كتبه، ومصنفاته المختلفة التي ذكرت التأويل، وموقف أئمة المذاهب مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماة ابن سلمة وحماة بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه مثل مذهب في مسألة الصفات بقوله: " أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور من غير كيف يتوهم فيها ولا تشبيه ولا تأويل قال ابن عيينة كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره؛ ثم قال أي هو على ظاهره لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل".

ويؤيد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) ^(٢) ما ذكره سابقه في مسألة الصفات أن مذهب السلف من الصحابة، أو التابعين قائم على إيرادها كما هي في الظاهر من دون تأويل لها، وزجر كل من يحاول أن يخوض في ذلك بتأويل، أو غيره بقوله: "أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل. وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القول والقليل، وقالوا: قال الله هكذا، ولا ندري بما سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لا نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته. فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين".

^(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العلو للعلو الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م)، ص ٢٦٣.

^(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، التحفة في مذاهب السلف، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ط ١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥ هـ)، ص ٣٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وينقل الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) ^(١)، في تفسيره عن أمساك غالبية أهل السنة والجماعة عن العمل بالتأويل، وهذا معناه تعطيل التأويل "أن طريقة كثير من العلماء الأعلام وأساطين الإسلام الإمساك عن التأويل مطلقاً مع نفي التشبيه والتجسيم منهم الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام أحمد والإمام الشافعي ومحمد بن الحسن وسعد بن معاذ المروزي وعبد الله بن المبارك وأب معاذ خالد بن سليمان صاحب سفيان الثوري وإسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل البخاري والترمذي وأبو داود السيسستاني".

أما ابن عثيمين فيرى أن أهل الجماعة والسنة يقولون بوصف الله تعالى بما وصف نفسه من دون تحريف، إذ لم يعبر بكلمة تأويل وإنما استعمل كلمة تحريف بدلاً عنها؛ وذلك لأنه يرى أن الفرق التي ذهبت على خلاف رأي السنة والجماعة وأولت أنما هي في حقيقتها قد حرفت القول، وأنها استعملت كلمة التأويل للتخفيف من وطأة كلمة التحريف حتى لا تنفر منهم الناس، وبهذا يجعل كلمة التحريف مرادفة لكلمة التأويل وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على القول بتحريم التأويل: "فأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف، يعني: تغيير اللفظ أو المعنى. وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلاً ويسمون أنفسهم بأهل التأويل، لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول، لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه، لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف، لأنه ليس عليه دليل صحيح، إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: تحريفاً ولو قالوا: هذا تحريف، لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم" ^(٢).

ولا يفوتنا في هذا أن نشير إلى موقف ابن تيمية الرافض لكل أنواع التأويل عند كل الفرق الكلامية، والفلسفية، وأغلاق باب التأويل، وهذا الموقف المتشدد من ابن تيمية يراه البعض لقطع الطريق على أهل البدع، والأهواء لمنع تأويلاتهم التي يعبر عنها بالفاسدة ^(٣)، إلا أن ذلك لا يصح بأي وجه من الأوجه، لأن ذلك معناه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، وروايات الرسول (صلى الله عليه واله)، والتي تؤكد على أهمية التأويل.

^(١) الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، (د. م، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ج٨، ٤٧٢.

^(٢) محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م)، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، ط٦، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ)، ج١، ص٨٧.

^(٣) زر زور، عدنان محمد، التأويل عند ابن تيمية في سياقه التاريخي، مجلة مركز البحوث للسنة والسيرة، كلية الشريعة جامعة قطر، العدد ٧، للسنة ١٩٩٤، ص١٢٣-١٢٤.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وأشار السيد محمد حسين الطباطبائي، بأن الأغلب الأعظم من قدماء المذاهب الإسلامية من أهل الجماعة والسنة والحنفية أن تأويل كل المتشابه لا يعلمه إلا الله، وأنه استأثر بهذا العلم نفسه، واستدلوا لإثبات مذهبهم على روايات، ونصوص أوردوها في كتبهم ومصنفاتهم^(١).

ثانياً: أصحاب الاتجاه الثاني القائلين بجواز التأويل أو عدم جوازه

تباينت آراء أصحاب هذه المذاهب، والفرق بين، وجوب التأويل في بعض المسائل، وبين الجواز، أو عدمه وفق شروط وظروف معينة، إذ رأوا أن في قسم من نصوص القرآن الكريم ما يجب تأويله، لتلافي ما يحصل من تناقض فيه، أو تشبيه، أو مخالفة، وهناك ما يجوز التأويل فيه وفق قاعدة الشمولية والحيوية، وقسم لا يجوز تأويله وهي النصوص المحكمة والتي فيها الأدلة القطعية الثابتة مثل الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وقسم آخر استخدموا التأويل وفق تصوراتهم، وافكارهم المتطرفة مثل الخوارج، وهناك من استخدم التأويل في جوازه، وعدم جوازه وفق مبناه الفكري، والعقدي مثل، المعتزلة، وقسم من الأشاعرة، وقسم من الشافعية.

أما الخوارج فجّوزوا التأويل وكانوا يُحرّفون النصوص القرآنية ويتأولون فيها وفق أهوائهم بلا دليل نقلي أو ضابطة شرعية، إذ تحكمت فيها العصبية والأهواء، فتأولوا في قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} (٢)، وذهبوا وفق هذا النص إلى القول بأن الكفر يكون عاصم للكفار وفق تأويلهم الخاطي، ولذلك لم يتعرضوا للمشركين بالقتال، بينما كانوا يستحلون لدماء، وأعراض، وأموال المسلمين، حتى أن المسلم صار ينكر إسلامه إذا وقع في قبضتهم، وكذلك وصل بهم الحال إلى قتل أطفال المسلمين غير المكلفين بذريعة التأويل، متأولين في قوله تعالى (٣): {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} (٤).

وقد نهى الإمام علي (عليه السلام) عن محاجة الخوارج بالقرآن، وذلك لأنه يحمل في طياته الكثير من المعاني، وفنون الكلام، وهذا يعطيه حيوية، وقد استغلت قسم من المذاهب، والفرق هذه الخاصية للتلاعب بالنص المقدس، وتوجيهه بما يناسب أطرها الفكرية والعقدية ففي

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٣، ص ٥٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

(٣) مهرا، محمد بيومي، الإمامة وأهل البيت، ط ٢، (د. م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥م)، ص ١٤٩-١٥٠.

(٤) سورة نوح، الآية ٢٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وصيته لأبن عباس عندما أرسله للاحتجاج عليهم قال له: " لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً"^(١).

بينما نلاحظ أن الشافعي كان متردداً في مسألة التأويل فمرة يذهب إلى ما ذهب إليه السلف من أن التأويل هو بمعنى التفسير، ومرة أخرى يقبل صحة حكمين مختلفين في مسألة واحدة ويرجع ذلك إلى التأويل، لانتساع نطاق اللغة، ألا أنه يرجع ويقول: أن أحكام الشريعة، والسنة واضحة، ونادراً ما يأتي فيها التأويل "ومسح رسول الله -صلى الله عليه وسلم -على الخفين فأنكر المسح علي بن أبي طالب وعائشة وابن عباس وأبو هريرة وهؤلاء أهل علم بالنبي -صلى الله عليه وسلم -ومسح عمر وسعد وابن عمر وأنس بن مالك وهؤلاء أهل علم به والناس مختلفون في هذه الأشياء وفي كل واحد منها كتاب أو كتاب وسنة قال: ومن أين ترى ذلك؟ فقلت: تحتمل الآية المعنيين فيقول أهل اللسان بأحدهما ويقول غيرهم منهم بالمعنى الآخر الذي يخالفه والآية محتملة لقولهما معا لانتساع لسان العرب وأما السنة فتذهب على بعضهم وكل من تثبت عنده السنة قال بها إن شاء الله ولم يخالفها لأن كثيراً منها يأتي واضحاً ليس فيه تأويل"^(٢).

وقد عملت أيضاً بعض المذاهب على تضيق مسألة التأويل وتحجيم نطاقه ودائرته الحركية، ومنهم المعتزلة، والأشاعرة، فهم عملوا بالتأويل وجوّزوه، ألا أن ذلك جعله مشروطاً بشروط، وقننوه وفق قواعد، وضوابط محددة، ومنها انهم اشترطوا لأجل نقل المعنى من معناه الأصلي الظاهر إلى معنى مجازي آخر، هو وجود القرينة الدالة على ذلك، وبدون القرينة لا يجيزون التأويل، ومن الشروط التي اشترطوها أيضاً لجواز التأويل هي أنها من مختصات الجماعة وليس الأفراد^(٣).

إذ أكدوا على انه من الضروريات التي يجب اتباعها في العملية التأويلية هي التمسك ببرهان العقل، فجوزوا تأويل ظواهر النقل بما يتوافق مع مقتضيات وثوابت العقل، أن كان هذا النقل يتعارض مع أحد البراهين العقلية، فبرهان العقل عندهم لا يجوز ردّه، وأنه على المتأول

(١) ابن عطية، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، ج ٢، ص ١٣٣.

(٢) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد المناف (٢٠٤ - ٨١٩م)، الأم، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠م)، ج ٧، ص ٢٧٩.

(٣) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي "دراسة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية"، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م)، ص ٢٧٣-٢٧٤.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

تقديم البرهان العقلي على النقلي وفق مقتضيات الضرورة^(١)، فالمعتزلة مثلاً اجمعوا على أن الله لا يرى بالأبصار ألا أنهم اختلفوا في مسألة رؤية الله في القلوب، إذ ذهب أبو الهذيل وأكثر المعتزلة، إلى تأويل رؤية الله بالقلوب وذلك من خلال العلم القلبي الحاصل في القلب، بينما أنكر هذا القول كل من عباد بن سليمان، وهشام الفوطي^(٢).

وهذا ما أكدّه أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)^(٣) بقوله: أن قسماً من المذاهب الإسلامية قد ذهبت إلى الاقتصاد، أو تقنين التأويل مثل الأشاعرة الذين أطلقوا باب التأويل في قسم من المسائل ومنها ما يتعلق بصفات الله تعالى، فيما منعوا التأويل في مسائل الآخرة، وأجروها على ظواهرها، فيما زاد المعتزلة في تأويل مسائل الصفات لله تعالى، ولكنهم أولوا قضايا الآخرة مثل عذاب القبر، والحشر، والميزان، والجنة وغيرها "وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في بعض ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعاً بصيراً وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشروبات والملائك المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقّيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه إلى الأم عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس".

أما البعض من الإمامية ذهبوا إلى تنوع إشارات التأويل في القرآن فمنها ما كان تأويله في تنزيله إذ أن كل آية نزلت وفيها ذكر لتحديد الحلال والحرام فلا تحتاج لتأويل نظير قوله تعالى: **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ}**^(٤)، ومنها ما كان تأويله قد جاء مع تنزيله، نظير قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ}**

(١) سليم، منى محمد، التأويل عند المعتزلة وأثره على الفكر الباطني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد ١٥، العدد ٢، ١٩٩٩م، ص ١٠٥٦.

(٢) الأشعري، علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م)، مقالات إسلامية واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتير، ط ٣، (المانيا: دار فرانز شتاينز، ١٩٨٠ م). ويرى الشيخ جعفر السبحاني أن المعتزلة في مسألة التأويل كانوا يترددون بين حالين: بين التأويل المقبول والذي يكون فيه تأويلهم معتمد على الشواهد والقرائن، والتي تثبت أن المراد الأولي، أو التصور الأولي أو المعنى الظاهر ليس هو المراد، إذ يستندون على الآيات المحكمة لتأويل المتشابهات، أما التأويل المرفوض، فهو ما لا يعتمدون فيه على الدلائل أو القرائن النقلية، وإنما على اجتهاداتهم العقلية. السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج ٣، ص ٤٤٦.

(٣) قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، (لبنان: عالم الكتب، ١٩٨٥ م)، ص ١٣٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٢٣.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ^(١)، إذ لم يكتفِ المسلمون بتنزيلها فحسب وإنما بين لهم الرسول (صلى الله عليه واله) معنى أولي الأمر في الخطاب القرآني، وهناك التأويل قبل التنزيل إذ كانت هناك ظواهر موجودة قبل الإسلام مثل الظهار، إذ إنه استعلم عن حكمها ونزل فيها الحكم، وهناك تأويل بعد التنزيل مثل أخبار النصر على الأعداء، والقائم، والرجعة وغيرها^(٢).

بينما ذهب قسم آخر من الأمامية إلى أن الآيات التي فيها نصاً صريحاً تعضدها أدلة نقلية كثيرة لأهل بيت العصمة (عليهم السلام) وهي صريحة أيضاً، فتؤخذ على ظاهرها ولا يجوز العدول إلى تأويلها لخلاف ظاهرها وأن كانت تقبل التأويل؛ وذلك وفق قاعدة الدليل النصي (النقلي)، والأجماع بوجوب أن تحمل على الحقيقة، مثل أحاديث الرجعة^(٣)، وهذا ما أشار إليه العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م)^(٤)، بقوله: "فأما إذا لم يدل عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره".

وينقل السيد الخوئي^(٥) في صراطه على وجوب التأويل في حال قامت القرينة على ذلك ووجوب صرفها عن ظواهرها، مثل آيات التجسيم "إن كل آية قرآنية قامت القرينة العقلية على خلاف ظاهرها وجب صرفها عن ظاهرها بمقتضى القرينة، وهذا هو الموافق لبناء العقلاء في العمل، بمقتضى القرينة القائمة على خلاف الظاهر، وهو ديدن العلماء".

ثالثاً: أصحاب الاتجاه الثالث القائلين بوجوب التأويل

وهم القائلون بوجوب التأويل وإن لكل ظاهر باطن خفي ويشمل هذا القول قسمين من المذاهب أو الفرق وهما المذهب الصوفي، والمذهب الإسماعيلي، فذهبت قسم من الفرق الصوفية إلى تقسيم الدين على نوعين هما: قسم الشريعة، وقسم الحقيقة، والشريعة عندهم هي مجمل الأحكام الظاهرة، أو ما تُعرف بالأحكام العبادية التكليفية، أما الحقيقة فقد تمثلت بعلم

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١٣-١٤.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢ م)، الإيقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة، تحقيق: مشتاق المظفر، ط ١ (قم: دليل ما، ١٤٢٢ هـ)، ص ٦٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٧.

(٥) الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م)، صراط النجاة، تحقيق: الميرزا جواد التبريزي، ط ١، (قم: مكتب حضرت آية الله العظمى التبيري، ١٩٩٧ م)، ج ٣، صص ٤٤٤-٤٤٥.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الباطن الذي يحوي على الأسرار، والإشارات، التي هي تمثل حقيقة الدين عندهم، ولذلك تدرجت مفاهيم الدين عندهم بين العام والخاص، وبين التفسير المعنوي، والتأويل الباطني^(١).

ويذكر نصرُ السراج الطوسي (ت: ٣٧٨هـ / ٩٨٩م) في معرض حديثه حول كلام طائفة من القائلين بالظاهر إذ انهم يقولون إن لا علم ألا علم الشريعة والتي ورد في الكتاب وسنة الرسول (صلى الله عليه واله) ويشير إلى انتقادهم لقولهم بعلم الباطن والتصوف، ولذلك يجيبهم بما جاء في مذهبهم فيقول لهم بما مقتضاه بالرغم من صحة كلامكم بخصوص الشريعة علم واحد، ألا أن هذا العلم الواحد يتكون من شقين هما: علم الرواية وعلم الدراية أي علم الظاهر مثل أعمال الجوارح، وعلم الباطن مثل أعمال القلوب "أن علم الشريعة علم واحد وهو اسم واحد يجمع معنيين الرواية والدراية فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ولا يجوز أن يجرد القول في العلم أنه ظاهر أو باطن لأن العلم متى ما كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر غير أنا نقول أن العلم ظاهر وباطن وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والأحكام مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد وغير ذلك فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعقاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها فهذا كله على الجوارح الظاهرة التي هي الأعضاء وهي الجوارح ، وأما الأعمال الباطنة كأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال مثل التصديق والأيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والرضا والذكر والشكر والإنابة والخشية والتقوى والمراقبة والفكرة والاعتبار والخوف والرجاء والصبر والقناعة والتسليم والتقويض والقرب والشوق"^(٢).

ويرون أن علم الظاهر من أحكام وعبادات والالتزام به والمجاهدة فيه، مع التأمل والنظر يؤدي بالعبد إلى علم الباطن والذي هو علم المكاشفات والخواطر، أو ما يُعرف بالعلم الإشاري الذي انفردت به الصوفية، "روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

(١) قاسمي، مراد، التأويل الباطني: أسبابه، ومصادره (إخوان الصفا نموذجا)، مجلة التواصلية، جامعة اليكانتي، إسبانيا، العدد الرابع، السنة ٢٠١٥م، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ص ٢٣.

الله عليه وسلم إن من العلم كهينة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله" (١).

وقد وظّف الصوفية علم الباطن في تراكيب كلماتهم ومقاصدها ومعانيها، فكانوا يذكرون كلمة معينة لها معنى ظاهر ولكنهم لا يقصدون معناها القريب وإنما يذهبون إلى معناها الإشاري، ومقاصدها البعيد ومنها ما جاء على لسان علماء الصوفية قائلاً (٢):

علم التصوف علم لا نفاذ له علم سني سماوي ربوبي

فيه الفوائد لأرباب يعرفها أهل الجزالة والصنع الخصوصي

أما أصحاب المذهب الإسماعيلي يعتقدون أن التأويل هو مختصات أئمتهم وانهم يأخذون هذا العلم منهم، وانهم نقله وواسطة ويتضح هذا مما نقله القاضي النعمان من مجالسه ومسايراته مع أمامه المعز بالله الفاطمي: "وما ذا عسى أن يدّعي مدّع شينا من العلم إلا ما قد أثره عن آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا وعبيدنا. أثبتهم حديثاً وأصدقهم لهجة من يعبر عن المعنى الذي يحتمل التأويل والزيادة والنقص عند التحصيل، فذلك أفضل أم من نمّده بالهداية والفوائد والحكمة؟ وأبعد الناس والله من العلم وأقربهم من الجهل من تعاطى علماً لم يثبته عنا وادّعى حكمة لم يأخذها منا" (٣).

ولذلك فأنهم يذهبون إلى وجوب التأويل وفق مقتضى الأدلة العقلية، والأدلة النقلية التي لديهم والتي استنبطوها من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: {سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (٤)، وقوله تعالى {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} (٥)، فضلاً عن احاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه واله) بقوله: "أن الله أسس دينه على أمثال خلقه ليستدل بخلقهم على دينه

(١) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب (ت: ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٨٧.

(٢) الباكستاني، إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ط ١، (د. م، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م)، ص ٢٩٩.

(٣) القاضي النعمان، أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي القيرواني (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، المجالس والمسايرات، تحقيق: حبيب الفقي، وآخرون، ط ١، (بيروت: دار المنتظر، ١٩٩٦م)، ص ٢٧٦.

(٤) سورة فصلت، الآية ٤١.

(٥) سورة الذاريات، الآية ٢٠.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وبدينه على وحدانيته^(١)، والتي تدعوا إلى التأمل والنظر. إذ يرى الفاطميون أن القرآن الكريم معجزٌ لفظاً ومعنى، إذ أن إعجازه ليس في الفاظه فحسب، وإنما في معانيه، أي في تأويله، ألا أن إعجازه اللفظي هو أعجاز خاص بالعرب فقط، أما إعجازه بالمعنى أي التأويل فهو أعجاز عام لكل البشرية، وهم في ذلك يخالفون المعتزلة، الذين يقولون بالإعجاز بالمعنى (التأويل) ألا أنهم ينكرون الأعجاز باللفظ وذلك لأنهم يذهبون إلى أن هناك الكثير ممن يستطيعون الإتيان بألفاظ القرآن ألا أن الله صرفهم عنها، مثل قول النظام وعيسى بن صبيح من أئمة المعتزلة^(٢).

ويقول الشيخ جعفر السبحاني في مسألة تأويل الظواهر للمذهب الإسماعيلي، بأنه إحدى الدعامات الأساسية التي يقوم عليها مذهبهم، وإحدى الميزات والدعامات التي تميزوا بها عن سواهم من الفرق الشيعية^(٣).

من كل ما سبق نستنتج أن المذاهب والفرق الإسلامية كانت متفاوتة ومختلفة في قضايا التأويل بين محرم ومجوز وموجب، وبين من وضع شروط والزامات، أو قننها وأطرها بجانب دون آخر، ولابد من الإشارة إلى أن معنى التأويل عند المتقدمين اجمعوا على أنه يأتي بمعنى التفسير، وليس بمعنى صرف اللفظ عن معناه إلى معنى آخر، وقالوا أن هذا المعنى استعمل عند المتأخرين بعد ظهور علم الكلام والفلسفة، ألا أنه بعد الدراسة والتحقيق وجدنا أن هذا الكلام مجاني للحقيقة والصواب، وإن المسلمين استعملوه بمعنى صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى آخر، ومنذ عهد صدر الإسلام الأول وذلك من خلال الرجوع للروايات وجدنا روايتين لحادثة جرت في عهد الخلفاء تؤكد ما ذهبنا إليه، الرواية الأولى التي تتعلق بقضية قتل الصحابي مالك بن نويرة^(٤)، والتي جاء فيها ما نصه: " فأمر خالد مناديا فنأدى: أدفنوا

(١) الداعي المؤيد، أبو نصر هبة الله بن أبي عمران بن موسى بن داود (ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م)، المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي، تحقيق: محمد عبد القادر عبد الناصر، ط١، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م)، ص ١١٣.

(٢) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، ط١، دار الكاتب المصري، (القاهرة، ١٩٤٩م)، صص ١٠٠-١٠١.

(٣) السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ط٢، (قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤٢٨هـ)، ج ٨، ص ٨.

(٤) ملاحظة: أننا هنا لسنا بصدد شرح، وبيان لوقائع قضية تاريخية ادلى فيها العلماء الاعلام برأيهم، وادلتهم في ادانة خالد بن الوليد بقدر ما نريده من توضيح الاستعمال اللغوي للتأويل بما يدل على صرف اللفظ من معنى الى اخر مغاير له تماماً منذ الصدر الأول، وليبيان رأي العلماء الاعلام بقضية مقتل الصحابي الجليل مالك بن النويرة (رضوان الله عليه) ينظر كلاً من، ابن شاذان، الفضل الأزدي (ت: ٢٦٠هـ / ٨٧٤م)، الايضاح، تح: السيد جلال الدين الحسيني، ط١، (طهران: مؤسسة انتشارات، ١٣٥١هـ)، صص ١٣٣-١٣٤؛ الطبري الشيعي، محمد بن جرير (ت: أوائل ق ٤ هـ)، المسترشد، تح: احمد المحمودي، ط١، (قم: مؤسسة الثقافة الإسلامية،

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أسراكم، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دروا الرجل فأدفنوه، دفنه قتله وفي لغة غيرهم: أدفه فاقتله، فظن القوم وهي في لغتهم القتل أنه أراد القتل، فقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه^(١). إذ يتضح من الرواية المروية^(٢) في الكتب والتي يقر بصحتها أغلب أهل السنة والجماعة والسلف، والتي بموجبها تم تبرئة خالد بن الوليد من القتل العمد، أن في كلام العرب منذ الصدر الأول للإسلام، أن التأويل قد يأتي بمعنى صرف اللفظ، وإن السلف قد استعملوه بهذا المعنى، وبحسب الرواية انصرف لفظ دفنوا، أو أدفنوا من معناه الأصلي إلى معنى آخر مغاير عن معنى اللفظ الأول الظاهر والذي يراد به تدفئة الأسرى بسبب برودة الأجواء، فأنصرف اللفظ إلى معنى آخر هو القتل، ويتضح أن ذلك دارج ومعروف في بعض لغات العرب ومنها كنانة التي ذكرتها الرواية.

والرواية الثانية أيضاً تتعلق بنفس الحادثة وهي تنص: "عن ابن أبي عون وغيره أن خالد بن الوليد ادعى أن مالك بن نويرة ارتد بكلام بلغه عنه، فانكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام ما غيرت ولا بدلت وشهد له بذلك أبو قتادة وعبد الله بن عمر فقدمه خالد وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته، فقال لأبي بكر: إنه قد زنى فارجمه، فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه تأول فأخطأ، قال: فإنه قد قتل مسلماً فاقتله قال: ما كنت لأقتله تأول فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم أبداً"^(٣).

إذ يتبين أن خالد بن الوليد قد بين في الرواية أن قتله لمالك بن نويرة كان بسبب فهمه لكلام قاله مالك بخلاف ظاهره، ففهم منه أنه قد ارتد، إذ صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى

١٤١٥هـ)، ص ٢٥٦؛ المجلسي، محمد تقي (ت: ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م)، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ على پناه الاشتهااردى، ط ٢، (قم: مؤسسة فرهنگ اسلامي، ١٤١٣هـ)، صص ١٨٠-١٨١.

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط ٢، (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ)، ج ٣، ص ٢٧٨.

(٢) المروية هي: "كل ما نقل من معلومات تاريخية عن رواة كالمجالس العلمية، والمناظرات، والمسائرات، وغالباً ما يطلق ذلك على الأخبار التي نقلت عن الرواة الذين لم تصلنا نتاجاتهم سيما في المرحلة الشفهية من الرواية" الخفاجي، إياد عبد الحسين، زواج النبي محمد (صلى الله عليه واله) من السيدة خديجة (عليها السلام)، دراسة في مرويات الخطوبة، مجلة العميد، السنة ٧، العدد ٧، (كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية، ٢٠١٨م)، ص ٢٨.

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري (ت ٩٧٥هـ - ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، تحقيق: بكري حيانى وصفوة السقا، ط ٥، (د. م: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م)، ج ٥، ص ٦١٩.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

جديد آخر فهم منه خالد الارتداد فقتله، ما يؤيد ذلك هو رفض الخليفة أبو بكر لقتل خالد وقوله: تأول فأخطأ، أي صرف اللفظ إلى معنى آخر، ولكنه أخطأ في تأويله.

وبذلك يكون معنى التأويل (صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر) ليس من اختراع، أو استخدام المتأخرين، وإنما كان موجود منذ عهد الصحابة الأوائل.

المبحث الرابع

مشروعية وأهمية التأويل في الفكر الإسلامي

تنطلق أهمية التأويل في الفكر الإسلامي بصورة عامة من جوانب واطر عديدة، تشكل بعداً معرفياً مهماً كان لها الأثر الكبير في تشكيل الفكر الإنساني بصفة عامة والفكر الإسلامي بصفته الخاصة، وقد أشار إليها الكثير من العلماء، والمفسرين، والباحثين، مستدلين فيها بالنصوص القرآنية، والروايات الشريفة، والبحوث، والدراسات المستفيضة في هذه الجانب، ويمكن تلخيصها وعلى النحو الآتي:

أولاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به

تكاد تكون أهمية التأويل الأولى هي في سعيه الحثيث لأجل تنزيه الله تعالى ونفي عنه التشبيه^(١) والتجسيم^(٢) والتحيز^(٣) وفقاً للقاعدة الثابتة التي أسس لها القرآن الكريم **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**^(٤)، وإلى ذلك أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته "أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. استخلص الوجدانية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن. لا منازع له في شيء من أمره ولا كفو له يعادله ولا ضد له ينازعه ولا سمي له يشابهه ولا مثل له يشاكله..."^(٥).

(١) وهو الاعتقاد أو الأخبار بأن الله (جل وعلا) يشابه قسم من خلقه في ذاته. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦ هـ - ١٠٧٠ م)، رسائل الشريف المرتضى، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط ١، (قم: دار القرآن الكريم، ١٤٠٥ هـ)، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) وهو الاعتقاد بأن الله تعالى جسماً يشبه الإنسان من لحم ومن دم، ومن القائلين بذلك مقاتل بن سليمان، والفرقة الكرامية وهو في أصله من المعتقدات اليهودية الباطلة. الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط ٢، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠ م)، ص ٧٤٦.

(٣) وهو القول بأن الله تعالى جسماً يشغله، مثل الكتاب والذي له عرض وطول وعمق معين، وهو بذلك يشغل حيزاً معيناً، والتحيز هو إحدى مرتكزات ابن تيمية الفكرية والعقدية، إذ يقولون إن الله تعالى محدود بالجهات الستة له، فهما متلازمان له ولا ينفك أحدهما عن الآخر. الحيدري، كمال، التوحيد عند الشيخ ابن تيمية، ط ١، (طهران: دار مشعر، ١٤٣٣ هـ)، ص ١٣٩.

(٤) سورة الشورى، الآية ١١.

(٥) ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، (ت: ق ٤ هـ)، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ)، ص ٢٤٤.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

ومن خلال التمعن في قسم من النصوص القرآنية والاعتماد على ظاهر اللفظ وعدم الأخذ بالتأويل يؤدي ذلك إلى تشبيه الله تعالى وتجسيمه، فمثلاً أشارت آيات عديدة إلى ذكر الفاظ في التجسيم والتشبيه ومنها ذكر اليد: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} (١)، و{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (٢)، و{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٣)، أو ذكر الوجه، كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} (٤)، و{وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ} (٥)، و{ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٦)، و{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ} (٧)، أو ذكر ما يدل على الهيئة، أو الشكل، أو الجسم، كقوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٨)، و{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٩)، و{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (١٠)، وغيرها من الآيات التي تذهب نفس المذهب، ولذلك كان لابد من وجود التأويل، لأن الاعتماد على ظاهر القول يؤدي إلى مفسدات كبيرة، ومنها التجسيم، أو التشبيه، أو التحيز وغير ذلك من المفسدات، والأخطار (١١)، وهذا ما وقع فيه قسم من الفرق الإسلامية إذ ذهبوا إلى تجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه وهم المجسمة والمشبهة من الفرق الحشوية والتي انحرفت في منهاجها عن المنهج الذي رسمه القرآن، وذلك لإثبات العقائد الدينية الحقة، والتي تقوم على النقل والعقل مجتمعين؛ وذلك لأنهم اتجهوا إلى التطرف في الالتزام بالفهم الحرفي للنصوص (١٢).

فأجاز الحشوية ومنهم الحنابلة المصافحة واللامسة والرؤيا لله تعالى مستنديين في ذلك على الظاهر من الآيات التي وصف الله (سبحانه) فيها نفسه مثل لفظ اليد، أو العين، أو الوجه،

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

(٦) سورة الروم، الآية ٣٨.

(٧) سورة الروم، الآية ٣٩.

(٨) سورة القيامة، الآية ٢٣.

(٩) سورة الفجر، الآية ٢٢.

(١٠) سورة طه، الآية ٥.

(١١) الحيدري، كمال، أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، ط ٢، (قم: دار فراقده، ٢٠٠٦ م)، ص ٣٦٣.

(١٢) الشافعي، محمود، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط ١، (الباكستان: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ١٩٨٩ م)، ص ٦٩-٧١.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

إذ اثبتوها مادياً وتجسيمياً لله تعالى، فقاوسوا هذه الألفاظ على ما تناقلوه من أحاديث بما يتعارف عليه من الصفات للأجسام ^(١) كحديث "خلق آدم على صورة الرحمن" ^(٢) أو حديث "جاءني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد. قلت: لبيك ربي وسعديك. قال: هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال: قلت: لا أدري. قال: فوضع يده على صدري، فوجدت بردها بين كتفي-أو قال: فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها في صدري -فقال: يا محمد. فقلت: لبيك وسعديك" ^(٣) وسعديك" ^(٤) أو حديث "قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" ^(٥).

ولذلك ذهب الجمع من العلماء ومنهم السيد أبو القاسم الخوئي، إلى أن كل لكل آية من آيات الكتاب أن قامت القرائن العقلية بخلاف ظاهرها يجب صرفها عن الظاهر إلى الباطن بمقتضى تلك القرينة، ذلك مطابقاً لبناء أولي النهى في العمل، وهو ما يذهبوا إليه في تأويل آيات التجسيم، إذ حملوها على خلاف الظاهر ^(٦)، ولذلك بينما ذهب قسم من الفقهاء والمفسرين إلى رفض التأويل والتمسك بالظاهر أوقعهم هذا الأمر في شبهة التجسيم، أو التشبيه، ففسروا الساق مثلاً بمعناها الظاهر فنسبوا لله (جل وعلا) الساق، بينما تأويل الساق مجازاً عند العرب وكلامهم يقصدون منها الشدة، وهو امر دارج عندهم كقولهم: قامت الحرب على ساق، أي اشتدت، إذ يدرك بلغاء العرب أن لا رجل ولا يد للحرب، ولكنها جاءت كاستعارة ^(٧)، وبما أن القرآن الكريم جاء بلغة العرب وتحداهم فيها صناعة وسبكاً وبلاغة واستعارة ومعاني فلذلك استعمل أساليبهم نفسها وزاد عليها جمالاً، واتقاناً، ومعنى.

- (١) الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، ج ١، ص ١٤٣.
- (٢) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ص ٧٧؛ ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، ط ١، (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ)، ج ٧، ص ٢٤٤.
- (٣) البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ١، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٩٩٩ م)، ج ١، ص ٣١٥؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م)، المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية، ط ١، (السعودية، ١٤١٩ هـ)، ج ١٥، ص ١٦١.
- (٤) العراقي، الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ط ١، دار ابن حزم، (بيروت: دار العاصمة، ٢٠٠٥ م)، ص ٨٩٦.
- (٥) الخوئي، صراط النجاة، ج ٣، ص ٤٤٥.
- (٦) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٣، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ هـ)، ج ٣، ص ٢٢.

وكذلك فإن تفسير معنى قول الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ^(١)، قالوا في تأويل الوجه هو دينه والجهة التي يعبد منها، "كما نقل عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن منصور بن يونس، عن جليس لأبي حمزة الثمالي، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) قول الله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) قال: فيهلك كل شيء ويبقى الوجه، ثم قال: إن الله أعظم من أن يوصف، ولكن معناها كل شيء هالك إلا دينه والوجه الذي يؤتى منه" ^(٢)، كما قيل في تأويلها بأنه ما أريد به الله تعالى والتقرب إليه بالأعمال الصالحة ^(٣)، كما ذهب في تأويل الوجه إلى أنهم محمد وال محمد (عليهم السلام) على اعتبار أنهم الوجه الذي يؤتى منه "حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين عن بعض أصحابنا عن سيف بن عميرة عن ابن المغيرة قال كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه قال ما يقولون فيه قلت يقولون يهلك كل شيء إلا وجهه فقال يهلك كل شيء إلا وجهه الذي يؤتى منه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه" ^(٤).

أما معنى اليد في مقام الربوبية فهي تعني الإرادة مع القدرة، فجميع الأمور تكون تحت سلطانه وقدرته ^(٥)، ومن الآيات التي أشارت إلى هذا المعنى هي في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ^(٦) وقوله: {وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ^(٧) وفي قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} ^(٨)، وكذلك في قوله: {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ^(٩).

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٢) أبي حمزة الثمالي، ثابت بن دينار (ت: ١٤٨ هـ / ٧٦٦ م)، تفسير أبي حمزة الثمالي، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط ١، (قم: دفتر نشر الهادي، ١٤٢٠ هـ)، ص ٢٥٩.

(٣) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت: ٣٢٧ هـ - ٩٣٨ م)، تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم = تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط ٣، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٩ هـ)، ج ٩، ص ٣٠٢٨.

(٤) الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت: ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م)، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، تحقيق: ميرزا حسن كوجه، (طهران: مؤسسة العلمي للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ)، ص ٨٦.

(٥) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط ١، (طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ١٣٨٥ هـ)، ج ١٤، ص ٢١.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٧٣.

(٧) سورة الحديد، الآية ٢٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية ٥٧.

(٩) سورة المؤمنون، الآية ٨٨.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

ولذلك لابد من تأويل قسم من النصوص المتشابهة وذلك لأجل التخلص من الوقوع في الأخذ بظواهر النصوص التي تشير إلى الوجه، والعين، والساق، والجنب، والتي تنسب إلى الله تعالى، إذ أن التمسك بظاهر النصوص دونما تأويل معناه القول إن الله له هيئة تتكون من وجه فيه عدد من الأعين، وله أيادي كثيرة كلها يمين، وله جنب واحدة وساق واحدة، وهي صورة مجسمة ومشوهة للخالق لا يمكن أن يتقبلها العقل^(١).

وينبغي الإشارة في هذا المقام إلى أن مسائل التجسيم، ورؤية البصر هي أمور لا تمت للإسلام باي صلة، وإنما تأثر بها قسم من جمهور العامة؛ وذلك لجذورها التاريخية والتي تسربت إلى أكثر الفرق الإسلامية من المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام مثل الرهبان، والأخبار والقساوسة، وهذا ما تشهد به كتبهم والتي ذكرت لله صفات بشرية كثيرة^(٢).

ومن المناسب الإشارة في هذا المقام إلى إحدى خطب الإمام علي (عليه السلام) والتي تتحدث عن صفات الله تعالى من ضمن ما جاء فيها في نفي التشبيه والتجسيم " كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم، فأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت به عنه شواهد حجج بيناتك، وأنت الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبط فكرها مكيفا، ولا في روايات خواطرها محدودا مصرفا"^(٣).

(١) خليفة، حامد عبد الرحمن، المشبهة والمجسمة، ط١، (د. م، المكتبة التخصصية للرد على الوهابية، ١٩٩٩م)، ص ٦٣.

(٢) ابن عطية: أبو الهيجاء مقاتل (ت ٥٠٥ هـ / ١١٠٨ م)، أبهي المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، تحقيق: الشيخ محمد جميل حمود، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ٧٥.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب (٤٠ هـ / ٦٦١ م)، نهج البلاغة، تحقيق: الشريف الرضي، صبحي الصالح، ط١، (بيروت، ١٩٦٧م)، ١٢٦.

ثانياً: تنزيه الأنبياء

وكذلك الحال للتأويل أهمية كبيرة في تنزيه الأنبياء عن المعصية وارتكاب الذنوب، إذ وردت في القرآن الكريم آيات في ظاهرها تشير إلى عدم العصمة، وارتكاب الذنوب، مثل قوله تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} ^(١)، {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} ^(٢)، وكذلك في قضية النبي موسى (عليه السلام)، في قوله تعالى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ^(٣)، إذ أن ظاهر الآيات تشير إلى ارتكاب الأنبياء للذنوب كمعصية النبي آدم (عليه السلام)، أو خطيئة النبي يوسف (عليه السلام)، أو ارتكاب جريمة القتل واعتراف النبي بنسبة العمل إلى إضلال الشيطان له، وكذلك الحال في نسبة الذنب إلى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ^(٤) مستنديين على ظاهر قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} ^(٥).

ولذلك نسب الكثير من أصحاب المذاهب والفرق جواز الذنوب والمعاصي على الأنبياء والرسول، فذهب قسم من أهل السنة إلى القول بجواز الذنوب الصغيرة عليهم دون الكبيرة لأن مقام العصمة للذنوب الكبيرة، واستندوا في ذلك على أن لهم مقام الشفاعة، ولأجل أن يرق صاحب الشفاعة على المبتلى لابد أن يكون قد وقع فيها، كما انهم ذهبوا إلى القول بأن المذهب السديد يوجب عدم الأخذ بالتأويل في مسألة ما ورد بحق الأنبياء في النصوص التي تشير إلى ذلك لأنه بحسب ما زعموا لا يامن التعرض اليها الوقوع في الخط ^(٦)، كما ذهبوا إلى القول

(١) سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٣) سورة القصص، الآية ١٥.

(٤) آل سيف، فوزي، معارف قرآنية، ط١، (د. م، دار أطيف للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ)، صص ٢٢٥-٢٢٦.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢.

(٦) الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الحنفي (ت: ٥٩٣هـ / ١١٩٧م)، أصول الدين، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، ط١، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨)، ص ١٣٩؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٣، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م)، ج٤، ص ٣١٩.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أن الله تعالى أنما ذكر معصية آدم (عليه السلام) بعد توبته منها وغفرانه لها وذلك تأديباً لأنبيائه من بعده كي لا يقعوا في المعصية، أو الخطأ^(١).

بينما ذهب فريق آخر من أهل السنة إلى القول بجواز ارتكاب المعاصي الكبيرة، والصغيرة لأنبياء قبل البعثة، وقالوا إن لا دليلاً عقلياً، أو سمعياً يدل على امتناع صدورها منهم^(٢).

بل تطرف قسم منهم في أقواله وفتاويه حتى انه كفر من لا يقول بارتكاب المعصية لأنبياء، كمعصية آدم كما ذهب إلى ذلك ابن تيمية في أشارته، واعتبره مكذباً للقران الكريم، وانه توجب عليه التوبة فأن لم يفعل فمصييره القتل "ومن قال: إن آدم ما عصى فهو مكذب للقرآن ويستتاب فإن تاب وإلا قتل"^(٣).

ولذلك كانت الأهمية الكبرى للتأويل في بيان المعاني وتأويلها بعيداً عن معانيها الظاهرية، بما يتلاءم مع عصمتهم، وتنزيههم (عليهم السلام) عما لا يليق بهم.

ثالثاً: عدم الجمود على النص والخروج من ظاهر التفسير

أن واحدة من اهم فوائد التأويل والتي تعطيه أهمية استثنائية هي عدم الجمود على النصوص بمعناها الظاهر، والتحرر من بساطة التفاسير الظاهرية، ذلك أن الجمود على الفهم الأولي للألفاظ التي تستوحى من ظاهر اللفظ في أحيان كثيرة؛ تعد من أكبر الأخطاء التي يقع فيها مفسرو النصوص، ولا يخفى أن هذا الأمر ليس من عادات العرب والذين نزل بلغتهم القرآن الكريم^(٤)، كما أن التمسك بظواهر النصوص دونما تأويل قد يؤدي في النهاية إلى إيراد معلومات غير صحيحة، مخالفة للطبيعة وقوانينها، أو للعقل.

وكمثال على ذلك فلنأخذ من قصة (ذو القرنين) التي وردت في القرآن حادثة غروب الشمس ومكان غروبها {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ}^(٥)، وقد جاء

(١) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي (ت: ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٤ م)، ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) المطرقي، عويد بن عياد بن عايد، آيات عتاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في ضوء العصمة والاجتهاد، ط٣، (مكة المكرمة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥ م)، ص ٤٠.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٨، ص ٢٦٩.

(٤) عبد الحميد، صائب، ابن تيمية في صورته الحقيقية، ط١، (بيروت: الغدير للدراسات والنشر، ١٩٩٥ م)، ص ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآية ٨٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

في تفسير قسم من العلماء لهذه الآية بلفظها الظاهر دونما تأويل، فقالوا أن الشمس تغرب أو تغيب في طين أسود^(١)، ألا أن الأخذ بهذا الرأي على أن الشمس تغيب في عين سوداء يخالف ما جاء به، وأثبتته العلم الحديث حول مسألة كروية الأرض، وأنها تدور في الفلك، أي في الكون حالها حال بقية الكواكب، ومنها الشمس، فكيف يمكن لكوكب الشمس الذي يدور في الفلك، والذي يكون أكبر حجماً من الأرض أن يغرب في الأرض؟ فهذا الأمر مخالف لقوانين الطبيعة^(٢)، ولذلك لابد من إيجاد تأويل يتوافق مع العلم، وترك التفسير الظاهرية، ومن هذه التأويلات ما جاء في تفسير القرطبي عن القفال نقلاً عن بعض من العلماء ما نصه "ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض"^(٣).

كما نقل العلامة الطباطبائي في ميزانه قولاً مشابهاً لهذا التأويل "وأن المراد بالعين البحر فربما تطلق عليه، وأن المراد بوجوده أن الشمس تغرب في عين حمئة أنه وقف على ساحل بحر لا مطمع في وجود بر وراءه فرأى الشمس كأنها تغرب في البحر لكان انطباق الأفق عليه قيل: وينطبق هذه العين الحمئة على المحيط الغربي"^(٤)، فذو القرنين عندما واصل رحلته وصل إلى البحر الذي اختلف في تحديده العلماء، فقالوا انه البحر الأبيض المتوسط، وقالوا انه المحيط الأطلسي، وقف على الساحل فشاهد هذا المنظر الرائع للشمس، وهي تأخذ بالغروب وكأنها تختفي في البحر شيئاً فشيئاً، إذ عبر القرآن الكريم عن البحر بالعين، وذلك لأن أحد

(١) الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨، ص ٩٦؛ الثعلبي، احمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحق (ت ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٢ م)، ج ٦، ص ١٩١.

(٢) خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط ٤، (لندن: سينا للنشر، ١٩٩٩ م)، ص ٤١٠.

(٣) القرطبي أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٣ م)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٦٤ م)، ج ١١، صص ٤٩-٥٠.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، د. ت)، ج ٣، ص ٣٦٠.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

معاني العين هي الماء الكثير، أما سبب وصفه بحمئة، لأن لون المياه الكثيرة في وقت الغروب يكون قاتماً، وشاطئ البحر يكون طينياً^(١).

ومن الأمور الأخرى التي تشير إلى سذاجة الأخذ بالظاهر، ونبذ التأويل يتجلى في قوله تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}^(٢)، فلو أردنا الأخذ بالتفسير الظاهر دون التأويل فهذا يعني أننا سنشير إلى الحبل المعروف، وعلينا أن نتصور هذا الحبل وهو يتدلى من السماء كما يرى الحشوية، ولذلك لابد من التأويل لأدراك المعنى الرمزي للحبل، ومدلولاته المجازية للوصول إلى المعرفة الحقيقية للنص الإلهي، ولذلك نرى انهم اجمعوا على تأويل الحبل^(٣)، ولم يتمسكوا بظاهر اللفظ؛ لأن الجمود على ظاهر النص يستوجب أن يكون هذا الحبل بكيفية خاصة ليستوعب جميع البشرية ليتمسكوا به وهذا تفسير ساذج للنص القرآني، وإعجازه، ولذلك ذهبوا إلى تأويله، فقالوا هو القرآن أو الجماعة^(٤)، كما أولوها بالاعتصام بكلمة لا إله إلا الله^(٥)، وقالوا هو عهد الله، وهو اتباع القرآن وعدم الفرقة^(٦).

رابعاً: دفع إشكالية وجود التعارض أو التناقض في القرآن الكريم

من الأمور الثابتة لدى كل المسلمين أن القرآن الكريم لا تعارض^(٧)، أو تناقض في آياته الكريمة، مستندين في ذلك على قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، أجوبة المسائل الشرعية، ط ١، (قم: مدرسة علي بن أبي طالب (ع)، ١٢٦٥هـ)، ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٣) عبد الحميد، ابن تيمية في صورته الحقيقية، ص ٢٠.

(٤) الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت: ٢٢٧هـ / ٨٤٢م)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ط ١، (د. م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ١٠٨٣.

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ - ٩٧٠م)، الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ص ٤٥٤.

(٦) البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: ٥١٠هـ - ١١٦م)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط ٢، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٨٩.

(٧) يعرف التعارض أو التناقض بين الشيئين هو تقابلهما على وجه يمنع منهما مقتضى صاحبه. السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى (ت: ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)، الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة ٧٨٥هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ج ٢، ص ٢٧٣؛ أما في القرآن الكريم على انه المقابلة بين إيتان من القرآن فيكون مدلول أحدهما منافياً أو مانعاً لمدلول الأخرى، فتكون على سبيل المثال أحدهما تأمر بالشيء والأخرى تنفيه أو تنهى عنه، مع الاشتراط ألا تكون الأخيرة ناسخة للأولى، لأن النسخ ينفي التعارض. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، أصول في التفسير، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، ط ١، (د. م، المكتبة الإسلامية، ٢٠٠١م)، ص ٤٦.

لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(١) وقوله تعالى: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}^(٢)، لكن نلاحظ أن هذا التعارض يطرأ في مسائل معينة على بعض الأذهان، والسبب في ذلك يعود إلى عدم الالتفات للقضايا المهمة سواء العلمية، أو الأدبية^(٣).

والى ذلك يشير أبو حاتم الرازي، إلى أنه لا تناقض في القرآن الكريم ولا في كل الكتب السماوية، كما لا تناقض في أقوال الأنبياء والمرسلين، وإنما يعود السبب في عدم فهمهم لهذا الكلام لأنه يرى أنهم يتكلمون كلاماً مرموزاً، وإن اختلفت ألفاظه ألا أن معانيه متفقة، ويكون كلامهم عاماً وخاصاً، فيتلفظ العلماء كلامهم المرموز ويعلموه إلى الناس بحسب استحقاقهم المعرفي، وقابليتهم في التلقي "فأما الذي ذكره أنه في التوراة وفي الإنجيل وفي غيرهما من الكتب المنزلة، وما ادّعاه من التناقض في القرآن، فإن أكثر ذلك أمثال مضروبة، منها ما معانيها واضحة، ومنها مستغلفة؛ وليس هناك اختلاف ولا تناقض؛ وهو كله حق وصدق؛ وأن الأنبياء لم يختلفوا. وكلامهم الذي يقدره الجهال أنه متناقض، فإنه وإن اختلفت ألفاظه، فإن المعاني فيه متفقة؛ لأن الأنبياء والحكماء، كان أكثر كلامهم مرموزاً، وكانوا يخاطبون الأمم بالحكمة، ويضربون الأمثال؛ فيسمعها الخاص والعام، فيعقل ذلك عنهم العلماء والخواص الذين كانوا يقفون على أسرار الأنبياء (ع)، ثم يعلمون المستحقين من الناس؛ ليكون في الناس عالم ومتعلم وخاص وعام، وليكون الامتحان قائماً فيهم بذلك. ومن نظر في ظاهر ألفاظهم ولم يعرف معانيها، حكم فيه بالتناقض والاختلاف"^(٤).

ولم تكن ظاهرة القول بشبهة التناقض، أو التعارض في القرآن الكريم حديثة العهد، وإنما هي ظاهرة موجودة منذ العصور الأولى للإسلام، ففي عهد الإمام علي جاءه أحد الزنادقة يدعي وجود التناقض في آيات القرآن الكريم، ومنها في قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}^(٥)، وقوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}^(٦)، فكان جواب الإمام له من خلال تأويل الآيات المباركات، وتوضيح معناها معناها مع الاستناد على آيات أخرى تتم المعنى المقصود فقال: "فإن ذلك كله لا يغني إلا مع

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٣) الروحاني، محمد صادق، أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، ط ١، (قم: دار زين العابدين (ع)، ٢٠١٠ م)، ج ١، ص ٢٥٢.

(٤) أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان (٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م)، أعلام النبوة، تحقيق: صلاح الصاوي وعلامرضا اعوانى، ط ٢، (طهران: مؤسسة حكمت وفلسفه إيران، ١٣٨١ هـ)، صص ٧١-٧٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٩٤.

(٦) سورة طه، الآية ٨٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

الاهتداء وليس كل من وقع عليه اسم الأيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة ، ولو كان ذلك كذلك تنجوا اليهود مع اعترافها بالتوحيد، وإقرارها بالله ، ونجا سائر المقرين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر"^(١)، ومتمماً للمعنى بالاستشهاد بقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ^(٢)، {الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} ^(٣)، فالإمام يضع قاعدة مهمة لفهم النصوص القرآنية وذلك من خلال الابتعاد عن الفهم الظاهر للآيات، وخصوصاً التي يشتبه في طياتها التناقض، أو التعارض، وتأويلها ليس كلاً على حدة، وإنما بمقارنتها بنصوص أخرى، لاستخراج التأويل المناسب، والذي يتلاءم مع مصاديق القرآن الكريم.

ومن الأمثلة الأخرى على شبهة التناقض، والتعارض أيضاً ما ورد في قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ^(٤) إذ أن الآية في ظاهرها تشير إلى أن العدل بين الزوجات ممكن، بينما هناك آية تناقض، وتعارض منطوق هذه الآية، وهي: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ^(٥)، فتذهب هذه الآية إلى انعدام الاستطاعة بالعدل بين الزوجات حتى مع الحرص على ذلك، وهنا يأتي دور التأويل لفك شبهة التناقض، فالعدل الأول المقصود به هو في الحقوق، أما تأويل العدل في الآية الثانية فهو العدل القلبي، أو المحبة إذ أنها غير متحققة، لأنها خارجة عن سيطرة البشر، وقدرتهم ^(٦).

ومن الآيات الأخرى التي وقعت فيها شبهة التناقض، هي في قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ^(٧)، وقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} ^(٨)، وقوله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ^(٩)، وقوله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي

(١) المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي ومحمد باقر اليبودي، ط ٣، مصححة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣ م)، ج ٦٥، ص ٢٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤١.

(٤) سورة النساء، الآية ٣.

(٥) سورة النساء، الآية ١٢٩.

(٦) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ط ١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٦ م)، ص ٥٥.

(٧) سورة السجدة، الآية ١١.

(٨) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٩) سورة النحل، الآية ٣٢.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أَنْفُسِهِمْ^(١)، إذ تكون شبهة التعارض، أو التناقض فيمن يقبض الأرواح بالموت، فمرة يكون الله الله تعالى، وتارة أخرى يكون ملك الموت، وثالثة هناك الملائكة، وقد أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الإشكالية بقوله: "وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عز وجل فكيف هذا؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الأنس ويبعثهم في حوائجه فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ويتوفاهم"^(٢)، فهذه الآيات لو لم تكن قد أولت بالأدلة العقلية والشرعية، لكان فيها اختلاف كبير، وذكروا أن هذا النوع من التأويل يسمى بالتأويل الواجب^(٣)، ويبدو أن هذه التسمية جاءت لكون هذا التأويل ينفي الشبهات التي قد تثار حول كتاب الله تعالى سواء من الكفار، أو الملاحدة، أو المنافقين، أو المتوهمين، ولذلك سمي بالتأويل الواجب.

خامساً: شمولية النص واستمراريته وحيويته

يعد القرآن الكريم هو دستور المسلمين وهو لا يقتصر على عصر نزوله، وإنما يتسم بصفات الاستمرارية والحيوية ومواكبة العصور المختلفة، حتى آخر الزمان، ولذلك لا بد أن يكون النص مواكباً لروح العصر وذلك وفقاً لقاعدة الشمولية له دون الحصر^(٤).

ولذلك فإن التأويل لا يقتصر على لفظ الكلمة للأشياء، وإنما ينتقل إلى مآلاها، وصيرورتها وتكويناتها، وأجزاءها فالشجرة مثلاً قد تكون مثلاً للجنة، وأهلها مرة إذا قصدنا منها ظلالها وثمارها وخيراتها، وقد تشير إلى النار، وأهلها تارة أخرى أن قصدنا منها مادتها الأولية للاحتراق والاشتعال والمتمثلة بالخشب، فاللفظ واحد ألا أن المعنى متعدد وهذا يدل على حيوية القرآن الكريم وشموليته. فقد استعمل القرآن لفظ الشجرة للدلالة على النار فقال تعالى في كتابه العزيز: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} (٥).

(١) سورة النحل، الآية ٢٨.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، د. ت)، ج ١، ص ١٣٦.

(٣) الحيدري، أصول التفسير والتأويل، ص ٣٦٧.

(٤) الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن (الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي، ط ١، (قم: دار فراق، ١٤٣٣ هـ)، ج ١، ص ٢٢.

(٥) سورة الواقعة، الآية ٧١.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

وللإشارة إلى الجنة استعملت لفظة (شجرة الخلد) كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(١)، أو استخدام أسماء أشجار للدلالة على نعيم الجنة مثل النخل، والرمان، والزيتون، أو لفظ الفاكهة وهي أشجار تدلل على الجنة ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ﴾^(٢)، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣)، ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٤)، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾^(٥).

ولذلك وردت لفظة الشجرة واستعملاتها في القرآن للدلالة على الخير والطيب والحق مثل (كشجرة طيبة، شجرة مباركة، يباعدونك تحت الشجرة، والنجم والشجر يسجدان)

مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٦)، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(٧)، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٨)، ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٩).

كما وردت للدلالة على الشر والخبث والباطل مثل (شجرة خبيثة، شجرة الزقوم، الشجرة الملعونة) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١٠)، ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(١١)، ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾^(١٢).

(١) سورة طه، الآية ١٢٠.

(٢) سورة يس، الآية ٥٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٧٣.

(٤) سورة الرحمن، الآية ٥٢.

(٥) سورة الرحمن، الآية ٦٨.

(٦) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

(٧) سورة النور، الآية ٣٥.

(٨) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٩) سورة الرحمن، الآية ٦.

(١٠) سورة إبراهيم، الآية ٢٦.

(١١) سورة الصافات، الآية ٦٢-٦٤.

(١٢) سورة الأسراء، الآية ٦٠.

كما أنها قد تأتي للدلالة على العلم الإلهي كما في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ^(١)، أو تأتي على أنها مادة للعلاج والطب كما قال تعالى {وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ} ^(٢).

لذلك فالشجرة تأول بحسب موقعها وخطابها في النص. وهذا يدل على حيوية الكلام في القرآن وتنوع مدلولاته اللفظية والمعنوية والذي يعطي للنص الشمولية والحيوية.

كما أن مقاصد القرآن الكريم، وتطبيقاته لا تحدد بزمان نزول النص وإنما تمتد تطبيقاتها لعصر آخر غير عصر نزول النص إذ مارس الأئمة (عليهم السلام) هذا التطبيق في نصوص عديدة ومنها {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} ^(٣)، فالمقصود الأولي لنزول النص يتحدث عن المقصود بالماء المعين هي بئري زمزم وميمونه في مكة المكرمة، لكن هذا المصداق الأولي للنص، ولا ينحصر النص في معناه فقط بزمان نزول النص فشمولية القرآن تقتضي تعدد المصداق أو المعنى ^(٤)، فعبر الأئمة عليهم السلام بتأويل الماء المعين مرة بالإمام علي (عليه السلام) كما جاء عن لسان الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته وعلمها لمحمد بن مسلم الثقفي والتي جاء فيها "السلام عليك يا من تصدق في صلاته بخاتمه على المسكين، السلام عليك يا قالع الصخرة عن فم القلب، ومظهر الماء المعين، السلام عليك يا عين الله الناضرة في العالمين، ويده الباسطة، ولسانه المعبر عنه في بريته أجمعين" ^(٥).

كما ورد تأويل الماء المعين في زمن الإمام الرضا (عليه السلام) بالأئمة (عليهم السلام)، وعلومهم عندما سأل عن معنى الآية فقال: "ماؤكم أبوابكم أي الأئمة عليهم السلام والأئمة

(١) سورة لقمان، الآية ٢٧.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٤٦.

(٣) سورة الملك، الآية ٣٠.

(٤) الحيدري، منطق فهم القرآن، ج ١، ص ٢٢.

(٥) المشهدي محمد بن جعفر (ت: ٦١٠ هـ / ١٢١٤ م)، المزار، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، (طهران:

(طهران: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ هـ)، ص ٢٠٩؛ ابن طاووس، أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر

بن محمد بن محمد (ت: ٦٦٤ هـ - ١٢٦٦ م)، أقبال الأعمال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، (د. م، مكتب

الأعلام الإسلامي، ١٤١٦ هـ)، ج ٣، ص ١٣٣.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

أبواب الله بينه وبين خلقه فمن يأتيكم بماء معين يعني بعلم الإمام^(١)، كما أنها خصصت بتأويلها بالإمام المهدي (عليه السلام)، في زمن الإمام الرضا (عليه السلام)^(٢).

ولذلك فإن مسألة التأويل قد شغلت الفكر الإنساني عموماً، والفكر اللاهوتي خصوصاً؛ وذلك لأسباب عديدة أهمها هي المحاولة لتجذير النص المقدس باعتباره ليس مغلقاً، وإنما هو نصاً مفتوحاً على جميع مراحل الزمن المختلفة، وتطوراته المختلفة فهو متجذراً لقدرته على التلقي واستيعاب الأزمان، والتراكمات الفكرية؛ وذلك من خلال التلاؤم معها، سواء بتكييفها، وتفكيكها، أو هضمها، وإعادة قراءتها بما يتلاءم مع روح العصر^(٣).

سادساً: الوصول إلى الغاية المبتغاة (حقيقة القرآن السامية ومعارفه الخالدة)

أن غاية وهدف التأويل تتجلى في محاولته للكشف والوصول إلى المعنى المستور، أو المستتر من المعنى؛ وذلك من خلال عمليات تحليلية تفسيرية^(٤)، فالفعل البشري بما أودع الله فيه من قابليات، وإمكانات يمكنه أن يصيب بدرجة عالية من الموضوعية، إذ يجعله قادراً على تفعيل وتشغيل حاسة التأويل، والاستدلال العقلي على أصعدة مختلفة ومهمة^(٥).

ومن خلال التأويل بأنواعه النقلية والعقلية يمكننا الوصول إلى حقائق ومعارف القرآن الخالدة والسامية، فهو ذو مكانة عالية ورفيعة وصفها الله تعالى في الإشارة إليه ومنها: ﴿بَلْ هُوَ

(١) القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩؛ الاستر ابادي، شرف الدين علي (ت: ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م)، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، (قم: مطبعة أمير للطباعة والنشر، ١٤٠٧ هـ)، ج ٢، ص ٧٠٨.

(٢) "عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن هلال العبرتائي، عن الحسن ابن محبوب، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: قال لي: لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليعة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكل حرى وحران، وكل حزين ولهفان، ثم قال عليه السلام: بأبي وأمي سمي جدي صلى الله عليه واله وشبيهه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب النور، يتوقد من شعاع ضياء القدس، كم من حرى مؤمنة، وكم من مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين". ابن بابويه القمي، علي بن الحسين (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط ١، (قم: مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٤ هـ)، ص ١١٤؛ الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الاعلمي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٤ م)، ج ٢، ص ٩-١٠.

(٣) حسن، غالب، مداخل جديدة للتفسير، ط ١، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م)، صص ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) جهامي، جيار ودغيم، سميح، موسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ج ١، ص ٥٦٤.

(٥) حسن، مداخل جديدة للتفسير، ص ٢٣٦.

الفصل الأول: التعريف بالتأويل وأهميته في الفكر الإسلامي.....

قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ^(١)، و { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٢)، و { حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }^(٣)، وغيرها من الأوصاف التي تشير في مجملها إلى المعارف الحقيقة التي يكتنفها القرآن الكريم والتي تكون محفوظة فيه وهي بعيدة عن عبث المدنسين^(٤).

وتتجلى أهميته أيضاً، من قدرته على خلق أفكارٍ، ورؤى جديدة، إذ إنه في حقيقته عبارة عن عملية عقلية، وطريقة لإعمال العقل، وفهم كتاب الله تعالى، ومحاولة إيجاد صيغ مستحدثة، تخدم القضايا المعرفية التي تهتم الجماعات، والأفراد، ضمن ضوابط وشروط، لا تؤدي بالنتيجة إلى مصالح فردية، أو فئوية، أو مذهبية، وإنما باعتباره طريقة مهمة لأعمال العقل وإيجاد الفهم المناسب بما يتلاءم مع تطور العصر وتنوع علومه^(٥).

(١) سورة البروج، الآية ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة الواقعة، الآية ٧٧ - ٨٠.

(٣) سورة الزخرف، الآية ١ - ٤.

(٤) أبو الجارود، زياد بن المنذر (ت: بعد ١٦٠ هـ)، تفسير أبي الجارود ومسنده، تحقيق: علي شاه علي زاده، ط ١، (قم: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٣٤ هـ)، ص ١٦.

(٥) العمور، محمد سعيد، أثر التأويل في اختلاف الفقهاء، ط ١، (غزة: مجلة جامعة الأقصى في فلسطين، ٢٠١١ م)، ص ٣٦٠.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

❖ المبحث الأول: التأويل في القرآن الكريم، ومدلولاته

أولاً: التأويل في القرآن، ومعانيه

ثانياً: مراحل التنزيل، والتأويل للقرآن الكريم

١-مرحلة التنزيل

٢-مرحلة التأويل

ثالثاً: التعريف بمفهوم التأويل في القرآن

رابعاً: درجات، ومراتب التأويل

❖ المبحث الثاني: التأويل في السنة النبوية الشريفة، ومدلولاتها

أولاً: تعليم التأويل ونقله إلى أوصيائه وخلفائه

ثانياً: نماذج لتأويلات الرسول (صلى الله عليه واله)

١-تأويل الآيات

٢-تأويلات أخرى

❖ المبحث الثالث: التأويل، وأهميته في روايات أهل البيت (عليهم السلام)

أولاً: علم التأويل عند الأئمة (عليهم السلام)

ثانياً: حملة التأويل

ثالثاً: مصادر التأويل عند أهل البيت (عليهم السلام)

رابعاً: مرويات أهل البيت (عليهم السلام)، في التأويل

خامساً: المعالجات التأويلية عند أهل البيت (عليهم السلام)

المبحث الأول

التأويل في القرآن الكريم، ومدلولاته

أولاً: التأويل في القرآن، ومعانيه

يأتي الحديث عن التأويل في القرآن الكريم على اعتباره أصلاً قرآنياً مهماً، إذ ورد لفظ التأويل (١٧) مرة في القرآن الكريم، بسور مختلفة، وكل آية من هذه الآيات المباركات لها تفسيرها، وتأويلها الخاص حسب مذهب المفسر، ومعتقد، وهذا ما أكد عليه الدكتور حيدر الكربلائي نقلاً عن ابن القيم الجوزية بقوله: أن التأويل الذي يوافق ما دلّت عليه النصوص، أو جاءت به السنة الشريفة فهو التأويل الصحيح؛ أما ما خالف هذا القول فهو التأويل الفاسد^(١).

فقد وردت لفظة التأويل في ثمان مواضع من سورة يوسف، وذلك في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}^(٢)، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}^(٣)، وقوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبُنَّا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}^(٤)، وقوله تعالى: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}^(٥)، وقوله تعالى: {قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ}^(٦)، وقوله: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ}^(٧)، وقوله: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا}^(٨)، وقوله: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}^(٩).

(١) الكربلائي، التأويل الباطن في المنظور الإسماعيلي، ص ٤٠٢.

(٢) سورة يوسف، الآية ٦.

(٣) سورة يوسف، الآية ٢١.

(٤) سورة يوسف، الآية ٣٦.

(٥) سورة يوسف، الآية ٣٧.

(٦) سورة يوسف، الآية ٤٤.

(٧) سورة يوسف، الآية ٤٥.

(٨) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٩) سورة يوسف، الآية ١٠١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ومرتان في سورة الكهف، وذلك في قوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}{(١)}

وجاء ذكره أيضاً مرتان في سورة آل عمران في نفس الآية، في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}{(٢)}.

ومرتان في سورة الأعراف بنفس الآية، بقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}{(٣)}

وفي بعض النصوص القرآنية المباركة نجد انه ورد مرة واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}{(٤)}، وقوله تعالى في وقوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}{(٥)}، {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}{(٦)}.

(١) سورة الكهف، الآية ٧٨-٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) سورة الأسراء، الآية ٣٥.

(٦) سورة يونس، الآية ٣٩.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ويذهب المفسرون، والعلماء إلى أن معنى التأويل لم يرد على هيئة، أو شكل واحد في القرآن الكريم، وإنما ورد بمعانٍ مختلفة، بحسب موقعه وما أريد منه في النص، وهي كالاتي (١):

١- تعبير وتأويل الرؤى والأحلام، إذ وردت في أربع آيات من سورة يوسف كقوله تعالى: **{وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبُنَّا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** (٢). إذ تذهب قسم من التفاسير إلى أن السجينين اللذين رأيا الرؤيا هما كلٌّ من ساقى الملك، وخبّازه، وقد أراد جماعة من مصر أن يمكروا بالملك فيقتلوه عن طريق عملية اغتياله على يد الخباز والساقى، وأغروهما بالأموال، فوافقا كلاهما بالبداية، وقبلا الرشوة، ألا أن الساقى كان قد تراجع عن الاتفاق، فلما احضرا الطعام والشراب للملك قال الساقى للملك لا تأكل أيها الملك انه طعام مسموم، إذ قرر أن يخبر الملك بالمكيدة (٣).

فلما رأى الخباز فعل الساقى قرر هو أيضاً أن يشي بفعل الساقى دون أن يعلم أن الساقى كان قد قرّر التراجع عن التواطؤ على قتل الملك، فما كان من الملك ألا أن طلب من الساقى أن يشرب ليتأكد من الكلام، فشرب الساقى، ونجا لأنه لم يضع السمّ للملك، أما الخباز فرفض الأكل من طعامه، فيقال إن الملك على أحد الحيوانات فأكلته فماتت (٤).

ويلاحظ أن النبي يوسف (عليه السلام)، عندما طلبا منه تأويل الرؤيا، قام بدعوتها لدين التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، ثم ليدل على صدق دعوته، أخبرهما بمقدمة تتلخص في انه ليس الأمر مقتصرًا على تعبير الرؤى، وإنما حتى الطعام الذي تأكلانه سأخبركم عن نوعه، ومن

(١) مركز نون للتأليف والترجمة، الوجيز في علوم القرآن، ط٣، (جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٠٩م)، ص ٧٠.

(٢) سورة يوسف، الآية ٣٦.

(٣) البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠ هـ - ١١١٦م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، ط٤، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م)، ج ٤، ص ٢٤٠؛ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: ٧٤١ هـ / ١٣٤١م)، تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ج ٢، ص ٥٢٧؛ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ٧، ص ٥٠؛ الخطيب الشربيني: محمد بن أحمد الشافعي (ت: ٩٧٧ هـ / ١٥٧١ م)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٨٥ هـ)، ج ١١، ص ١٠١.

(٤) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص ٤٢٨؛ تفسير القرآن الكريم وأعرابه وبيانه، الدرة، محمد علي طه، ط١، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٣٠ هـ)، ج ٤، ص ٥٨٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

يأتي به قبل أن يصل اليكما، وكل هذا هو من علم الله تعالى وفضله، وليس بما يعمل من التنجيم، أو الكهانة (١).

٢- ما يراد منه المنشابه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

٣- تأويل الأحاديث، وبيان معناها، أو مغزاها؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (٤).

٤- بيان معاني الأفعال، أو الأشياء قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا* وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٥). إذ كان تأويل هذه الأفعال ومنها خرق السفينة يتلخص بوجود ملك ظالم، وغاصب، يقوم بالاستيلاء على كل السفن السليمة والجديدة التي لا عيب فيها، إنما هو استيلاء تجبر، وقهر، وطغيان، تحت مبدأ غلبة القوي وتسلبه على أموال وممتلكات الضعيف- إذ كانت السفينة تعود ملكيتها إلى مجموعة من المساكين (٦) العاملين في البحر، فكان ثقب السفينة وأحداث العيب فيها هو رحمة بهؤلاء المساكين للحفاظ على ممتلكاتهم من الملك الظالم (٧).

(١) حجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط١٠، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص ١٧٧؛ الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، ط٢، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٦م)، ج٢، ص ١١٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٣) سورة يوسف، الآية ٦.

(٤) سورة يوسف، الآية ٢١.

(٥) سورة الكهف، الآية ٧٨-٨٢.

(٦) المسكين هو صفة تطلق على الشخص الذي يملك الأموال، ولكنها لا تكفي حاجته، وقيل هو الشخص الذي لا يمتلك القوة والقدرة، أي أن مسكنته ليست من ناحية الافتقار المادي، وإنما من ناحية افتقار القدرة والقوة.

الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة جديدة منقحة، ج٩، ص ٣٣٠.

(٧) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص ٦.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

أما تأويل ذبح الغلام فتتلخص في أن الرحمة الإلهية، من جراء صلاح الآباء وتقواهم، أن يستبدل هذا الغلام، الذي كان يعلم الله أنه سيكون كافراً، وسيتعيب أبواه المؤمنين، كما أنه سيتسبب في أن يكفر أبواه بسبب افتتانهم به، ويقوم بإضلالهم بضلاله، لذلك كان قتله بدافع الرحمة بأبويه، ليحفظ دينهم ويدخلهم الجنة (١). وذكرت الروايات أن الله أبدلها بجارية أي بنت قد ولد من ذريتها سبعين نبياً ومنها ما ورد عن " عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عدة من أصحابه ، عن الحسن بن علي بن يوسف ، عن الحسين بن سعيد اللخمي قال : ولد لرجل من أصحابنا جارية فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً فقال له أبو عبد الله عليه السلام : رأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول : يا رب تختار لي ، قال : فإن الله قد اختار لك ، قال : ثم قال : إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عز وجل : " فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً " أبدلها الله به جارية ولدت سبعين نبياً" (٢).

أما تأويل بناء الجدار فكان لأجل المحافظة على أملاك يتيمين، كان مخبأ لهما تحت الجدار، إذ أن أبوا اليتيمين كانوا من الأشخاص الصالحين، ولذلك فأن الله تعالى أراد أن يحفظ أملاك أولادهما اليتامى لكي يبلغوا، ويكونوا راجحين العقل فيستخرجوا الكنز المخبأ، وهو نوع من أنواع العناية الإلهية الخفية (٣).

٥- الحقيقة الخارجية ونفس العين، كقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (٤)، وقوله تعالى:

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٦١؛ الشيخ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ٤، (قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ١٤١٢ هـ)، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٢) الكليني. الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ٦، صص ٦-٧؛ ابن العتائقي الحلبي، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م)، مختصر تفسير القمي، تحقيق: حسيني جلالی ومحمد جواد، ط ١، (قم: مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث، ١٤٣٢ هـ)، ص ٢٩١؛ عز الدين الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله الحنبلي (٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م)، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ١، (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م)، ج ٤، ص ٣٤٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٣٧؛ الفيض الكاشاني، الوافي، تحقيق: مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ط ١، (أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ١٤١٥ هـ)، ج ٢٣، ص ١٣٠٠.

(٣) الشيخ الطوسي، التيبان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٨١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

تعالى: وقوله تعالى: { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } (١).

٦-المال والمرجع: كقوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (٢).

٧-عملية تكيف بين العقل وبين الشرع، كما ذهب إلى ذلك ابن رشد، إذ انطلق في ضوء نظرية كلية جوهرها التطابق بين الحقيقة، والشرعية، والطريقة، أي هي عبارة عن عملية عقلية شرعية في حالة حدوث تعارض ما يتم تأويل الشرع مع العقل (٣).

٨-العودة والرجوع إلى المرجعية الفاصلة التي تحسم المواقف كما في قوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (٤).

٩-تحويل الرمز لمرموزه، أو ترجمة للرموز إلى ما تدل عليه: كقوله تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} (٥)، إذ كان الرمز هو اليدان المبسوطتان، وهو في حقيقته يدل على مرموزه، والذي هو العطاء الوفير الذي لا ينضب (٦).

١٠-الإحالة إلى السببية أو العلة: أي بمعنى السبب الكامن من وراء الأحداث، أو الظواهر كقوله تعالى: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} (٧).

١١-التفسير، أو صرف اللفظ عن معناه، وهذا الاتجاه، أو النمط متأثراً ومستنداً كلياً بالنمط القاموسي المعجمي، وهم أصحاب الاتجاه النمطي الذي لم يخرج عن المألوف في تأويله، وذاك لأنه متأثر، أو مستند للفكر المذهبي الذي يؤمن أن المتشابه لا يعلمه إلا الله.

ثانياً: مراحل التنزيل والتأويل للقرآن الكريم

أن علوم ومعارف القرآن الكريم مداراً مهماً لاهتمام العلماء، والباحثين، والمتخصصين في شتى مجالات المعرفة؛ وذلك لما يحوي هذا الكتاب من مخزون معرفي هائل؛ لا ينفد بتقادم

(١) سورة يوسف، الآية ٣٧.

(٢) سورة الأسراء، الآية ٣٥.

(٣) حسن، مداخل جديدة للتفسير، صص ٢٢٩-٢٣١.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٦) الحيدري، كمال، الرمزية والمثل في النص القرآني، ص ٣٢.

(٧) سورة الكهف، الآية ٧٨.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

السنين والأعوام، بالإضافة لكونه كتاباً الهياً مقدساً، ومن الموضوعات المهمة التي ينبغي دراستها والتمعن فيها هي مسألتا التنزيل، والتأويل وماهية العلاقة بينهما؟ وعن الترتيب الزمني لهذه العلاقة، لفهم وندرك من خلالها أهمية التنزيل والتأويل في كشف مقاصد ودلالات القرآن الكريم.

وهنا لابد من العودة إلى عصر الرسول (صلى الله عليه واله)، وزمن نزول القرآن الكريم لفهم هذه العلاقة ونخرج بنتيجة تخدم دراستنا، فقد أشار الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على أهمية وخطورة مرحلتا التنزيل والتأويل من خلال حديثه عن المعارك التي حصلت في مرحلة التنزيل والمعارك التي ستحدث في مرحلة التأويل، والعبء الذي سيتحمله كلاً من قادة التنزيل والتأويل والمتمثلين برسول الله (صلى الله عليه واله)، قائد مرحلة التنزيل؛ والإمام علي (عليه السلام) قائد مرحلة التأويل، والأئمة المعصومين (عليهم السلام) من بعده؛ وذلك من خلال ما رواه كلا الفريقين من أحاديث اتفقوا على صحتها، وإن اختلفوا في قسم من فرعايات مضامينها، ومنها ما نقله أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) (١)، في مسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنّا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها عليّ يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنّا معه، فقال: إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرفنا وفيما أبو بكر وعمر فقال: لا، ولكنه خاصف النعل قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه". وقد ورد ذكر هذا الحديث أيضاً في كتب الأحاديث، والسنن على اختلاف مذاهب أصحابها بصيغ مختلفة، وللتفصيل أكثر انظر (٢).

(١) أبو عبد الله هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط ١، (د. مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م)، ج ١٨، ص ٢٩٦.

(٢) الكوفي، محمد بن سليمان (ت: ٣٠٠ هـ / ٩١٠ م)، مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط ١، (قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢ م)، ج ٢، ص ١٠؛ والنسائي (ت: ٣٠٣ هـ / ٩١١ م)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م) ج ٧، ص ٤٦٦؛ أبو يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧ هـ / ٩٢٠ م)، إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط ١، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤ م)، ج ٢، ص ٣٤١؛ وابن عقدة الكوفي (ت: ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م)، أحمد بن محمد سعيد، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: حرز الدين وعبد الرزاق محمد حسين، ط ١، (قم، دليل ما، ١٤٢٤ هـ)، ص ٨٣؛ وابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)، أبو حاتم محمد بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨ م)، ج ١٥، ص ٣٨٥؛ والقاضي النعمان (ت: ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ط ٢، تحقيق: محمد حسن الجلاي، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٤ هـ)، ج ١، ص ٣٣٧؛ والحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١،

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ولم تخلو الكتب الأدبية، والدواوين الشعرية من ذكر هذه الحادثة ومنها ما ذكره السيد الحميري (ت: ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م) في قصيدته (١):

وفي خاصف النعل البيان وعبرة	لمعتبر إذ قال والنعل ترفع
لأصحابه في مجمع إن منكم	وأنفسكم شوقاً إليه تطلع
إماماً على تأويله غير جائر	يقاتل بعدي لا يضل ويهلع
فقال أبو بكر أنا هو قال لا	فقال أبو حفص أنا هو فأسفع
فقال لهم لا لا ولكنه أخي	وخاصف نعلي فاعرفوه المرقع.

١- مرحلة التنزيل:

ويقصد بمرحلة التنزيل (٢)، المرحلة التي انزل فيها على رسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله)، الآيات القرآنية في طورها المكي، والمدني، وكيف كان الرسول (صلى الله عليه واله) يبلغها للمسلمين، وقد استمرت هذه المرحلة بحدود ثلاث وعشرين سنة إذ نزلت آيات القرآن الكريم مفرقة تدريجياً خلال أيام وشهور وسنوات البعثة للرسول (صلى الله عليه واله)، فكان ينزل منجماً كل ثلاث آيات أو أربع آيات أو أكثر أو أقل وفق ما تقتضي مرحلة التبليغ (٣)، قال تعالى في كتابه: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (٤)، وكان هذا التنزيل المتدرج؛ وذلك تخفيفاً لعباده، وتدرجاً للوصول إلى كمال دينه، ولو نزل القرآن عليهم جُملةً واحدة لثقلت عليهم التكاليف والفرائض، ولسبق حدوث تلك الأسباب والحوادث التي نزل لأجلها، وفسد معنى الناسخ، إذ أن المنسوخ يفترض العمل به

(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م) ج ٣، ص ١٣٢؛ والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م)، الأمالي، ص ٢٥٤؛ وابن المغازلي (ت: ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م)، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله، ط ١، (صنعاء: دار الآثار، ٢٠٠٣ م)، ص ١٠٦.

(١) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، ديوان السيد الحميري، تحقيق وتصحيح: ضياء حسين أعلمي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩ م)، ص ١٣٧.

(٢) سبقت مرحلة التنزيل مرحلة الأنزال الكلي جملة واحدة على قلب الرسول (صلى الله عليه واله)، وذلك في شهر رمضان في ليلة القدر المباركة كما أشارت إلى ذلك النزول آية القدر. القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٣١.

(٣) يحيى بن سلام، بن أبي ثعلبة الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتور هند شلبي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م)، ج ١، ص ١٦٧.

(٤) سورة الأسراء، الآية ١٠٦.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فترة ثم ينسخ بحكم جديد ولو نزل على الناس جملة واحدة لبطل مبدأ التدرج والناسخ والمنسوخ (١).

ويلاحظ أن الآيات في مرحلة التنزيل كانت على قسمين: أحدهما نزلت لأجل هداية الناس وتنويرهم وتربيتهم من دون وقوع أسباب معينة أثارت نزولها مثل آيات مشاهد يوم القيامة، أو أهوال العذاب، وأحوال النعيم؛ أما القسم الثاني فهي التي كان سبب نزولها حدث وقع في زمن الوحي لذا اقتضى بموجبه نزول أية فيه، مثل مشكلة تعرض لها الرسول (صلى الله عليه واله) وكانت تتطلب حلاً، أو قضية معينة مثل مسجد ضرار وغيرها (٢).

أن مرحلة التنزيل بما فيها من أحكام، ومقاصد، وتبيان القرآن فأنها جميعاً من مقتضيات مرحلة النبوة وهي منوطة بالرسول (صلى الله عليه واله)، وهي لا تتم ألا باستكمال تنزيله بهذا التدرج التاريخي، ولذلك كان من مستلزمات النبوة هو الأيمان بما جاء به التنزيل والتصديق به، ومن يجحد به يوصف بالكافر كما صرحت بذلك الآيات المباركات: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

ولذلك عندما أنكروا تنزيل القرآن الكريم -وذلك بما فيه من أحكام، وقوانين، وشرائع، وتنظيمات، ومعارف، وضوابط أخلاقية أو قانونية وغيرها الكثير، فتعين وفق ذلك قتالهم إلى أن يؤمنوا بما انزل إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٤)، ولذلك قاتلهم الرسول (صلى الله عليه واله)، حتى استطاع من تثبيته وتعليمه للناس حتى بدأوا يدخلون في دين الله أفواجا (٥).

(١) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ - ٨٨٩م)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ص ١٤٨.

(٢) الصدر، محمد باقر (ت: ١٩٧٩م / ١٤٠٠هـ)، المدرسة القرآنية، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره، ط ١، (مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر قدس سره، ١٤٣٤هـ)، ج ١٩، صص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٥) محمد بن طلحة الشافعي، كمال الدين أبو سالم (ت: ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (ع)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، ط ١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٩م)، ص ١٠٢.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ومن منطلق الروايات التي ذكرناها يبدو منطقياً أن نطلق على معارك الرسول (صلى الله عليه واله) اسم معارك التنزيل، وهي سبع وعشرون غزوة كانت بأشراف الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله)

أما عدد السرايا والبعث التي بعثها الرسول (صلى الله عليه واله) ولم يذهب فيها بنفسه فقد اختلف الرواة في عددها فقال قسم منهم أنها بحدود ثمانية وثلاثون سرية (١).

بينما ذهب القسم الآخر بالقول على أنها ستة وخمسون سرية (٢) مستندين في ذلك على رواية جواب الإمام الهادي (عليه السلام) في تحديد مقدار الصدقة الكثيرة "اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال، لئن برئت لا تصدق بدنائير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين دينارا فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فرد الرسول إليه فقال له قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) [التوبة ٢٥] فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً" (٣).

أما سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ / ١٢٤٦ م) (٤)، فذكر الرواية ألا أنه من الواضح حصل عنده وهم في ذكر عدد السرايا فبدلاً من أن يقول ستاً وخمسون سرية، عكسها قائلاً

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٠٩؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢ هـ)، ج ٧، ص ٥٢٠؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمرو (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦ م)، ج ٤، ص ٤٣٢.

(٢) وذلك من خلال عملية حسابية بموجبها نطرح كلاً من غزوات الرسول (صلى الله عليه واله) من العدد الكلي للغزوات التي أشارت إليه الرواية فيكون المجموع هو ما ذكرناه ستاً وخمسون سرية: (٢٧-٨٣) = ٥٦.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: مطبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م)، ج ١٢، ص ٥٦-٥٧؛ السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)، الأنساب، تحقيق: عبد الله بن عمر البارودي، ط ١، (بيروت: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م)، ج ٤، ص ١٩٦؛ الذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢ م)، ج ١٩، ص ٢١٩.

(٤) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزّاء، تذكرة الخواص، ط ١، (قم: مؤسسة الشريف الرضي، ١٤١٨ هـ)، ص ٣٢٢.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

خمساً وستون سرية (١) وتابعه عدد من الباحثين دون التفات منهم مثل الشيخ علي الكوراني (٢)، والشيخ عزيز الله عطاردي (٣).

وبقي رسولنا الكريم على منهاج الرشد، والهداية للناس، والعمل بالرسالة السماوية حتى قبيل استشهاده، عندما أوكل هذه المهمة إلى الإمام علي (عليه السلام).

وقد عمل الرسول (صلى الله عليه واله)، وخلال مراحل حياته الأخيرة على محاولة تعزيز وتثبيت خلافة الإمام علي (عليه السلام) (٤) والتي عقدها في غدير خم^(٥).

٢- مرحلة التأويل:

وتُعرف هذه المرحلة بمرحلة الإمامة، والوصاية، وكانت بقيادة الإمام علي (عليه السلام)، على اعتباره الوريث، والمكمل الوحيد للرسالة السماوية، وهذا ما أكدّه الرسول في غدير خم، وذلك من خلال تبليغ امر خالقه بتنصيب الإمام علي (عليه السلام)، كراعياً لهذه الأمة، ويتجلى هذا في قوله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦).

(١) وذلك لأن سبط ابن الجوزي ذكر الرواية كما هي وفيها عدد المواطن الكثيرة وهي (٨٣) غزوة وسرية، وذكر أن مجموع الغزوات هي (٢٧)، ولذلك فإنه من خلال العملية الحسابية يتضح أن عدد السرايا هي (٨٣-٢٧) = ٥٦ وليس ٦٥. نفس المصدر، ص ٣٢٢.

(٢) الإمام علي الهادي (عليه السلام) عمر حافل بالجهاد والمعجزات، ط ١، (قم: شبكة الفكر، ٢٠١٣م)، ص ٩٨.

(٣) مسند الإمام الهادي عليه السلام، ط ١، (قم: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤١٠هـ)، ص ٥٢.

(٤) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي (ع)، ط ١، (بيروت: دار البلاغة، ١٤١٣هـ)، ج ١، ص ١٠٤-١٠٦؛ شرف الدين، عبد الحسين العاملي (ت: ١٣٧٧هـ)، المراجعات، تحقيق، حسين الراضي، ط ١، (بيروت: الجمعية الإسلامية، ١٩٨٢م)، صص ٣١٥-٣١٦.

(٥) وهو اليوم الذي تمت فيه مبايعة الإمام علي (عليه السلام) وتنصيبه ليكون أمام وولي وخليفة للمسلمين قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه واله)، بالوصية والتنصيب ما نصه: عن "أبان بن أبي عياش عن سليم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه واله دعا الناس بغدير خم، فأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم، وكان ذلك يوم الخميس. ثم دعا الناس إليه وأخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعهما حتى نظرت إلى بياض إبط رسول الله صلى الله عليه واله فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله). قال أبو سعيد: فلم ينزل عن المنبر حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم على نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. فقال رسول الله صلى الله عليه واله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبولاية علي من بعدي". نقل سليم بن قيس (ت: ٧٦هـ / ٦٩٥م)، الهاللي، كتاب سليم بن قيس الهاللي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط ١، (قم، الهادي، ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ٨٢٨.

(٦) سورة المائدة، الآية ٦٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

على اعتبار أن الإمام هو صاحب التأويل، وهذا بدا واضحاً من قول الرسول (صلى الله عليه واله): "إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرفنا وفيما أبو بكر وعمر فقال: لا، ولكنه خاصف النعل قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه" (١)

والملاحظ في خطبة غدير خم انه لم يعمل الرسول (صلى الله عليه واله)، على تبليغ امر الله تعالى في النص على وصية وإمامة وخلافة الإمام علي (عليه السلام) من بعده فحسب، بل عمل على تنصيبه ومبايعته في هذه الواقعة وهو لا يزال على قيد الحياة، واخذ البيعة له من كل المسلمين الذين كانوا متواجدين هناك، وكان من المتواجدين عدد كبير من الصحابة الأوائل من بينهم أبي بكر، وعمر بن الخطاب، والذين تكلموا بكلام ثم بايعا الإمام علي (عليه السلام) وهم يقولون: "بخ بخ لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن" (٢).

وقد خلّد الشاعر حسان بن ثابت هذه الحادثة بقصيدة في مدح الإمام علي (عليه السلام) بعد أن طلب من الرسول (صلى الله عليه واله) الأذن فوافق، فتوجه إلى مشايخ قريش وهو يقول اسمعوا قولتي بشهادة الرسول ٠ صلى الله عليه واله) وانشد قائلاً (٣):

"ألم تعلموا أن النبي محمدا	لدى دوح خم حين قام مناديا
وقد جاء جبريل من عند ربه	بأنك معصوم فلا تك وأنيا
وبلغهم ما أنزل الله ربهم وإن	أنت لم تفعل وحاذرت باغيا
عليك فما بلغتهم عن إلههم	رسالته إن كنت تخشى الأعدايا
فقام به إذ ذاك رافع كفه	بيمنى يديه معلن الصوت عاليا
فقال لهم: من كنت مولاه منكم	وكان لقولي حافظا ليس ناسيا

(١) الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٠؛ والنسائي، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٦٦؛ أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج ٢، ص ٣٤١؛ وابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص ٨٣.

(٢) الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م)، تفسير القرآن المجيد، تحقيق: السيد محمد علي أيازي، ط ١، (قم: مؤسسة بوستان كتاب قم مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٤ هـ)، ص ١٨٥؛ ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٤٧؛ ابن عطية، أبيه المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، ج ١، ص ٤٨٦.

(٣) الهاللي، كتاب سليم بن قيس الهاللي، ج ٢، صص ٨٢٨-٨٢٩.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فمولاه من بعدي عليّ وإنني	به لكم دون البرية راضيا
فيا رب من والى عليا فواله	وكن للذي عادى عليا معاديا
ويا رب فانصر ناصريه لنصرهم	إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا
ويا رب فاخذل خاذليه وكن لهم	إذا وقفوا يوم الحساب مكافيا"

إذ أنّ الأصل في القرآن الكريم بعد مرحلة تنزيله هو حمل القرآن على معانيه التي اقتضاها لفظه، من خلال مدلول ذلك الخطاب، وتوضيحه بما يراد به من معناه، وبذلك تتحقق جادة الصواب، أما محاولة صرفه عن مدلولاته ومقتضاه وحمله لغير ما يراد منه عن طريق تأوله بالأهواء، والغايات ليخرج عن نهج الهدى المراد منه، لأجل أثبات الذي لا يحل إثباته، مخالفاً قول أئمة الهدى، فيتعين عند ذلك التصدي له وقتاله، حتى يعود تائباً إلى امر الله تعالى، وقد تصدى لذلك الإمام، لكون الإمامة دون النبوة فهي فرعها فقام بها علي (عليه السلام)، ودعا إليها وقاتل، ولذلك كان القتال على التأويل كما القتال على التنزيل (١).

ألا أن صاحب كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (ع)، يرى أن معارك التنزيل اشد جريمة وأعظم ضلالة من معارك التأويل، مستنداً في ذلك على أن القتال على التنزيل هو من مختصات منصب النبوة، قام بها الرسول (صلى الله عليه واله)، أما القتال على تأويل القرآن فهي من مختصات الإمام وهي ولذلك يرى أنها دون الجريمة الأولى في الأهمية (٢).

وهذا أن دل على شيء أنما يدل على أن معارك التأويل في مشروعاتها تعد فرضاً من الله تعالى والتي استندت على النص القرآني في قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٣)، وأوامر وتبليغ الرسول (صلى الله عليه واله)، ولذلك صرح الرسول (صلى الله عليه واله) بعد نزول هذه الآية على ما سيحصل بعد وفاته، ومن سيجمل راية القتال على تأويل القرآن، كما قاتل هو على تنزيله، إذ نص على الإمام علي (عليه السلام) (٤)، وكذلك ما نقل من احاديث أهل البيت (عليهم السلام)،

(١) محمد بن طلحة الشافعي، ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٣) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٤) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ٥، صص ١١-١٢.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ومنها ما رواه أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) "...وأما [السيف] الملفوف فسياف على أهل البغي والتأويل قال الله تبارك وتعالى:" وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحديهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله " ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه واله: إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسنل صلى الله عليه واله من هو؟ قال: هو خاصف النعل؟ - يعني أمير المؤمنين عليه السلام..." (١).

والمتتبع لسيرة هذه المعارك يستدل على أنها كانت تسير وفق منهجين هما:

أولاً: المعارك غير المباشرة والمتمثلة بالاحتجاجات والخطب ورفض البيعة، وقد استمرت هذه الفترة من استشهاد الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، في السنة الحادية عشر للهجرة، وحتى استلامه الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث في الخامسة والثلاثين للهجرة (٢).

ثانياً: المعارك المباشرة، ويقصد بها المعارك التي خاضها الإمام علي (عليه السلام)، أبان تسلمه الخلافة، وزعامة المسلمين، والمشاكل، والمعارضات التي واجهها، وقد استمرت بحدود خمسة سنوات ألا ثلاثة أشهر (٣)، طيلة خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فقد بدأ الإمام علي (عليه السلام)، بعد بيعته مباشرة أجراء عمليات إصلاحية شاملة، امتدت إلى الجذور الأولى والتي تتمثل بمعالجة مشكلة عدم الرواية، أو مشاكل تعيين جماعات من المنافقين على نحو المكاسب السياسية، أو السياسة الخاطئة للخراج، أو غض الطرف عن صناعة الخمر أو المتاجرة بها، أو محاولة لاكتناز الفضة والذهب في جماعات معينة، ومعالجة مشكلة التأويل الخاطئ للآيات ومحاولة وضعها في غير مواضعها التي أرادها النص منها، وتكاد تكون هذه المعالجات التأويلية هي اهم الإصلاحات؛ وذلك لأنها واجهتها الكثير من العقبات متمثلة

(١) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بأبويه القمي (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفاري، (قم: مطبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ) ص ٢٧٤-٢٧٥؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص ٢٨٨؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧؛ المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: ٣٥٥هـ/ نحو ٩٦٦م)، البيداء والتاريخ، (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ص ٢٠٩؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٥٢؛ أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي، (ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م)، المحج، تحقيق: د عمر سليمان العقيلي، ط ١، (الرياض: دار العلوم، ١٩٨٤م)، ص ٩٩؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٧٤٦.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

بالحروب التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) (١)، وهي الحروب التي أسماها الرسول (صلى الله عليه واله) بحروب التأويل:

وهي ثلاثة حروب خاضها الإمام علي (عليه السلام)، سميت بحروب الناكثين والقاسطين والمارقين (٢)، فأشارت الروايات إلى الأوامر التي أمر الرسول (صلى الله عليه واله)، فيها الإمام علي (عليه السلام) بالجهاد في سبيل الله، ويكون الجهاد والقتال على تأويل القرآن الكريم: "وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش، ثم تجاهدكم في سبيل الله عز وجل إذا وجدت أعوانا. تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت معي على تنزيله الناكثين والقاسطين والمارقين من هذه الأمة" (٣).

ولقد كان هدف الإمام علي (عليه السلام) من هذه الحروب هو أحداث التغيير وإرجاع الأمور إلى وضعها ونصابها الصحيح، بعد فترة من الانقطاع عن المعين الحقيقي للإسلام، وكان يريد أن يعمل على تعليم الأمة للتأويل الصحيح الحقيقي، الذي جاء به الوحي، وكان بذلك يجسد النموذج والمثال للإنسان الكامل، ولكن كانت الأهواء والجهل المستشري في النفوس قد وقف عائقاً أما الكثير من أهداف الإمام علي (عليه السلام)، والتي تمثل الأهداف الإلهية للإسلام (٤).

وكانت سيرته (عليه السلام)، في حروبه، هي ذاتها سيرة رسول الله (صلى الله عليه واله)، في يوم فتح مكة المكرمة، إذ لم يقم بالسبي للذرية، ولا قضى على المصابين والجرحى، ولم يمتنع بتتبع الفارين من القتال، وجعل الأمان على كل من يلقي سلاحه أو يغلق بابه (٥).

(١) أيوب، سعيد، معالم الفتن نظرات في حركة الإسلام وتاريخ المسلمين، ط ١، (قم: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٩٣ م، ج ١، ص ٤٦٢).

(٢) الناكثون وهم جماعة الزبير وطلحة وأصحابهما، أما القاسطون فهم معاوية وبقية أصحابه، أما المارقون: فهم عبد الله بن وهب وجماعته من الخوارج. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، العثمانية، عبد السلام محمد هارون، ط ١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ص ٤٩.

(٣) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٦٠٢؛ الطبرسي، أحمد بن علي، (ت: ٥٨٨هـ/١١٥٣م)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخراسان، (النجف: دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م)، ج ١، ص ٢٢٩؛ ابن شاذان، سعيد الدين بن جبرئيل القمي (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: علي الشكرجي، ط ١، (د. م: مركز الأمير، ١٤٢٣هـ)، ص ١٤٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٤٦٢.

(٤) الكثيري، محمد، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ط ١، (بيروت: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ص ٦٠٨.

(٥) القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٧؛ عطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الصادق (عليه السلام)، ط ١، (طهران: عطار، ١٣٨٤هـ)، ج ٧، ص ٥٠١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

كما انه (عليه السلام)، لم يتعامل بمنطق تكفير المسلمين أو إخراجهم من الإسلام، فعندما سأله أحد المسلمين: هل كفر أصحاب الجمل، وصفين والنهروان، فكان جوابه (عليه السلام) بالنفي إذ قال: لا هم إخواننا وبغوا علينا، فقاتلناهم حتى يرجعوا إلى امر الله (١).

كما أن الإمام علي (عليه السلام)، كان لا يريد سفك الدماء لذلك كان حريصاً على تقليل الخسائر عن طريق جملة من التغييرات، ومنها كمثال ما فعله في معركة صفين فحرص أن يكون أسلوب القتال المقابلة بين نفس العشيرة الواحدة، مثلاً جعل قبيلة تميم العراقية تقابل قبيلة تميم من الشام، وقبيلة ربيعة العراقية تقابل ربيعة الشام، وهكذا الحال في بقية القبائل، وكانت غايته ليس تعاملاً قبلياً أو ترجيحاً لما يُعرف بالمنطق القبلي وإنما كانت غايته ما يأتي: (٢)

١- ان الإمام علي عليه السلام كان يريد ياد الفتنة بأقل الخسائر، ولذلك استعمل مقابلة العشائر بعضها مع بعض، حتى لا يمعنوا في القتل

٢- انه (عليه السلام) حرص على ألا يجعل عند القبائل ذريعة لمقاتلة بعضها تحت مسمى ما يُعرف بمصطلح الثأر، وبذلك يحافظ على المجتمع الإسلامي من الصراع الداخلي والتمزق

٣- ان الإمام علي (عليه السلام) طبق ما كان يريده ويرجوه الرسول (صلى الله عليه واله)، في تقديم أهل بيته (عليهم السلام) ليكونوا الحماة عن دينه من جهة، والمدافعين عنه، وفي المقابل كان لا يريد حرمان بقية المسلمين من فضيلة الجهاد في سبيله.

ثالثاً: تعريف مفهوم التأويل في القرآن

وبذلك يمكننا أن نعرف التأويل وفقاً للنص القرآني فنقول: هو العلم الذي يبدأ الإنسان بالحصول عليه وتلقيه تدريجياً بعد مرحلة الإجتباء (الاصطفاء أو الاختيار)، ودليل ذلك قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٣) ، أما كمال هذا العلم

(١) زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢هـ - ٧٤٠م)، مسند زيد بن علي بن الحسين، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص ٤١٠؛ ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، المصنف، تحقيق: سعيد اللحام، ط ١، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م)، ج ٨، ص ٧٠٧؛ العياشي، تفسير العياشي، القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ط ٢، (بيروت: دار الحديث، ١٤٢٨هـ)، ج ٣٢، ص ١٩.

(٣) سورة يوسف، الآية ٦.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فيتم في مرحلة الرسوخ، مستندين في ذلك على قوله تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (١).

ولكي نكون أكثر دقة نقول إن التأويل يُعرف في ضوء القرآن الكريم على أنه: الإفاضة الربانية من المعرفة والعلم الخاص، والتي يبدأ بمنحه الله تعالى لخلص أوليائه ابتداء من مرحلة الإجتباء، حتى يبلغ كماله، وذروته، وتمامه في مرحلة الرسوخ.

فالقرآن الكريم يطرح التأويل، ليس كمصفوفة من الحكايات، وإنما يطرحه كعلم وله قوانينه الخاصة والتي من خواصها تكسير القشور الخارجية، للأشياء المؤولة؛ وذلك لأجل الوصول والتعامل مع دواخلها الخفية، وعلى ذلك يعد التأويل في فلسفة القرآن هو نوع من المغامرة في الباطن، وهو موضوع للعلم، (ولنعلمه، يعلمك، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)، إذاً هو علم له نواميسه وقوانينه، والتي يطبقها النبي (المؤول)، على مادته المؤولة، وبما أن العلم مراتب وطبقات، من دراية وفقه، وخبرة وتعقل، ونظر وغيرها، فيكون بذلك التأويل أيضاً علم ذو مراتب، أرقاه وأعلاه الذي يكون بتعليم الله لأنبيائه (٢).

لقد صور لنا القرآن الكريم بعض المشاهد التأويلية، وذلك لأجل تقريب الصورة للمتلقي من جهة والإشارة إلى أهمية المعرفة التأويلية للأنبياء أو لمن اجتباهم من عباده لهذا العلم، وكذلك لمعرفة الغايات والمقاصد الخفية الباطنة وراء كل عمل ظاهر، وإن كان هذا العمل الظاهر يدعو للاستغراب، أو الاستهجان، ألا أن الغايات السامية المخبئة في باطنه، تؤكد أن عمل رسله المكلفين بحمل الرسالة، وإن بدا للناس في أفعالهم بعض الغرابة ألا أن وراءها يكمن الخير الكثير.

كما أنها تدعو للصبر والتأمل في حقيقة وباطن الأعمال، إذ أن الظاهر أحياناً ليس دليلاً على معرفة الحقيقة، فقد تكون الحقيقة غير ظاهرة وإنما تكمن في الباطن المجهول ويتضح ذلك في قصة نبي الله موسى (عليه السلام)، مع العبد الصالح.

كما أن الله تعالى يوضح أن قسم من الغايات، والمقاصد، تأتي على هيئة رؤى، أو أحلام، لا تغيب عن نظر، وقدرة الله، وإن هذه الرؤى، والأحلام الظاهرية في قسم منها تكون علوم

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) حسن، مداخل جديدة للتفسير، صص ٢٣٣-٢٣٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

غيبية، وهذه العلوم علمها الله تعالى لقسم من رسله وأنبيائه، ومنهم نبي الله يوسف (عليه السلام).

رابعاً: درجات ومراتب التأويل في القرآن

والملاحظ في القرآن الكريم أن التأويل يأتي على درجات، فكلما زاد الإنسان في إيمانه كلما ازدادت درجاته في هذا العلم، حتى يبلغ كماله في الراسخون في العلم، ويدل على ذلك ما جاء في النصوص القرآنية متمثلة بما يلي:

١- المعرفة البدائية الأولية للتأويل: وهي متمثلة بمعرفة أخوة يوسف (عليه السلام)، التأويلية؛ وذلك يتوضح من خلال كلام أبيهم يعقوب (عليه السلام) بقوله: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (١)، إذ لولا معرفتهم المبدئية بتأويل الرؤى لما أوصى ابنه يوسف (عليه السلام) بعدم أخبار أخوته بمسالة الرؤيا، ومن تسلسل النص القرآني والمكيدة التي صنعها أخوته به يتضح معرفتهم بتأويل ومآل الرؤيا.

٢- التأويل بعد الإجتباء والاصطفاء: وهذا يتمثل في تعليم الله تعالى لجزء من علم التأويل إلى أوليائه، واتضح ذلك في معرفة النبي يعقوب (عليه السلام)، والنبي يوسف (عليه السلام)، والنبي إبراهيم، واسحق (عليهما السلام) كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٢).

٣- التأويل اللدني المقترن بالرحمة: وهذا يتمثل بعلم العبد الصالح الخضر (عليه السلام)، مستندين في ذلك على قوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} (٣).

٤- التأويل التام أو الكامل (تمام أو كمال التأويل): وهي من أرقى مراحل التأويل، وقد اختص بها الراسخون في العلم وهم محمد وال محمد (عليهم السلام)، كما في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٤).

(١) سورة يوسف، الآية ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧.

المبحث الثاني

التأويل في السنة النبوية الشريفة، ومدلولاتها

تعد السنة والحديث النبوي من التراث الخالد للأمة الإسلامية، وهي تمثل المصدر الثاني لأحكام الشريعة والعقيدة، بعد القرآن الكريم، وهي إحدى الحجج القطعية الصدور، والتي في أصلها لا تخضع للتدقيق والتمحيص، وذلك لأنها صادرة من الرسول (صلى الله عليه واله) وهو المبلغ عن الله تعالى، ألا أن الخاضع للتدقيق والتمحيص هو فيمن نقل هذا التراث كما هو، ومن زاد عليه أو أنقص، أو كذب في النقل عنه (١).

وقد جاء التأويل في السنة والأحاديث النبوية الشريفة بطرق عديدة وإشارات كثيرة تنوعت بتنوع الإطار والنطاق التأويلي، إذ مارس الرسول (صلى الله عليه واله)، العديد من الممارسات التأويلية، فجاءت مرة على شكل تعليم ونقل المعلومات التأويلية، وأخرى تأويل أو تعبير للرؤيا أو الأحلام، سواء أكانت هذه الرؤى من منامات الرسول (صلى الله عليه واله)، فيؤولها، أو من منامات الصحابة والمسلمين فيقوم بتأويلها لهم، أو من خلال تأويل الآيات القرآنية التي وصل لنا قسم منها، أو تأويل قسم من الأفعال العبادية، أو غيرها، أو تأويل الأصوات، وكما موضح فيما يأتي:

أولاً: تعليم التأويل ونقله إلى أوصيائه وخلفائه

أن ما قام به الرسول (صلى الله عليه واله)، باعتباره مبلغ القرآن والشريعة وحافظهما وأول الراسخون في العلم، بنقل هذه المعلومات التأويلية والتفسيرية إلى أول أوصيائه وخلفائه، ألا وهو الإمام علي (عليه السلام)، ومنه ينتقل إلى بقية الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى هذه الحقيقة حين قال: "فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي. ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني. فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها، فحفظته وأملاه علي فكتبته. وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام أو أمر ونهي أو طاعة ومعصية كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمني

(١) الأصبهاني، شيخ الشريعة فتح الله بن محمد جواد (ت: ١٣٣٩هـ)، القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، تحقيق: الشيخ حسين الهرساوي والشيخ جعفر السبحاني، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٢هـ)، ص ١١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وحفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى" (١).

وفي رواية أخرى نقلت بهذه الطريقة مفادها أن الإمام على (عليه السلام) قال: "كنت إذا سئلت رسول الله صلى الله عليه واله أجبني وإن فنيته مسائلني ابتدأني فما نزلت عليه أية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة ألا أقرأنيها وأملأها على وكتبتها بيدي وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومشابهاها وخاصها وعامها وكيف نزلت وأين نزلت وفين أنزلت إلى يوم القيمة ودعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً فما نسيت أية من كتاب الله ولا على من أنزلت ألا آملاه علي" (٢).

ثانياً: نماذج تأويلية للرسول (صلى الله عليه واله):

لقد دلت الكثير من الأخبار، والمرويات أن الرسول (صلى الله عليه واله) قد مارس عملية التأويل في مناسبات عديدة ومنها:

١- تأويل الآيات: أورد العلماء والرواة مجموعة من الأحاديث التي تشير إلى قيام النبي محمد (صلى الله عليه واله)، بتأويل قسم من الآيات المباركات ومنها:

تأويل قوله تعالى {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} (٣): إذ سأل رجلان الرسول (صلى الله عليه واله)، عن تأويل هذه الآية، فقالا: هل الإمام المبين التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن، فقال: لا وإنما تأويل الإمام الذي أحصى فيه كل شيء بالإمام علي بن أبي طالب "حدثنا أحمد بن محمد الصائغ العدل، قال: حدثنا عيسى بن محمد العلوي، قال: حدثنا أحمد بن سلام الكوفي، قال: حدثنا الحسين بن عبد الواحد، قال: حدثنا حرب بن الحسن، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل بن صدقة، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه واله) وكل شيء

(١) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٦٢٥؛ العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٦٤؛ الميرجهاني، حسن الطباطبائي محمد آبادي الجرقوبي (ت: ١٣٨٨ هـ)، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرک نهج البلاغة)، ج ١، ص ٣٢٧؛ الطيبي، محمد رضا النجفي، الشيعة والزجعة، تحقيق: عماد الدين طيبي، ط ٣، (النجف الأشرف: آداب، ١٣٨٥ هـ)، ج ٢، ص ٢٨؛ الطهراني، السيد محمد حسين، نور ملكوت القرآن من أقسام أنوار الملكوت، تحقيق: صقر، أحمد، ط ١، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢١ هـ)، ج ٤، ص ٣٤٥.

(٢) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢١٨؛ ابن طاووس، طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء، ص ٢٦٥؛ الإسترآبادي، محمد أمين، الفوائد المدنية والشواهد المكية، تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي، ط ١، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٢٤ هـ)، ص ٢٢٢.

(٣) سورة يس، الآية ١٢.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

أحصيناه في إمام مبین قام رجلان من مجلسهما ، فقالا : يا رسول الله ، هو التوراة ؟ قال : لا . قالوا : فهو الإنجيل ؟ قال : لا . قالوا فهو القرآن ؟ قال : لا . قال : فأقبل أمير المؤمنين علي ، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله) : هو هذا ، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء (١).

وتأويل آية {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٢): إذ ورد في تأويلها المأثور عن النبي محمد (صلى الله عليه واله)، أنها نزلت في الإمام علي (عليه السلام) وأبناءه من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهم (الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة القائم بن الحسن (عليهم السلام) "أخبرنا محمد بن عبد الله المطلب الشيباني رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد أبو بكر بن هارون الدينوري قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري قال: حدثنا حريز بن عبد الله الحذاء عن إسماعيل بن عبد الله قال: قال لي الحسين بن علي عليهما السلام: لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ سألت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن تأويلها؟ فقال: والله ما عني بها غيركم وأنتم أولو الأرحام، فإذا مت فأبوك علي أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به فإذا مضى الحسن فانت أولى به. قلت: يا رسول الله فمن بعدي أولى بي؟ فقال: ابنك علي أولى بك من بعدك، فإذا مضى فابنه محمد أولى به من بعده، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى به من بعده بمكانه، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى به من بعده، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى به من بعده فإذا مضى محمد فابنه علي أولى به من بعده، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى من بعده، فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك، فهذه الأئمة التسعة من صلبك" (٣).

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٢٣٥، الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٩٥؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج ٢، ص ١٢٨؛ النمازي، الشيخ علي الشاهرودي (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م)، مستدركات علم رجال الحديث، ط ١، (طهران، مطبعة شفق، ١٤١٢ هـ)، ج ١، ص ٤٤٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٥.

(٣) الإمام الحسين بن علي عليه السلام، تفسير الإمام الحسين عليه السلام، ص ١٥٩؛ الحر العاملي، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج ٢، ص ١٧٣؛ البحراني، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج ١، ص ٣١؛ الشيرازي، موسوعة الكلمة، ج ٨، ص ١٢١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وأيضاً تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (١)، إذ أول النبي محمد (صلى الله عليه واله)، هذه الآية بأنه في يوم الوقت المعلوم سيخرج الله تعالى الإمام علي (عليه السلام)، وهو في أجمل صورة، ومعه ميسم، إذ يقوم بوسم الناس من أعداءه، إذ انه أول الدابة بأنها رمز لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو المعني بهذه الآية "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه واله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملا ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال له: قم يا دابة الله فقال رجل من أصحابه يا رسول الله أيسمى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلا له خاصة وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " ثم قال يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك" (٢).

وفي تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٣)، ورد عن الرسول (صلى الله عليه واله) في تأويل هذه الآية والمقصود بهم بلفظ العالين الذين أشار إليهم القرآن الكريم، والذين هم الأعلى منزلة من الملائكة فكان جوابه هم (محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين)، أي أن العالين هم أهل الكساء الخمسة (عليهم الصلاة والسلام) كما جاء في الرواية "حدثنا عبد الله بن محمد بن ظبيان عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل لإبليس (استكبرت أم كنت من العالمين) فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلى من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبي و لم يسجد فقال الله تبارك وتعالى (استكبرت أم كنت من العالمين) عني من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣٠؛ الطريحي، فخر الدين (ت: ١٠٨٥هـ / ١٦٧٥م)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد احمد الحسيني، ط ٢، (المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٦٢هـ)، ج ٢، ص ٥٥؛ الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى (ت: ١٠٩١هـ / 1680م)، نادر الأخبار فيما يتعلق بأصول الدين، تحقيق: مهدي الأنصاري القمي، ط ١، طهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگي، ١٣٧١هـ)، ص ٢٩١.

(٣) سورة ص، الآية ٧٥.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فنحن باب الله الذي يؤتى منه بنا يهتدى المهتدى فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره ولا يحبنا ألا من طاب مولده "(١).

وكذلك ما ورد في تأويل قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُفَرِّغُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (٢): أن المقصود من الذين يقرؤون الكتاب هم الصديقون، والأنبياء، والملائكة، إذ أشار الرسول (صلى الله عليه واله)، إلى ذلك عندما أسري به إلى السماء الرابعة، جمعهم الله تعالى له، ثم صلى بهم، ثم سألهم عن الشهادة فقالوا: انهم يشهدون بان لا إله إلا الله تعالى، وان محمدا هو رسول الله، وان علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هو أمير المؤمنين حدثني جعفر بن محمد الفزاري معننا عن زرارة بن أعين قال: قلت لأبي جعفر. عليه السلام آية في كتاب الله تعالى شككتني قال: ما؟ قال: قلت: قوله: " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك " الآية من هؤلاء الذين أمر رسول الله صلى الله عليه واله بسؤالهم؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه واله قال: لما أسري بي إلى السماء فصرت في السماء الرابعة جمع الله إلى النبيين والصديقين والملائكة، فأذن جبرئيل وأقام الصلاة ثم قدم رسول الله صلى الله عليه واله فصلى بهم، فلما انصرف قال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأن عليا أمير المؤمنين، فهو معنى قوله: " فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك " (٣).

٢- تأويلات أخرى : نقلت العديد من المصادر الحديثية، ومصادر السيرة، ومصادر أخرى عدداً من الأخبار التي تشير في جملتها إلى قيام الرسول (صلى الله عليه واله)، بمباشرة العملية التأويلية بنفسه في مناسبات عديدة ومنها الرواية التي وردت عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، والتي جاء فيها: " أن رسول الله صلى الله عليه واله أخذته نعسة، وهو على منبره، فرأى في منامه رجالا ينزون على منبره نزو القردة، يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله صلى الله عليه واله جالسا والحزن يعرف في وجهه، ثم أن

(١) الشيخ الصدوق، فضائل الشيعة، تحقيق: الشيخ احمد الماحوزي، (مركز أهل الذكر لنشر تراث أهل البيت عليهم السلام)، ص ٩٩-١٠٠؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٦٨٣-٦٨٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٤٦؛ قمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١١، ص ٢٦٦.
(٢) سورة يونس، الآية ٩٤.

(٣) فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢ / 936م)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، ط ١، (طهران: مؤسسة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٠م)، ص ١٨٢؛ الأميني، عبد الحسين احمد (١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م)، المقاصد العلية في المطالب السنية، تحقيق: محمد الطبطبائي اليزدي، ط ١، (قم: دار التفسير، ١٤٣٤ هـ)، ص ١٦١-١٦٢؛ أبو معاش، سعيد، وصاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في القرآن والسنة، ط ١، (قم: لقاء، ١٤٢٨ هـ)، ص ٣٥٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

الرسول (صلى الله عليه واله)، عندما رأى هذه الرؤيا، ورؤى الأنبياء بمثابة وحي وهذا الأمر مجمع عليه^(١)، كان قد اغتم غماً شديداً، وأسأته هذه الرؤيا كثيراً، ولذلك نزلت الآية الكريمة {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} (٢)، إذ كان تأويل هذه الرؤيا بملك بني أمية^(٣) والإشارة إلى انهم الشجرة الملعونة التي ذكرت في القرآن الكريم، وانهم لابد أن يحكموا، ليكونوا فتنة للناس واختبار للأمة الإسلامية ويكون ملكهم في السنة الأربعين للهجرة " قال يا جبرائيل أعلى عهدي يكونون؟ وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحي الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرا، ثم تدور رحي الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا ثم لا بدّ من رحي ضلالة هي قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة" (٤).

ومنها ما نقل في كتب التاريخ والسيرة أن الرسول (صلى الله عليه واله)، رأى رؤيا قبل معركة أحد وذلك بعدما تجمع المشركون، مع أحلافهم، ونسائهم وذلك في السنة الثالثة للهجرة، في موضع يقال له عينين في مقابل المدينة المنورة، وكانت الرؤيا تتلخص في مشاهدته ثلثة في سيفه، وان هناك أبقار تذبح، ووضع يده في درع حصينة^(٥)، وعندما سأل الأصحاب عن

(١) وذلك بالاستناد على ما رآه نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، في المنام من ذبح ابنه إسماعيل (عليه السلام)، واستجابة إسماعيل له بقوله: افعل ما رأيت. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن أدریس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد المناف (ت ٢٠٤ - ٨١٩م)، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ص ١٥٠.

(٢) سورة الأسراء، الآية ٦٠.

(٣) الإمام الحسين بن علي عليه السلام (ت ٦١هـ / ٦٨١هـ)، تفسير الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: السيد محمد علي الحلو، ط ١، (كربلاء: إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠هـ)، ص ٣٠٢؛ الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام (ت: ٩٤هـ / ٧١٣م)، الصحيفة السجادية، تحقيق: السيد محمد باقر الموحّد الابطحي الأصفهاني، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، مؤسسة الأنصارين للطباعة والنشر، ١٤١١هـ)، ص ٦٢٢؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٠١؛ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢١؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٠١؛ البحراني: هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد (١١٠٧ هـ / ١٦٩٦ م)، مدينة المعاجز، لجنة التحقيق بإشراف فارس حسون كريم، تحقيق: ط ١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ)، ج ٣، ص ١٤٠-١٤١.

(٤) الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص ٦٢٢؛ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢١؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٠١؛ البحراني: مدينة المعاجز، ج ٣، صص ١٤٠-١٤١؛ المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ / ١٦٩٩ م)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق: هاشم رسولی محلاتی، ط ٢، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ)، ج ٣، ص ٨١.

(٥) ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبی (١٥١ هـ / ٧٦٨ م)، سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م)، ص ٣٢٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٢؛ ابن حبان، محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم (ت ٣٥٤هـ - ٩٦٥م)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط ٣، (بيروت: الكتب الثقافية، ١٤١٧هـ)، ج ١، ص ٢١٩؛ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م) جوامع السيرة، تحقيق:

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

تأويلها، قال (صلى الله عليه واله)، أن هناك جماعة من أصحابه سوف يقتلون، وإن أحد أهل بيته سيصاب في المعركة، أما الدرع الحصينة، فإن تأويلها هو كناية عن المدينة المنورة، ولذلك أمر بالبقاء فيها، وأما انثلام السيف، فهو مصيبة في رجل من أهل بيتي، أو قتل رجل من أهل بيتي، وأما البقر فهو قتل عدد من أصحابي(١).

وفي رواية أخرى كان هناك إضافة للرؤيا وهي "ورأيت كأني مردف كبشا"، وكان تأويلها قتل كبش كتيبة العدو من المشركين كما ذهبت إلى ذلك تلك الروايات (٢).

وبنفس الشاكلة أوردت لنا بعض المصادر التاريخية رؤيا الرسول الكريم حول فتح مكة، ألا أن الروايات لم تتحدث عن طبيعة هذه الرؤيا أو تفاصيلها، ألا بالشيء المقتضب. فمثلاً ذهبت بعض الروايات إلى القول بأن الرسول (صلى الله عليه واله)، كان قد رأى في رؤياه أنه يدخل إلى مكة هو وأصحابه وهم في أمان من اعتداءات كفار مكة، وعندما تأخر فتح مكة، وتم النحر في الحديبية، تساءل، قسم من الصحابة عن حقيقة الرؤيا بقولهم "أين رؤياك يا رسول الله"(٣). فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ (٤).

← إحصان عباس، ط١، (مصر: دار المعارف، ١٩٠٠م)، ص ١٥٦؛ السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج٥، ص ٤٢٢.

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦ م)، ج١، ص ٣١٤؛ اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٢، ص ٤٧؛ ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة، ص ١٥٦.

(٢) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلامي بالولاء (ت: ٢٠٧هـ - ٨٢٢م) المغازي، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، ط٣، (بيروت: دار العلم، ١٩٨٩م)، ج١، ص ٢٠٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٩؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردى (ت: ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ)، ج٣، ص ٢٠٥؛ المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (٨٤٥هـ - ١٤٤٢م)، أمناع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ج١، ص ١٣٣.

(٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ / ٧٢٢م)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٩٨٩ م)، ص ٦٠٨؛ البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٤، ص ١٦٤؛ الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ - ١١٤٤م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧م)، ج٤، ص ٣٤٥؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ - ١٥٠٥م)، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج٧، ص ٥٣٨.

(٤) سورة الفتح، الآية ٢٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وتشير بعض الروايات الواردة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في أثناء كلامه مع أحد الأحبار اليهود من بلاد الشام، وكان يتحدث من ضمن حديثه عن النبي يوسف (عليه السلام)، وما كان لديه من الرؤى وتأويلاتها، فأشار إليه أمير المؤمنين، بصدق قوله، وعقب على كلامه بالإشارة إلى نبوة رسول الله (صلى الله عليه واله)، وما منحه الله تعالى من صدق الرؤيا وعلم التأويل فقال (عليه السلام) (١): "ومحمد صلى الله عليه واله وسلم قاسى مرارة الغربة وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجرا من حرم الله -تعالى- وأمنه فلما رأى الله -عز وجل- كآبته واستشعاره الحزن أراه -تبارك وتعالى- رؤيا توازي رؤيا يوسف في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ" (٢).

إذ أن الرواية كذلك لم تشير إلى تفاصيل الرؤيا، ألا أنها أشارت إلى أنها موازية لرؤية النبي يوسف (عليه السلام)، وهذا يدل على أن هناك تفاصيل معينة من خلالها أولت هذه الرؤيا بفتح مكة، وجاء القرآن الكريم مصدقا لها.

إذ كان تأويل هذه الرؤيا هو نوع من التنبؤ، واستشراف للمستقبل، الذي يتلخص بفتح مكة المكرمة، من دون حرب مع المشركين، وفي أمان منهم (٣).

وكان الرسول (صلى الله عليه واله)، قد ورث وجمع الله له كل علوم الأنبياء ومنها معرفته بلغة الطير والحيوانات، وقد وردت إشارات في قسم من النصوص الحديثية إلى هذه المعرفة،

منها قول الإمام الباقر (عليه السلام): " أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه واله علم النبيين بأسره وان رسول الله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام" (٤)، وما جاء عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله: "كل نبي ورث علما أو غيره فقد انتهى إلى آل

(١) الإمام الحسين بن علي عليه السلام، تفسير الإمام الحسين عليه السلام، ١٨٣-١٨٤.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٣٢٠؛ القرشي، الشيخ باقر شريف (ت: ١٤٣٣)، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ط ١، (د. م، مؤسسة الكوثر، ١٤٢٣هـ)، ج ٨، ص ١٠١؛ القبانجي، السيد حسن (ت: ١٤١٠هـ)، مسند الإمام علي (ع)، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، ط ١، (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ٢٠٠٠ م)، ج ٧، ص ٧٥.

(٣) عاشور، قاسم، ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢ هـ)، ص ٤٠١.

(٤) الصفر، بصائر الدرجات، ص ١٣٧؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٢٢؛ الرواندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)، الخرائج والجرائج، تحقيق: السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ)، ج ٢، ص ٧٩٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٣٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

محمد صلى الله عليه واله^(١)، وقوله: " قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سليمان ورث داود، وإن محمدا ورث سليمان، وأنا ورثنا محمدا، وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح، قال: قلت: إن هذا لهو العلم؟ قال: ليس هذا هو العلم، إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة" (٢).

إذ دلَّت الروايات الشريفة على أن الرسول (صلى الله عليه واله)، كان له معرفة وتأويل خاص بأحوالها والأصوات التي تردها دائما وتترنم بها الطيور، ونحن نسمعها ولكن لا نفهم معانيها، فمثلاً صوت الديك معناه "اذكروا الله يا غافلين" (٣)؛ أما صوت طيور الخطاف فهي تترنم بقراءة سورة الحمد " عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله استوصوا بالصائنات خيرا يعنى الخطاف فإنه انس طير الناس بالناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه واله أتدرون ما تقول الصائنية إذا ترنمت تقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى تقرأ أم الكتاب فإذا كان في آخر ترنمها قالت ولا الضالين" (٤).

ومما تنقله المصادر عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أن هناك ثلاثة من الحيوانات كلمت الرسول (صلى الله عليه واله)، وهي البقرة، والجمال، والذئب، وفي هذا دلالة واضحة على تأويل كلام الحيوانات باختلافها " أنشأ أبو عبد الله (عليه السلام) يحدث فقال ثلاثة من البهائم تكلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله والجمال والذئب والبقرة فالجمال فكلامه الذي سمعت وأما الذئب فجاء إلى النبي صلى الله عليه واله فشكا إليه الجوع فدعا أصحابه فكلم فيه

(١) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٢؛ الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥ هـ)، ص ١٤٣؛ النيلي النجفي، السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم (٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)، سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان (عج)، تحقيق: قيس العطار، ط ١، (قم: دليل ما، ١٤٢٦ هـ)، ص ٧٦.

(٢) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٢٥؛ الفبض الكاشاني، الوافي، ج ٣، ص ٥٥٤؛ البحراني: هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد (١١٠٧ هـ / ١٦٩٦ م)، ينابيع المعاجز، ص ٣٨؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٣، ص ١٨.

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، ج ٧، ص ١٩٥؛ الواحدي (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م)، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م)، ج ٣، ص ٣٧١؛ الطبراني، سليمان بن

←

—أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (ت: ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م)، التفسير الكبير = تفسير القرآن العظيم، ط ١، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨ م)، ج ٥، ص ١١؛ السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم؛ ط ١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧ م)، ج ٤، ص ٨٣.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٣٦٦؛ البحراني: البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (قم: مؤسسة البعثة)، ج ٤، ص ٢١٣؛ المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٦١، ص ٢٨٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فتنحوا فقال رسول الله صلى الله عليه واله لأصحاب الغنم افرضوا للذئب شيئاً فتنحوا ثم جاء الثانية فشكا إليه الجوع فدعاهم فتنحوا فقال رسول الله صلى الله عليه واله للذئب اختلس أي خذ ولو أن رسول الله صلى الله عليه واله فرض للذئب شيئاً ما زاد عليه شيئاً حتى تقوم الساعة وأما البقرة فإنها أمنت بالنبي صلى الله عليه واله ودلت عليه وكان في نخل أبي سالم فقال يا ذريح تعمل على نجيح صالح يصيح بلسان عربي فصيح بان لا إله إلا الله رب العالمين محمد رسول الله صلى الله عليه واله سيد النبيين وعلى سيد الوصيين" (١).

وغالباً ما كان الرسول (صلى الله عليه واله)، يستشهد، ويؤول قصص، وأخبار الأنبياء الذين سبقوه في أثبات معجزاته، فمثلاً أول كلام نبي الله عيسى وهو صغيراً، والأعجاز فيها قائلاً: أن تأويل كلام النبي عيسى في الصغر، هو لأن الله تعالى قد خلقه من دون أب، أي ليس كما يولد الأبناء طبيعياً من أب وأم، وإنما قد ولد من غير أب، ولذلك كان لابد من أن يخرج من بطن أمه وهو يتكلم بكلام الحكمة وذلك ليبرأ أمه من الاتهامات والافتراءات عليها، فكان كلامه نوع من أنواع العذر لأمه عند قومها، ليصدقوها "إن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه واله فقال : يا محمد أكنت في أم الكتاب نبيا قبل أن تخلق ؟ قال : نعم قال : وهؤلاء أصحابك المؤمنون مثبتون معك قبل أن يخلقوا ؟ قال : نعم قال : فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك كما تكلم عيسى بن مريم على زعمك وقد كنت قبل ذلك نبيا فقال النبي صلى الله عليه واله : انه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم ، أن عيسى بن مريم خلقه الله عز وجل من أم ليس له أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم ولو أن عيسى حين خرج من بطن أمه لم ينطق بالحكمة لم يكن لامه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب وكانوا يأخذونها كما يؤخذ به مثلها من المحصنات . فجعل الله عز وجل منطقته عذرا لامه" (٢).

أما تأويل الصلاة على الأنبياء، والاستغفار، والتسبيح والتكبير والتهليل فقد أورد لنا الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله)، الكثير من التأويلات حول ذلك، ومنها ما ورد عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، أن الرسول (صلى الله عليه واله)، طلب منها أن لا تنام

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢٩٦؛ الحلي، حسن بن سليمان (٨٠٢هـ / ١٤٠٠م)، مختصر بصائر الدرجات، ١، (النجم الأشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠ م)، ص ١٦؛ الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م)، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ١، (بيروت: اعلمى، ١٤٢٥هـ)، ج ١، ص ٣٣٥؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج ١، ص ٢٨١.

(٢) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٧٩-٨٠؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧١١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢١٥-٢١٦؛ الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٣٦؛ الصادقي، الشيخ محمد، الفرقان في تفسير القرآن، ط ٢، (طهران: انتشارات فرهنگ اسلامي، ١٤١٠ هـ)، ج ١٨، ص ٣٢١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

حتى تعمل أربعة أشياء قبل نومها وهي: أن تكوني قد ختمت القرآن الكريم، وأن تجعلي جميع الأنبياء شفعاء لك، وأن ترضي المؤمنين عنك، وأن تحجي وتعتمرين، وقد استفسرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، عن كيفية عمل هذه الأشياء مع صعوبتها واستحالتها الظاهرية، فقام الرسول (صلى الله عليه واله)، بتأويل ذلك: إذ أن قراءة الإخلاص تعادل ختم القرآن، والصلاة على الأنبياء توازي شفاعتهم، والاستغفار للمؤمنين يجلب رضاهم، أما الإتيان بالتهليل والتسبيح والتكبير فهو بمثابة الحج والعمرة "عن الزهراء صلوات الله عليها قالت: دخل علي رسول الله وقد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة، لا تنامي إلا وقد عملت أربعة: ختمت القرآن، وجعلت الأنبياء شفعاءك، وأرضيت المؤمنين عن نفسك، وحججت واعتمرت، قال هذا، وأخذ في الصلاة، فصبرت حتى أتم صلاته. قلت: يا رسول الله، أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال. فتبسّم صلى الله عليه واله وسلم وقال: إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرّات فكأنك ختمت القرآن؛ وإذا صليت علي وعلى الأنبياء قبلي كنّا شفعاءك يوم القيامة؛ وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلّهم عنك، وإذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقد حججت واعتمرت" (١).

ويتضح مما سبق أن الرسول (صلى الله عليه واله)، عمل في حياته على التأكيد على مسألة التأويل على اعتبارها من مستلزمات مرحلة إكمال الرسالة الإسلامية؛ وذلك لارتباطها بموضوع ولاية الأمر من بعده، إذ جعل التأويل مع الولاية من مختصات الإمام علي (عليه السلام)، وذريته من بعده، إذ أنه بعدما أكمل مرحلة التنزيل أكد على مرحلة التأويل، وأن هناك معارك سيحمل رايتها الإمام علي (عليه السلام)، على اعتباره قائداً لهذه المرحلة، وجعلها مرحلة متممة لمرحلة التنزيل.

كما أنه حرص على إعطاء مقدمات التأويل للأمة، حتى لا تتفاجأ بهذه الطريقة من معالجة النصوص، والقضايا التشريعية من بعده، فقام بتأويل عدد من الآيات، والروايات، وأشار إلى

(١) البحراني، عبد الله بن نور الله الأصفهاني (ت: ١١٣٠هـ / ١٧١٨م)، عوامل العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ط١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص ٨٥٧؛ القمي، الشيخ عباس (١٣٥٩هـ / ١٩٤١م)، مفاتيح الجنان، تحقيق: السيد محمد رضا النوري النجفي، ط٣، (قم: مكتبة العزيزي، ٢٠٠٦م)، ص ١٠٤٤؛ القمي، الشيخ عباس (١٣٥٩هـ / ١٩٤١م)، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل صلوات الله وسلامه عليهم، ط٥، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٢٢هـ، ج١، ص ٢٦٥؛ الشيرازي، حسن الحسيني (ت: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، موسوعة الكلمة، ط١، (الكويت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ج٦، ص ١٤٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

تأويل بعض الرؤى، والقضايا الأخرى؛ وذلك لبيان أهمية التأويل في الإسلام، كما انه قام بنقل كل هذه المعارف، والعلوم التأويلية إلى وصيه الإمام علي (عليه السلام).

المبحث الثالث

التأويل وأهميته في روايات أهل البيت عليهم السلام

أولاً: علم التأويل عند الأئمة (عليهم السلام)

اتضح فيما سبق أن القرآن الكريم مر بمرحلتين في وجوده ألا وهما مرحلة التنزيل، ومرحلة التأويل، ومرحلة التنزيل يمكن اعتبارها بمثابة الجانب النظري للفهم القرآني، وتمت في عهد الرسول (صلى الله عليه واله)، إذ اكتمل نزول القرآن، وبدأ بممارسة جوانبه النظرية وتعليمها للمسلمين، من قراءة، وحفظ، وتفسير عام، وغيرها.

ألا انه بعد اغتيال الرسول (صلى الله عليه واله)، بالسم، ابتدأت مرحلة جديدة عُرفت بمرحلة التأويل، والتي تعد بمثابة الجانب العملي، أو التطبيقي لما جاء في القرآن وما تعلموه في مرحلة التنزيل أي بمعنى هي مرحلة الفهم، والاستيعاب، والتحليل، والاستقراء، والممارسة الحقيقية، إذ كانت فترة وجوده التأويلي محدودة بسبب استشهاد.

ولذلك جعل الرسول (صلى الله عليه واله) الإمام عليّ (عليه السلام)، قائداً لمرحلة التأويل من بعده، إذ سعى الإمام إلى تثبيت الممارسة العملية الحقيقية، لما جاء في القرآن الكريم من أحكام، وتشريعات، وقوانين، وأنظمة؛ وذلك من خلال مرحلة التأويل، فخاض حروباً مفصلية لتثبيت التطبيقات القرآنية كما جاءت وكما أراد الله تعالى لها أن تكون، من دون تلاعب، أو تحريف، وجاء من بعده الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، لأجل إكمال هذه المهمة؛ لكونهم الراسخون في العلم ومن يمتلكون الإرث المعرفي الرسالي.

وتشير الروايات الشريفة إلى انه لم يجمع أحداً القرآن الكريم كاملاً بجميع معارفه وعلومه، الظاهرة والباطنة ألا الإمام عليّ (عليه السلام)، والأئمة المعصومين من بعده (عليهم السلام)، فروي عن قوله: " ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزل الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام " (١).

(١) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٢٨؛ البروجردي، حسين بن محمد رضا (١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م)، تفسير الصراط المستقيم، تحقيق: غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، ط ١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٩هـ)، ج ٢، ص ١٩٣؛ التستري، محمد تقي (ت: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥هـ)، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة، ط ١، (طهران: مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٦هـ)، ج ٣، ص ٥٦٠.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وأيضاً قوله (عليه السلام) والذي يشير إلى نفس المضمون: " ما يستطيع أحد أن يدعى انه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء"(١).

كما أن الروايات تشير إلى أن استنثار أهل البيت (عليهم السلام)، بمعاني القرآن الكريم، وتأويلاته، وتفسيراته جميعها، ويشير إلى ذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عند تأويله لقوله تعالى: " {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} (٢) قال: هم الأئمة عليهم السلام خاصة"(٣). إذ يتوضح انه أولها بأن مقصود الآية يختص بالأئمة (عليهم السلام):

ومن خلال التقصي والبحث نجد أن محاولة التشديد بمنع التأويل وخصوصاً من موارده الحقيقية ومعينه الصافي، ألا وهو أهل البيت (عليهم السلام)، قد تمت في عهد معاوية بن سفيان؛ وذلك لأنه بعد أن تسلم خلافة المسلمين قام بإصدار كتبه لكل الأمصار بمنع التعرض لمناقب، ومزايا الإمام علي (عليه السلام)، وأهل بيته، وهذا معناه منع التأويل ؛ وذلك لكون تأويل القرآن الكريم في جل آياته هو في ذكر مناقب الإمام علي (عليه السلام)، وأهل بيته الأطهار، وهذا يتضح من محاجة الصحابة له ومنهم ابن عباس، والذي ربط بين قراءة القرآن وتأويله و مناقب العترة الطاهرة "قال معاوية: فإنا قد كتبنا في الأفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكف لسانك يا بن عباس وأربع على نفسك. فقال له ابن عباس : أفتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا . قال : أفتنهانا عن تأويله ؟ قال : نعم . قال : فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به ؟ قال : نعم . قال : فأيما أوجب علينا ، قراءته أو العمل به ؟ قال معاوية : العمل به . قال : فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا ؟ قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك . قال : إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان أو أسأل عنه آل أبي معيط أو اليهود والنصارى والمجوس ؟ قال له معاوية : فقد عدلتنا بهم وصيرتنا منهم . قال له ابن عباس : لعمرى ما أعدلك بهم ، غير أنك نهيتنا أن نعبد الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه ، وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا . قال معاوية

(١) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢١٣؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٢٨؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ١، ص ٢٠؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٣، ص ٣٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٩.

(٣) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١ ص ٢١٤؛ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ١٥١؛ الديلمي: محمد بن الحسن اليماني (من أعلام القرن الثامن الهجري)، غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأطهار (ع)، تحقيق: إسماعيل الضيغم، ط ١، (قم: منشورات دليل ما، ١٤٢٧هـ)، ص ١٨٠؛ الاسترآبادي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ج ١، ص ٤٣٣.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

: فاقروا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم من تفسيره وما قاله رسول الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك . قال ابن عباس : قال الله في القرآن : "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" (١) قال معاوية : يا بن عباس ، اكفني نفسك وكف عني لسانك ، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرا ولا يسمعه أحد منك علانية . ثم رجع إلى منزله، فبعث إليه بخمسين ألف درهم" (٢).

ثانياً: حملة التأويل

تكاد تتفق جميع المصادر الشيعية على اختلاف فرقهم، ومذاهبهم، بأن الراسخين في العلم في القرآن الكريم، وهم النبي محمد (صلى الله عليه واله) وهو أفضل الراسخون، والأئمة من بعده، وأولهم الإمام علي عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى قد علم رسوله الكريم كل علوم التنزيل والتأويل، فلا يمكن عقلاً أن ينزل الله على نبيه شيئاً لا يعلم بتأويله، وأوصيائه (عليهم السلام) من بعده يعلمون تأويله (٣).

ومن هذه الروايات ما جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في بيان فضل أهل البيت (عليهم السلام)، والإشارة إلى من هم الراسخون في العلم: "أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا -كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم -وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم - بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى -إن الأئمة من قريش -غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم -ولا تصلح الولاية من غيرهم" (٤)، وعدوهم هم الراسخون بالعلم، وأصحاب التأويل. وكذلك ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله" (٥).

كما يذهب صاحب البصائر إلى ذلك في بيان معنى قول الله تعالى مستنداً إلى إحدى الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢.

(٢) الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، صص ٧٨٢-٧٨٣؛ الفيض الكاشاني، نواذر الأخبار، ص ١٨٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٢٤-١٢٥؛ الجزائري، نعمة الله بن محمد الموسوي (ت: ١١١٢هـ/ ١٧٠١م)، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار (ع)، ط ١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩؛ البروجردي، حسين بن محمد رضا، تفسير الصراط المستقيم، تحقيق: غلام رضا مولانا البروجردي، ط ١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٩هـ)، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٢٤.

(٤) الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص ٢٠١.

(٥) أبو بصير الأسدي، عبداً الله بن محمد (ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، مسند أبي بصير، تحقيق: مسند أبي بصير، ط ١، (قم: دار الحديث، ١٤٢٥هـ)، ج ١، ص ١١٠-١١١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

فرسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيه فأجابهم الله يقولون أمنا به كل من عند ربنا والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ والراسخون في العلم يعلمونه" (١)

وهذا ما أكدّه الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً بقوله: "أن القرآن محكم ومتشابه فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به هو قول الله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا والراسخون في العلم هم آل محمد" (٢)

إذ أن من وراء ما نقرأه ونفهمه من القرآن، هناك أمرٌ آخر هو بمنزلة الروح من الجسد، ويسميه الله تعالى بالكتاب الحكيم، وهذا الكتاب الحكيم تعجز النفوس العادية الوصول إلى معارفه، ومضامينه، لأنه لا يمكن أدراكه ألا من قبل المطهرين، قال تعالى {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} (٣)، فالمرس هنا هو وصولهم إلى العلم والفهم الإلهي، لأنهم هم من نزلت في قلوبهم الطهارة؛ وذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (٤)، فالطهارة إنما هي: إزالة الأرجاس من القلب، في الاعتقاد والإرادة، فيؤدي ذلك إلى ثبات القلب لاستقبال المعارف الحقة من غير ميلان إلى الهوى أو الزيغ عن الحق، وهنا يتجلى معنى الرسوخ في العلم والثبات على العهد والميثاق (٥).

كما انزل الله قسماً من أحكامه، وعباداته مجملة غير مفسرة، وترك تفسيرها وتوضيح كیفياتها للرسول (صلى الله عليه واله)، وهو أول الراسخون في العلم، فمثلاً عندما نزلت الأوامر بالصلاة لم تفصل، ولم توضح عدد ركعاتها، أو كیفيتها، إذ ترك تفصيلها للرسول (صلى الله عليه واله)، فقسم عدد ركعاتها اربعاً وثلاثاً، وهكذا، وكذلك في الزكاة لم يحدد مقدارها، من كل أربعين درهماً يكون تكون الزكاة درهماً، وهكذا، إذ ترك تفصيلها للرسول (صلى الله عليه واله)، ففسرها كما هي الآن، والحج كذلك عندما نزلت الآيات بفرضه لم تحدد

(١) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٢٤.

(٢) العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي (ت ٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م)، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، ط ١، (طهران: المكتبة العلمية، ١٣٧٤ هـ)، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) سورة الواقعة، الآية ٧٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الأعجاز والتحدى في القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ قاسم الهاشمي، ط ١، (بيروت: بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢ م)، ص ٩٦-٩٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

كيفيته، وبقي المسلمون لا يعرفون تفاصيله حتى فسرهُ الرسول (صلى الله عليه واله)، بالطواف أسبوعاً، وهكذا الكثير من التفاصيل الأخرى (١).

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا من يحمل راية تأويل نصوص القرآن الكريم يجب أن يكون معصوماً؟

والجواب على ذلك هو: أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وهو جاء بهدف تعليمي تشريعي حكمي غايته هداية البشرية وإيصالهم إلى مرحلة الفوز، ولذلك فإن تعليمه وتبيين مقاصده يتطلب شخصاً معصوماً عنده علم مسبق من الله تعالى بهذه المقاصد، أما غير المعصوم فإنه لو حمل راية التأويل، فإن إطار نطاقه التأويلي يكون محدوداً ومشخصاً داخل نطاق الأنا التابعة له، محكوماً بأهواء النفس غير المعصومة، ومعرضة للأخطاء والميل والسهو، وهذا يستلزم معه الكذب على الله تعالى، وما أنزله والله تعالى يقول في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٢)، و﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣)، و﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٤)، و﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٥).

كما أن حمل راية التأويل من غير المعصوم يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، وخاطئة مما يترتب عليها مفسد خطيرة تهدد جسد الأمة الإسلامية التي أرسى قواعدها الرسول (صلى الله عليه واله)، ولعل ما عمله الخوارج من مفسد بسبب تأويلهم الفاسد وما جروه على المسلمين من حروب ومعارك وأراء تكفيرية لا يزال يعاني منها المسلمون إلى هذا الوقت.

فمثلاً من تأويلاتهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦)، قال قسم من الخوارج بقطع اليد من المرفق، وقسم آخر منهم قالوا إن القطع يكون من أصل الكتف (١).

(١) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) سورة يونس، الآية ٦٩.

(٣) سورة هود، الآية ١٨.

(٤) سورة النحل، الآية ١١٦.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٨.

(٦) سورة المائدة، الآية ٣٨.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وقولهم بأن الإمام علي (عليه السلام) قد أشرك لقبوله بالتحكيم، وكانوا يتأولون في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢)، ويعرضون بالإمام علي (عليه السلام)؛ وذلك ما فعله ابن الكواء الخارجي عندما كان يقرأ هذه الآية في صلاة الصبح وكان يلزم فيها الإمام علي (عليه السلام) (٣)، بحسب تأويلاتهم وفهمهم الفاسد للنصوص.

ثالثاً: مصادر التأويل عند أهل البيت (عليهم السلام)

لقد تنوعت، وتعددت مصادر التأويل عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ وذلك بحسب ما استشفيناه من الأخبار والروايات الواردة في بطون الكتب، وما استقرأنا، إذ وردت الكثير من الإشارات إلى مصادر العلم المتنوعة، والتي كانت تستند إليها معارفهم وعلومهم المختلفة ومن ذلك ما نورده على النحو الآتي:

١- القرآن الكريم: والذي يمثل المصدر الأول لكل العلوم بما ضمنها علم التأويل

٢- السنة النبوية: ويمثل ثاني مصادر العلوم بعد القرآن الكريم

٣- علم الألف باب: وهو العلم المخصوص بالإمام علي (عليه السلام)، تشير الروايات الماثورة التي وصلت إلينا من أئمة الهدى (عليهم السلام)، إلى أن رسول الله (صلى الله عليه واله)، كان قد علم الإمام علي (عليه السلام)، ألف باباً من العلم يفتح له من كل باب منه ألف باب، وقد حمل الإمام علي (عليه السلام)، هذه العلوم والمعارف، ونقلها وعلمها إلى ورثته وأوصيائه، الأئمة المعصومين (عليهم عليهم)، فكان هذا العلم الذي أسميناه علم المائة ألف باب كما جاء في الروايات هو مصدراً مهماً لكل علومهم ومعارفهم، ومن جملتها علم التأويل "عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جُعِلَتْ فداك! إني أسألك عن مسألة، ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترًا بينه وبين بيت آخر فاطَّلَعَ فيه ثم قال: يا أبا محمد، سل عما بدا لك قال: قلت: جُعِلَتْ فداك! إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم علّم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب. قال: فقال: يا أبا

(١) الروضاتي، أحمد الموسوي، إجماعات فقهاء الإمامية، ط١، (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١١ م)، ج١، ص٤٩

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٥

(٣) المدرسي، هادي، أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، دراسة في تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق والمعارض المخلص، والحاكم العادل، ط١، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠ م)، ج٢، ص٨١

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

محمد، علم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب" (١)

٤- العلم اللدني: وهو عبارة عن نور يبدأ ظهوره في القلب، ومن خلاله ينشرح هذا القلب، ويبدأ بمشاهدة الغيب، كما انه يبدأ بتحمل البلاء، وحفظ الأسرار، ومن علاماته هو التجافي عن الدار الدنيا، والإنابة والتعلق بالدار الآخرة، والاستعداد لملاقاة الله تعالى، قبل حلول الأجل، ويذهب العلماء إلى اعتبار أن حقيقة العصمة، في ماهيتها ترجع إلى هذا العلم (٢). وعُرف أيضاً بأنه العلم الجامع لكل العلوم وهو الذي تلقاه النبي ادم (عليه السلام)، من الله تعالى، والذي بموجبه صار مؤهلاً ليكون خليفة الله في الأرض وان من يحمل هذا العلم يكون مؤهلاً لمشروع الهداية الإلهية (٣). كما وصف بأنه العلم الذي يتلقاه الكاملون، الذين يكون ارتباطهم بالمراحل العالية للقرآن الكريم، والذين يتلقون هذا العلم من عند الله، كما دل على ذلك قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} (٤)، ومن شروط المراحل العليا للقرآن، طهارة القلب {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} (٥)، والمراد هنا طهارة الباطن، والرسول محمد (صلى الله عليه واله)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، لهم الحضور والتوحد في جميع مراحل القرآن الكريم وأدواره (٦).

٥- ما توارثه الأئمة (عليهم السلام) من الكتب: ككتاب الجامعة، والجفر، الجفر الأبيض: فأما الجامعة فهي عبارة عن صحيفة مكتوبة بخط الإمام علي (عليه السلام)، وأملاء رسول الله (صلى الله عليه واله)، ووصف العلم الموجود فيها انه يشتمل على كل حلال وحرام، وكل الأشياء التي يحتاجها الناس، حتى الأشياء الصغيرة منها "وإن عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة، قال: قلت: جُعِلَتْ فداك! وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وإملانه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كل حلال

(١) أبو بصير الأسدي، مسند أبي بصير، ج ١، صص ١١٢-١١٣؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٩؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢٨٢؛ الحلي، حسن بن سليمان (٨٠٢هـ / ١٤٠٠م)، المحتضر، تحقيق: سيد علي أشرف، ط ١، (النجف الأشرف: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ)، ص ٢٠٣؛ الكركي، الشيخ حسين بن حسن (ت: ١٠٠١هـ / ١٥٩٣م)، دفع المناوأة عن التفضيل المساواة، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط ١، (قم: الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ)، ص ١٨٦.

(٢) الروحاني، أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، ج ١، ص ٦٨.

(٣) السند، محمد، أسس النظام السياسي عند الإمامية، تحقيق: محمد حسن الرضوي ومصطفى الإسكندري، ط ١، (قم: باقيات، ١٤٢٦م)، ص ٣٣٠ و٣٦٧.

(٤) سورة النمل، الآية ٦.

(٥) سورة الواقعة، الآية ٧٩.

(٦) الحيدري، أصول التفسير والتأويل، ص ٤٤٧.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش، وضرب بيده إليّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك! إنما أنا لك فاصنع ما شئت. قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا -كأنه مغضب -قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك" (١). وربما قصد الإمام الصادق (عليه السلام)، في قوله: " إنه لعلم وليس بذاك" على أنه علم لكنه علم خاص بهم (صلى الله عليهم واله)، وليس علم عام للجميع.

أما الجفر فهو عبارة عن وعاء فيه كل علوم الأنبياء والأوصياء، وعلوم علماء بني إسرائيل السابقين " وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك" (٢).

فيما أشارت الروايات إلى أن انه عبارة عن وعاء مجموع فيه كتب الأنبياء السابقين وصحفهم، مثل الزبور، والتوراة، وصحف إبراهيم، والإنجيل، ومنها ما روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: "عندي الجفر الأبيض قال قلنا وأي شيء فيه قال فقال لي زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام" (٣)

٦- الإلهام، وحديث الملائكة: ويعرف الإلهام على أنه عبارة عن نوع من العلم يتم تلقيه عن طريق القوة الحدسية، المودعة عند من اختارهم الله تعالى، ومن خلال هذا الإلهام لا يحتاج إلى براهين عقلية أو تلقين المعلمين (٤). كما عُرف على أنه نوع من أنواع الوحي في المفهوم القرآني، وهو ألقاء العلم إلى الغير في الخفاء، والسر (٥)، كما في قوله تعالى {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} (٦)، وقوله تعالى {وَأَوْحَيْنَا

(١) أبو بصير الأسدي، مسند أبي بصير، ج ١، ص ١١٣؛ الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٦٢-١٦٣؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢١٨؛ الاستر آبادي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ج ١، ص ١٠٢؛ الكركي، دفع المناواة عن التفضيل المساواة، ص ١٨٧؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ٣٣٤.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٠؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٤٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٨٦؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج ١، ص ٤٧٧؛ الرواندي، الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٩٤؛ الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ٣٨٤؛ الحر العاملي، أحمد بن الحسن (ت): ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م)، مخطوط الدر المسلوكة في أحوال الأنبياء والأوصياء والملوك، نسخة خطية مصورة في المكتبة الحسينية المقدسة.

(٤) القاسم، أسعد وحيد، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، ط ١، (بيروت: لغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م)، ص ٦٤.

(٥) الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، ط ١، (قم: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي)، ص ٣٠.

(٦) سورة النحل، الآية ٦٨.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (١).

وأيضاً عُرف على انه نوع من أنواع العلم الفيضي، الذي يفيضه الله تعالى على قلوب أصفیائه، وأحبائه، ومن خلاله يلهمون الفهم والحكمة {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٢)، ومن هذا الفيض الإلهي المعرفة والفهم في تبيان كتاب الله تعالى (٣).

أما حديث الملائكة: ويطلق عليه النقر في الأسماع، إذ أشار الإمام الصادق (عليه السلام)، إلى هذه المسألة وقال إن معنى ذلك هو أن الملائكة تحدثهم بالأحاديث عن طريق الأسماع، من دون رؤية صورهم (٤). واتفق العلماء والفقهاء على صيغة لتعريف الشخص المحدث، فقالوا: هو الذي تقوم بتكليمه الملائكة، من غير نبوة أو رؤية لصورتهم، وقد دل القرآن على هذه الحقيقة، في قصة السيدة مريم بنت عمران والتي كانت تحدث الملائكة (٥)، كما في قوله تعالى {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} (٦)، {الْعَالَمِينَ} (٦)، و {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (٧).

إذ يطلق على الشخص الذي تحدثه الملائكة بالمحدث، والمحدثة، ومن ذلك ما وصفت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) "أيتها المحدثة العليمة"، كما جاء في الأخبار أن كل أوصياء النبي محمد (صلى الله عليه واله) كانوا محدثون (٨).

رابعاً: مرويات أهل البيت (عليهم السلام)، في التأويل

(١) سورة القصص، الآية ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) متولي، عبد الحميد محمود، أضواء على مناهج بعض المفسرين من زوايا علوم القرآن، ط ١، (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر، ١٩٩٩م)، ص ٥٢.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٨٦؛ الأربلي، علي بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (بيروت: دار الأضواء)، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٥) السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ط ١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ١٤٢١هـ)، ص ٥٨٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٤٥.

(٨) التبريزي، محمد علي بن أحمد (ت: ١٣١٠هـ)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة فاطمة الزهراء، تحقيق: هاشم الميلاني، ط ١، (قم: مؤسسة الهادي، ١٤١٨هـ)، ص ٢٠٠.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

مثل المخزون الروائي لأهل البيت (عليهم السلام)، تراثاً فكرياً، وعقائدياً، وتاريخياً مهماً في اكتساب العلوم والمعارف، ومنها علم التأويل، وكان بمثابة الطريق والمنهاج، لفهم الشريعة، والسنة الحقة، والسير على هداهم للوصول إلى ما أراده الله تعالى لعباده من النعيم الخالد، وفيما يلي قسم من النماذج المهمة التي طبق فيها أهل البيت (عليهم السلام) ممارساتهم التأويلية:

ومن ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في المسائل العبادية مثل تأويل الأفعال والحركات في الصلاة، مثل السجدة الأولى والثانية والتي يعني تأويل الأولى منها بأن الله خلقنا من الأرض، أما السجدة الثانية فتأويلها إليها نعود؛ أما رفع الرجل اليمنى على اليسرى فمعناها أمانت الباطل وإقامة الحق " قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام يا بن عم خير خلق الله ما معنى السجدة الأولى فقال تأويله اللهم أنك منها خلقتني -يعنى من الأرض- ورفع رأسك ومنها أخرجتنا والسجدة الثانية وإليها تعيدنا ورفع رأسك من الثانية ومنها تخرجنا تارة أخرى قال الرجل ما معنى رفع رجلك اليمنى وطرحك اليسرى في التشهد؟ قال تأويله اللهم أمت الباطل وأقم الحق"(١).

أما تأويل مد العنق في الصلاة فمعناها اعتراف الإنسان بأيمانه بالله تعالى ولو كان ذلك الأيمان ثمنه قطع العنق " وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا ابن عم خير خلق الله عز وجل ما معنى مد عنقك في الركوع؟ فقال: تأويله آمنت بالله ولو ضربت عنقي"(٢).

كما وضع الإمام علي (عليه السلام)، تأويل قول الإمام في الصلاة (السلام عليكم)، بأنه ترجمة، ونقل من الله تعالى إلى المصلين بأنه بمثابة الأمان في يوم القيامة من العذاب " وقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام... فما معنى قول الإمام: السلام عليكم فقال: إن الإمام يترجم عن الله عز وجل ويقول في ترجمته لأهل الجماعة: أمان لكم من عذاب الله يوم القيامة"(٣).

كما كانت لهم ممارسات تأويلية، ومنها الروايات التي وردت، والتي تشير في طبائرها إلى المعرفة الخاصة لأهل البيت (عليهم السلام) بتأويل الأعداد بما يناسبها من معلومات، ومعارف،

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٣٦؛ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١٤؛ المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٤٠؛ الفيض الكاشاني، الحقائق في محاسن الأخلاق، تحقيق: محسن عقيلي، ط ٢، (قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٤١.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١١؛ المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٧؛ الفيض الكاشاني، الوافي ج ٨، ص ٨٥٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٩٤٢.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٢٠؛ العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، (مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٩هـ)، ج ٥، ص ٢١٢؛ المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٦٣.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

إذ نلاحظ من خلال هذه الروايات، والأخبار، أن الأعداد قد تنتقل من مفاهيمها الظاهرية الحسابية، إلى مدلولات ومفاهيم تأويلية أخرى، فتأتي على شكل رموز، وإشارات لأشياء جديدة، ومنها ما جاء في سؤال احد علماء اليهود للإمام علي (عليه السلام)، عن معاني الأعداد من الواحد إلى الاثنا عشر، وكانت هذه الأسئلة هي بمثابة اختبار معرفي علمي، غايته استكشاف الخليفة الشرعي لرسول الله (صلى الله عليه واله)، إذ أن الخليفة الشرعي لابد أن يكون لديه المعرفة الكاملة بكل العلوم والمعارف ومنها علم التأويل، ولذلك كانت الإجابات الدقيقة والصحيحة للأئمة (عليهم السلام) باعتبارهم ورثة الأنبياء، بمثابة تعزيز ونصر للإسلام.

ونلاحظ أن الإمام علي (عليه السلام)، يجيب عن معنى الأعداد ليس بكونها أرقام حسابية، وإنما بكونها رموز تعبر عن معاني أخرى، ففي رواية يعبر عن العدد واحد على انه رمز للوحدانية، والاثنتان يرمز لهما بأدم، وحواء أي بداية الخلق الآدمي، أما الثلاثة فيؤولان بالملائكة جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، والأربعة ترمز للكتب السماوية، والخمسة ترمز للصلاة، بينما الستة ترمز لخلق السماء، والأرض، ويؤول العدد سبعة بالسموات السبع "وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا" (١)، والثمانية تؤول بحملة العرش، فيما يرمز العدد تسعة إلى الآيات التي أنزلها الله على نبي الله موسى (عليه السلام)، والعشرة ترمز إلى العشرة المتممة لميقات النبي موسى (عليه السلام)، "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ" (٢)؛ أما الأحد عشر فكان تأويلها برؤية النبي يوسف (عليه السلام)، "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا" (٣)، أما تأويل الاثنا عشر فهي عيون الماء التي فجرها نبي الله موسى (عليه السلام)، بعصاه، وتأويل هذه الأعداد وبيان معناها الخفي الذي رمز له بالعدد، آمن عدد من اليهود بالإسلام وبوصاية الإمام علي (عليه السلام) "أتي قوم من اليهود عمر بن الخطاب وهو يومئذ وال على الناس فقالوا: أنت والي هذا الأمر بعد نبيكم. وقد أتيناك نسألك عن أشياء إن أنت أخبرتنا بها آمنة وصدقنا واتبعناك، فقال عمر: سلوا عما بدا لكم، قالوا: أخبرنا عن أقفال السماوات السبع ومفاتيحها، وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟ وأخبرنا عن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الأتس؟ وأخبرنا عن موضع طلعت فيه الشمس ولم تعد إليه، وأخبرنا عن خمسة لم يخلقوا في الأرحام، عن واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة، وعن ثمانية وتسعة وعشرة وحادي عشر وثاني عشر؟ قال فأطرق عمر ساعة ثم فتح عينيه ثم قال : سألتكم عمر بن الخطاب عما ليس له به علم ولكن ابن عم رسول الله صلى الله عليه عليه

(١) سورة النبأ، الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

واله يخبركم بما سألتكموني عنه ، فأرسل إليه فدعاه فلما أتاه قال له : يا أبا الحسن إن معاشر اليهود سألوني عن أشياء لم أجبهم فيها بشيء وقد ضمنوا لي إن أخبرتهم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه واله فقال لهم علي عليه السلام : يا معشر اليهود اعرضوا علي مسائلكم فقالوا له مثل ما قالوا لعمر ، فقال لهم علي عليه السلام : أتريدون أن تسألوا عن شيء سوى هذا قالوا لا : يا أبا شبر، وشبير ، فقال لهم علي (عليه السلام) : أما أقفال السماوات فالشرك بالله ، ومفاتيحها قول لا إله إلا الله ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فالحوت وأما الواحد فالله الواحد لا شريك له ، وأما الاثنان فأدم وحواء وأما الثلاثة فجبريل وميكائيل وإسرافيل ، وأما الأربعة فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وأما الخمس فخمس صلوات مفروضة على النبي صلى الله عليه واله ، وأما الستة فقول الله عز وجل : " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام " وأما السبعة فقول الله عز وجل : " وبينا فوقكم سبعا شدادا " وأما الثمانية فقول الله عز وجل " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " وأما التسعة فالآيات المنزلات على موسى بن عمران عليه السلام ، وأما العشرة فقول الله عز وجل : " وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر " وأما الحادي عشر فقول يوسف لأبيه " إني رأيت أحد عشر كوكبا " وأما الاثني عشر فقول الله عز وجل لموسى عليه السلام : " اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا " قال : فأقبل اليهود يقولون : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه واله وإنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه واله ، ثم أقبلوا على عمر فقالوا : نشهد أن هذا أخو رسول الله صلى الله عليه واله والله إنه أحق بهذا المقام منك . وأسلم من كان معهم وحسن إسلامهم " (١).

أما عن رمزية السلاح في تأويل أهل البيت (عليهم السلام)، فقد مثل السلاح ، بمثابة تسلّم أمور الخلافة، فكانوا يُعرفون من خلال وراثة السلاح من واحد إلى آخر على أنه رمزٌ لتولي الأمور والوصاية، فمرة أولوه على أنه يدل على منصب الإمامة؛ كما نقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) "ومثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل أهل بيت وقف التابوت على باب دارهم أوتوا النبوة كذلك ومن صار إليه السلاح منا أوتى الإمامة ولقد لبس أبي درع

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٤٥٦-٤٥٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٣٨٣-٣٨٤؛ ابن قاسم العاملي، السيد محمد بن محمد بن الحسن (ت: ١٠٨٥ هـ/ ١٦٧٥ م)، المواعظ العددية أحاديث وحكم ومواعظ تبدأ بالأحاد وتنتهي بالاثني عشر، ط ١، (قم: طليعة النور، ١٣٨٤ هـ)، ص ٦٦٨-٦٦٩؛ العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)، ط ١، (قم: ولاء المنتظر (عج)، ١٤٣٠ هـ)، ج ١٣، ص ٥٢-٥٥.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

رسول الله فخطت على الأرض خطيطا ولبستها أنا فكانت وقائمتنا ممن إذا لبسها ملأها إن شاء الله" (١).

وجاء أيضاً تأويل وجود السلاح على ولاية الأمر، كما جاء برواية الإمام الرضا (عليه السلام)، عن الإمام الباقر (عليه السلام) "إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيثما دار التابوت أوتوا النبوة، وحيثما دار السلاح فينا فثم الأمر، قلت: فيكون السلاح مزايلاً للعلم؟ قال: لا" (٢).

كما أولوه على أنه دلالة أو رمز للعلم كما في الحديث المأثور عن الإمام الباقر (عليه السلام) "إن السلاح فينا كمثّل التابوت في بني إسرائيل كان حيث ما دار التابوت فثم الملك وحيث ما دار السلاح فثم العلم" (٣).

كما دلت الروايات على معرفة أهل البيت (عليهم السلام)، بتأويل الرؤى، والأحلام، ومنها ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في رؤية معانقة الأموات للأحياء، إذ رأى أحد المسلمين أنه يقبل أحد الأموات، فكان تأويل ذلك بطول العمر، وكان الميت اسمه حسين، فكان تأويل ذلك للرائي بالبشارة بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) "جاء موسى الزوار العطار إلى

(١) "حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن معاوية بن وهب عن سعيد السمان قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا أفيكم أمام مفترض طاعته فقال لا قال فقالا له فأخبرنا عنك الثقات أنك تعرفه وتسميهم لك وهم فلان وفلان وهم أصحاب ورع وتشمير وهم ممن لا يكذبون فغضب أبو عبد الله عليه السلام وقال ما امرتهم بهذا فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا فقال لي أتعرف هذين قلت نعم هما من أهل سوقنا من الزيدية وهما يزعمان أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبد الله بن الحسن فقال كذبا لعنهما الله ولا والله ماراه عبد الله بعينيه ولا بواحد من عينيه ولا رآه أبوه ألا أن يكون رآه عند علي بن الحسين بن علي وإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه ومالا ترى في موضع مضربه وإن عندي لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ولا مته ومغفرة فإن كانا صادقين فما علامة في درعه وإن عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله والمغلبة وإن عندي ألواح موسى وعصاه وإن عندي لخاتم سليمان بن داود وإن عندي الطست الذي كان يقرب بها موسى القربان وإن عندي الاسم الذي كان إذا أراد رسول الله أن يضعه بين المسلمين والمشرّكين لم يصل من المشرّكين إلى المسلمين نشابة وإن عندي التابوت التي جاءت به الملائكة تحمله ومثّل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل أهل بيت وقف التابوت على باب دارهم أوتوا النبوة كذلك ومن صار إليه السلاح منا أوتى الإمامة ولقد لبس أبي درع رسول الله فخطت على الأرض خطيطا ولبستها أنا فكانت وقائمتنا ممن إذا لبسها ملأها إن شاء الله". الصغار، بصائر الدرجات، ١٩٤-١٩٥؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٨٨؛ الفتح النيسابوري، روضة الواعظين، ج ١، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٢) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٨؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٢، ص ١٣٤؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٣، ص ٥٣؛ الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٢٥٠.

(٣) الصغار، بصائر الدرجات، ١٩٦-١٩٧؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٣٨؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ١، ص ٢٧٦؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٢، ص ١٣٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠٦.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

أبى عبد الله (عليه السلام) فقال له: يا ابن رسول الله رأيت رؤيا هالتي، رأيت صهرا لي ميتا وقد عانقتي، وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب، فقال: يا موسى: توقع الموت صباحا ومساء فانه ملاقينا ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم فما كان اسم صهرك؟ قال: حسين فقال: أما إن رؤياك تدل على بقائك وزيارتك أبي عبد الله (عليه السلام) فإن كل من عانق سمي الحسين يزوره إن شاء الله" (١).

كما فسر الإمام الصادق (عليه السلام)، رؤية أخرى لأحد المسلمين وكان يرى امرأة تأتيه في منامه، فيثير ذلك الفزع لديه، وكان تأويل ذلك كما أخبر به الإمام هو عدم إيتاء الزكاة، أو عدم أعطائها لمستحقها، إذ أولت المرأة هنا بالزكاة " عن صفوان بن يحيى، عن داود، عن أخيه عبد الله، قال: بعثني أنسان إلى أبي عبد الله عليه السلام زعم أنه يفزع في منامه من امرأة تأتيه قال: فصحت حتى سمع الجيران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اذهب فقل: أنك لا تؤدي الزكاة، قال: بلى، والله اني لأؤديها فقال: قل له: أن كنت تؤديها لا تؤديها إلى أهلها في حديث له" (٢).

وقد أول الإمام الرضا (عليه السلام)، رؤيته للغرة البيضاء لأحد الموالى بمسألة دينه " قال ياسر الخادم: أن أبا الحسن الثاني (عليه السلام) أصبح في بعض الأيام، قال، فقال لي: رأيت البارحة مولى لعلي بن يقطين وبين عينيه غرة بيضاء؟ فتأولت ذلك على الدين" (٣).

وأيضاً كانت لهم معرفة في تأويل أصوات الحيوانات ومنها ما ورد عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، في تأويل صياح النسر، والعقاب، والقبرة انه قال: " إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم عشت ما عشت آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس أنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي آل محمد" (٤).

(١) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ٨، ص ٢٩٣؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٤٠٨؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٢٦، ص ٣٢٠؛ الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٧٠.

(٢) البرقي، احمد بن محمد خالد (ت: ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ)، ج ١، ص ٨٧؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج ٢، ص ٢١٨؛

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ج ٢، ص ٧٨٥؛ المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ على پناه الاشتهايدي، ط ٢، (قم: مؤسسة فرهنگ إسلامي، ١٣٤١هـ)، ج ١٤، ص ٤٧٨.

(٤) التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم)، ج ٥، الطبراني، ص ١١.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ومما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام)، تأويله لعدد من أصوات الحيوانات ومنها، الطاووس، والدراج، والديك، والدجاجة، والباشق، والحدأة، والعقاب وغيرها من الأصوات "وإذا صاح الطاووس يقول : مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزینتي فاغفر لي وإذا صاح الدراج يقول : الرحمن على العرش استوى وإذا صاح الديك يقول : من عرف الله لم ينس ذكره وإذا قرقرت الدجاجة تقول : يا إله الحق أنت الحق وقولك الحق يا الله يا حق وإذا صاح الباشق يقول آمنت بالله واليوم الآخر وإذا صاحت الحدأة تقول : توكل على الله ترزق وإذا صاح العقاب يقول : من أطاع الله لم يشق وإذا صاح الشاهين يقول : سبحان الله حقا حقا وإذا صاحت البومة تقول : البعد من الناس أنس وإذا صاح الغراب يقول : يا رازق ابعث بالرزق الحلال وإذا صاح الكركي يقول : اللهم أحفظني من عدوي وإذا صاح اللقلق يقول : من تخلص من الناس نجى من أذاهم وإذا صاحت البطة تقول : غفرانك يا الله غفرانك وإذا صاح الهدهد يقول : ما أشقى من عصى الله وإذا صاح القمري يقول : يا عالم السر والنجوى يا الله وإذا صاح الدبسي يقول : " أنت الله لا إله سواك يا الله..." (١).

ودلت الأخبار التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) انهم قاموا بتوضيح العديد من التأويلات لآيات القرآن الكريم، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، في تأويل آية ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمَّا اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)، وتأويل هذه الآية الباطني هو عملية استيداع العلم الخاص، عند الأشخاص الذين يكونون مؤهلين لاحتمال هذا العلم، وإرسالهم إلى بقاع الأرض المختلفة، واستخدام الاسم الأكبر في دعوتهم للعودة، والرجوع "وأما تفسيره في باطن القرآن قال: خذ أربعة من الطير ممن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثم ابعثهم في أطراف الأرض حججا لك على الناس، فإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتونك سعيا بإذن الله" (٣).

(١) الرواندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٧-٢٨؛ المجلسي، حلية المتقين في الآداب والسنن والأخلاق، ط ١، (قم: ذوي القربى، ١٤٢٤هـ)، ص ٦٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

(٣) العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٤٦؛ الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٢٦٥؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٤٠؛ الجزائري، نعمة الله بن محمد الموسوي (ت: ١١١٢هـ / ١٧٠١م)، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، (قم: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ)، ص ١١٤.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

أما آية {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٌ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} ^(١)، فجاء في تأويلها أن المقصود فيها هو الإمام علي (عليه السلام) " عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله {حبيب إليكم الأيمان وزينه في قلوبكم} ^(٢) يعني أمير المؤمنين" ^(٣).

ومما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، في تأويل قوله تعالى {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} ^(٤)، فالمقصود بهم أهل البصرة، أما تأويل قوله تعالى {وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ^(٥)، فالمقصود بهم قوم لوط ^(٦).

أما آية {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ^(٧)، فإن المقصود منها في تأويلها هي ولاية محمد وال محمد (عليهم السلام)، إذ أن الولاية مثلت العمل الصالح، وإن جحدوها بمثابة الشرك " قال: لا يتخذ مع ولاية آل محمد ولاية غيرهم وولايتهم العمل الصالح، فمن أشرك بعبادة ربه فقد أشرك بولايتنا وكفر بها، وجدد أمير المؤمنين عليه السلام حقه وولايته" ^(٨).

أما في تأويل آية {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى} ^(٩)، فجاء عنهم أنها تعني اخلع محبة اهلك من قلبك؛ وذلك لأن موسى كان شديد التعلق بأهله "قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما قال: إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عن سواك -وكان شديد الحب لأهله- فقال الله تعالى: " اخلع نعليك " أي أنزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولا" ^(١٠).

(١) سورة الحجرات، الآية ٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٧.

(٣) الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، ص ٤٢٦؛ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٣١٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٢١٤؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٧، ص ٩٥.

(٤) سورة النجم، الآية ٥٣.

(٥) سورة التوبة، الآية ٧٠.

(٦) أبو بصير الأسدي، مسند أبي بصير، ج ١، ص ٣١٩؛ الشيخ الكليني، الأصول من الكافي، ج ٨، ص ١٨٠-١٨١؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٢٣٣.

(٧) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٨) أبو بصير الأسدي، مسند أبي بصير، ج ١، ص ٣١٩؛ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٧؛ الفيض الكاشاني، الكاشاني، التفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٧٠.

(٩) سورة طه، الآية ١٢.

(١٠) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتام النعمة، ص ٤٦٠؛ ابن رستم الطبري، محمد بن جرير (ت: القرن الرابع الهجري)، دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، ط (١) قم: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ، ص ٥١٣؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٧٢.

خامساً: المعالجات التأويلية عند أهل البيت (عليهم السلام)

حرص أهل البيت (عليهم السلام)، على محاربة ومعالجة التأويلات الخاطئة التي كان يقوم بها بعض الأفراد، أو الجماعات؛ وذلك لخطورتها وتأثيرها الكبير على المجتمع. إذ كان يقوم قسم من هؤلاء بتأويل الآيات القرآنية، أو الأحاديث الشريفة إذ يقومون بممارسات تأويلية خاطئة، ولهذا تصدى أهل البيت (عليهم السلام)، لهذه الممارسات؛ وذلك بوصفهم الراسخون في العلم، ومن يملكون الإرث المعرفي من بعد رسول الله (صلى الله عليه واله)، ومنه علوم القرآن الكريم، والحاملين لرؤية ولواء التأويل؛ بدءاً بالإمام علي (عليه السلام)، قائد التأويل، ومروراً بالأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ومن هذه المعالجات ما يأتي:

١- معالجة الإمام علي (عليه السلام) لتأويل حديث عمار تقتله الفئة الباغية:

أجمعت المصادر على صحة الحديث المروي عن الرسول (صلى الله عليه واله)، في خصوصية وإشكالية مقتل الصحابي الجليل عمار بن ياسر، إذ جعل مقتله مائز بين الحق، والباطل؛ أي بين فريق الحق، وفريق الغي، والضلال، والبغي؛ بين أصحاب الجنة، وبين أصحاب النار؛ وذلك بالاستناد على رواية عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار " خالد عن عكرمة أن ابن عباس قال له، ولا بنه علي انطلقا إلى أبي سعيد الخدري فاسمعا من حديثه قال: فانطلقا فإذا هو في حائط له فلما رأنا أخذ رداءه فجاءنا ففقدنا نشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد قال كنا نحمل لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين قال فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينفذ التراب عنه ويقول يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك قال إني أريد الأجر من الله قال فجعل ينفذ التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار فجعل عمار يقول أعوذ بالرحمن من الفتن" (١).

ولذلك بعد قيام معركة صفين ومقتل الصحابي الجليل عمار بن ياسر، والذي كان في صفوف جيش الإمام علي (عليه السلام) (٢)، ارتاب الكثير من المسلمين الذين كانوا منحازين

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٩٠؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٠٧؛ ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٥٥٤-٥٥٥؛ البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٢، ص ٥٤٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٢، ص ٣٧.

(٢) كان قد وضعه الإمام علي (عليه السلام)، قائداً لفرة الخيالة في جيشه. المنقري، نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) واقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ص ٢٠٥، وكان الصحابي الجليل عمار بن ياسر يرتجز في المعركة فيقول:

"نحن ضربناكم على تنزيله * ثم ضربناكم على تأويله ←"

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

إلى جبهة معاوية بن أبي سفيان، ولذلك كان لابد لمعاوية بن أبي سفيان أن يجد مخرجاً لهذه الأزمة التي كشفتها أمام جيشه وخصوصاً الشاميين، فلذلك تأول في حديث الرسول (صلى الله عليه واله)، بخلاف المقصد الحقيقي فقال معاوية: أما قتله من أخرجه وهو الإمام علي (عليه السلام) (١).

وعندما وصل كلام معاوية وتأويله للحديث المقصود كان لابد من معالجة مثل هذا التأويل الخاطئ الذي يؤدي إلى إضلال الناس، وإلى خلق الشبهة بين المسلمين، فقام الإمام علي (عليه السلام)، بتكذيب تأويل معاوية وبيان أن المعنى للحديث واضح لا يحتاج إلى تأويل فقال (عليه السلام)، موضحاً: " إذا رسول الله صلى الله عليه واله هو الذي قتل حمزة (ره) لما ألقاه بين رماح المشركين" (٢).

إذ أن الإمام قد فند قول معاوية وتأويله الباطل عن طريق المقارنة بين مقتل عمار ومقتل عم النبي حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام)، فقال له: أن معنى كلامك يقتضي أن يكون حمزة قتل تحت راية الرسول (صلى الله عليه واله)، إذ ليس من العقل براءة الكافرين من قتل حمزة، وبذلك أسقط شبهة معاوية وتأويله الباطل الذي كان يقصد منه الالتباس على المسلمين في موضوع الفئة الباغية.

٢- معالجة الإمام علي (عليه السلام)، لتأويلات اليهود المحرفة:

ذكرت الروايات أن الرسول محمد (صلى الله عليه واله)، عندما بدأ دعوته بمكة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، جعل افتتاح سورته الكبرى بالحروف المقطعة (الم)، مخاطباً لهم بأن الكتاب الذي نزل على النبي محمد (صلى الله عليه واله)، هو الكتاب الذي بشر الله به كل الأنبياء السابقين {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

ضرباً يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله". البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٣١٠؛ ابن اعثم الكوفي، احمد أبو محمد عثمان (ت: ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط ١، (بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١ م، ج ٣، ص ١٥٩).

(١) المنقري، واقعة صفين، ص ٣٤٣؛ ابن الإسكافي، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت: ٢٢٠ هـ / ٨٥٤ م)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط ١، (١٩٨١ م)، ص ٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٧.

(٢) الإمام الحسن العسكري، أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد (ت: ٢٦٠ هـ - ٨٧٤ م)، تفسير الإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع)، ط ١، (قم: مدرسة الإمام المهدي (ع)، ١٤٠٩ هـ)، ص ٤٦؛ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ٢٦٨.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (١).

ألا أن اليهود بدأوا يتحايلون على الدعوة الإسلامية، وعلى القرآن الكريم وما جاء فيه من معارف ومعلومات؛ وذلك عن طريق تحريفه، أو تأويله بما يناسب ذوقهم، وصرفه عن تأويله الحقيقي، كما انهم أَدْعَوْا بعلم الغيب؛ وذلك من خلال تأويل الحروف المقطعة بما يعلمونه، من دون الرجوع إلى حملة العلم ومعينه وهم محمد وأهل بيته (عليهم السلام)، "فقد ظهر ما أخبرهم به أنبياءهم أن محمدا ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الباطل يقرأه هو وأُمته على سائر أحوالهم. ثم اليهود يحرفونه عن جهته، ويتأولونه على غير وجهه، ويتعاطون التوصل إلى علم قد طواه الله عنهم من أجل هذه الأمة، وكم مدة ملكهم..." (٢).

ولذلك تصدى لهم الإمام علي (عليه السلام)، وقام بمعالجة أفكارهم التأويلية والتي تبشر بمدة انتهاء، وزوال أمة محمد ونهاية حكمهم، مستندين في تأويلهم على ما جاء في بداية السورة (الم)، وحساب عددها بحسب ما يُعرف (بحساب الجمل)، فالألف بحساب الجمل تعني واحد، واللام تعني ثلاثون، أما الميم فهي أربعون. وبذلك يكون حكم الدولة الإسلامية بحسب ما كانوا يتأولون يصبح واحد وسبعون سنة، وييشرون بأنهم سيحكمون بعدها، وهنا بدأ الإمام علي (عليه السلام)، يدحض حجتهم بما تأولوا فيه من الحساب، ويبين لهم قصر معرفتهم وعلمهم، إذ ذكر لهم الآيات الأخرى التي تبدأ بالحروف المقطعة، ومنها (الم، المر، المص، الر)، فبدأوا بعدها جميعاً فتغير رأيهم في مدة الحكم فقالوا بل يبقى ملك الإسلام سبعمائة وأربعة وثلاثون بعدها يرجع لليهود " فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مناهم جماعة، فولى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله عليه وآله عليه السلام فخطبهم، فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمد -صلى الله عليه وآله- حقا لقد علمناكم قدر ملك أمته، هو إحدى وسبعون سنة، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فقال علي عليه السلام: فما تصنعون بـ المص وقد انزل عليه؟ قالوا: هذه إحدى وستون ومائة سنة. قال: فما ذا تصنعون بـ الر وقد أنزلت عليه؟ فقالوا: هذه أكثر، هذه مائتان وإحدى وثلاثون سنة. فقال علي عليه السلام: فما تصنعون بما انزل عليه المر؟ قالوا: هذه مائتان وإحدى وسبعون سنة فقال علي عليه السلام: فواحدة من هذه له أو جميعها له؟ فاختلط كلامهم فبعضهم قال له: واحدة منها وبعضهم قال: بل يجمع له كلها وذلك سبعمائة

(١) سورة البقرة، الآية ١-٤.

(٢) الإمام الحسن العسكري، تفسير الإمام العسكري، ص ٦٤؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢٧؛ البحراني: حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (ع)، ط ١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ)، ج ٥، ص ٨٥؛ القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١، ص ٩٨.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

وأربع وثلاثون سنة، ثم يرجع الملك إلينا يعني إلى اليهود. فقال عليّ عليه السلام: أكتب من كتب الله نطق بها، أم آراؤكم دلتكم عليه؟ قال بعضهم: كتاب الله نطق به، وقال آخرون منهم: بل آراؤنا دلت عليه، فقال عليّ عليه السلام. فأتوا بالكتاب من عند الله ينطق بما تقولون. فعجزوا عن إيراد ذلك، وقال للآخرين: فدلونا على صواب هذا الرأي. فقال: صواب رأينا دليله أن هذا حساب الجمل" (١).

ثم يتابع الإمام علي (عليه السلام)، تفنيد أراءهم التأويلية الخاطئة، عن طريق المحاجة العقلية، عن طريق الاستدلالات المنطقية، فيقول لهم: ما أدراكم أن حساب الجمل الذي استندتم عليه هو يدل على مدة بقاء ملك المسلمين، إذ ربما يدل على حساب ما عندكم من ديون بمقدار هذا العدد، أو يدل على عدد المرات التي لعنتم فيها في الكتاب، وعندما أنكر اليهود ذلك، قال مستدلاً أن كل ما قلتم هو مجرد تكهنات، وإن الحجة بيننا وبينكم هي تلك المعجزات الخالدة "فقال عليّ عليه السلام: وكيف دل على ما تقولون، وليس في هذه الحروف إلا ما اقترحتم بلا بيان؟! رأيتم إن قيل لكم: إن هذه الحروف ليست دالة على هذه المدة لملك أمة محمد صلى الله عليه وآله، ولكنها دالة على أن عند كل واحد منكم ديناً بعدد هذا الحساب دراهم أو دنانير، أو أن لعلي على كل واحد منكم ديناً عدد ماله مثل عدد هذا الحساب، أو على: أن كل واحد منكم قد لعن بعدد هذا الحساب. قالوا: يا أبا الحسن ليس شيء مما ذكرته منصوصاً عليه في ألم و المص و الر و المر فقال عليّ عليه السلام: ولا شيء مما ذكرتموه منصوصاً عليه في (ألم، والمص، و الر، والمر) فإن بطل قولنا (بما قلتم، بطل قولكم بما قلنا) فقال خطيبهم، ومنطيقهم: لا تفرح يا علي بأن عجزنا عن إقامة حجة على دعوانا، فأى حجة لك في دعواك إلا أن تجعل عجزنا حجتك، فإذا مالنا حجة فيما نقول ولا لكم حجة فيما تقولون. قال عليّ عليه السلام: لا سواء، إن لنا حجة هي المعجزة الباهرة..." (٢).

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٦؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢٧؛ البحراني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (ع)، ج ٥، ص ٨٥-٨٦؛ القمي، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، ج ١، ص ٩٨-١٠٠؛ البر وجردي، تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص ٤٥-٤٦؛ القبانجي، مسند الإمام علي (ع)، ج ٨، ص ٢٦٥.

(٢) الإمام الحسن العسكري، تفسير الإمام العسكري، ٦٥-٦٦؛ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٦-٢٧؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢٧؛ البحراني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (ع)، ج ٥، ص ٨٥-٨٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٦؛ القمي، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، ج ١، ص ٩٨-١٠٠؛ البر وجردي، تفسير الصراط المستقيم، ج ٤، ص ٤٥-٤٦؛ القبانجي، مسند الإمام علي (ع)، ج ٨، ص ٢٦٦-٢٦٥.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

ومن ذلك يتبين أن علم التأويل، لا يمكن أدراكه من خلال جانب واحد، أو متعلق واحد كالمعرفة بحساب الجمل كما فعل اليهود، إذ أن ذلك لا يكفي وإنما يحتاج الأمر إلى دليل من الكتاب، أو السنة، أو دليل منطقي يدل عليه.

٣- معالجة الإمام الصادق (عليه السلام)، لتأويل آية {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (١):

لقد تحمل الأئمة (عليهم السلام)، مهامهم في مواجهة الانحراف الفكري الذي يعاني منه قسم من أفراد المجتمع، وعدم الرجوع إلى المرجعية الحاكمة المتمثلة بالأئمة (عليهم السلام)؛ وذلك بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله)، أو من ينوب عنهم في توضيح الآيات أو الأحاديث وتأويلها، وكانوا يقومون بالتصرف يوافق أهوائهم وتأويلاتهم الخاطئة، وهذا كان له خطر على المنظومة الفكرية والعقدية للمسلمين، ولذلك كان لابد من المواجهة، وتصحيح هذه الانحرافات الفكرية العقائدية.

وفي هذا السياق نسلط الضوء على إحدى الروايات التي تتحدث عن قصة رجل كانت العامة تعظم شأنه، فيقول الإمام الصادق (عليه السلام)، كان لابد من التحقق في أمره (٢)، ولذلك تبعه الإمام، فراه يقف على أحد محلات الخبز، فيسرق رغيفين، ثم يواصل مشواره أمام أحد محلات البقالة، فيسرق رمانتين، ثم يكمل طريقه والإمام يتتبعه، فيراه يمر على أحد المرضى فيعطيه كلا الرغيفين، والفاكهة التي سرقهما " قال: عليه السلام: فان من اتبع هواه، وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحلله فرأيت في موضع قد أحرق به خلق من غثاء العامة، فوقفت منتبذا عنهم، متغشيا بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوهم حتى خالف طريقهم ففارقهم، ولم يعد فتفرقت العامة عنه لحوائجهم، وتبعته أقتفي أثره، فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله، فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة. ثم مر بعده بصاحب رمان، فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت: لعله

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٠

(٢) وكان الإمام الصادق (عليه السلام) هنا يرسم لنا خارطة طريق يشير فيها إلى التثبت والتحقق من الأشخاص، مهما كثر مدح العامة لهم، وذلك للتأكد من سلامة طريقهم الفكري، والعقدي، وعدم وقوعهم في التوهم والانحرافات الفكرية والعقدية.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

معاملة، ثم أقول: وما حاجته إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض، فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى، وتبعته حتى استقر في بقعة من صحراء" (١).

ثم تتسلسل الرواية في عرض لقاء الإمام الصادق (عليه السلام)، بهذا الرجل الذي تنثني عليه العامة كثيراً، في منطقة من مناطق الصحراء، وهنا بعد السلام عليه يبدأ الإمام حديثه، بسؤال هذا الرجل عما فعله قبل قليل من امر السرقة وإعطاءها للمريض (٢).

وبالرغم من معرفة الرجل لشخصية السائل انه الإمام الصادق حفيد رسول الله (صلى الله عليه واله)، ألا انه يستمر في تصورات وأوهامه واتباع هواه في تفسير آيات الله تعالى، والأدهى من ذلك انه يتهم الإمام بالجهل (حاشاه الله)، فيفسر له فعله من خلال عملية تأويله الخاطئ للنص القرآني في قوله تعالى: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله} (٣)، فيقول: وفق عملية حسابية أن سرقة الرغيفين، والفاكهتين، كانت أربع سيئات، لأن السيئة بمثلها، وعندما تصدق فتصور جهلاً انه قد حصل على أربعين من الحسنات، فأنقص السيئات الأربع، فتبقى له ستة وثلاثين حسنة، وهذا كان بحسب فهمه القاصر وتأويله الباطل " فقال له الإمام: يا عبد الله لقد سمعت بك [خيراً] وأحببت لقاءك، فلقيتك، لكني رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سائلك عنه، ليزول به شغل قلبي. قال: ما هو؟ قلت: رأيتك مررت بخباز فسرقت منه رغيفين، ثم مررت بصاحب الرمان فسرقت منه رمانتين! قال: فقال لي: قبل كل شيء حدثني من أنت؟ قلت له: رجل من ولد آدم من أمة محمد صلى الله عليه واله. قال: أين بلدك؟ قلت: المدينة. قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؟ قلت: بلى. قال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به، وتركك علم جدك وأبيك لنلا تنكر ما يجب أن تحمد وتمدح فاعله! قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله. قلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله} (٤) وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت

(١) الإمام الحسن العسكري، تفسير الإمام العسكري، ص ٤٤-٤٥؛ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٣-٣٤؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم (٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م)، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، ط ١، (قم: مطبعة سيد الشهداء، ١٩٨٣ م)، ج ١، ص ٤١١.

(٢) وكان الإمام يعلمنا هنا أن نتثبت من الحقيقة وراء عمل أي أنسان قبل إصدار الأحكام عليهم.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

الفصل الثاني: التأويل في القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

سينتين فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع (حسنات بأربع سيئات) بقي لي ست وثلاثون حسنة" (١).

وهنا يأتي دور الإمام في بيان خطورة ومفاسد التأويل بالرأي، والأهواء، من دون الرجوع إلى أهل الاختصاص، وحملة التأويل، وفي مواجهة شديدة الاستنكار يقوم الإمام الصادق (عليه السلام)، بدحض وتسفيه رأيه وبيان التأويل الحقيقي للآية القرآنية وفساد معرفته التي أودت بفعله على خلاف الأحكام الشرعية، فيبين الإمام أن الفعل إنما كان هو ارتكاب أربع سيئات في مقابل أربع سيئات، وليس كما يظن هو في مقابل أربعين حسنة، إذ أن السرقة كانت تؤدي إلى جمع أربع سيئات في صحيفة الأنسان، وإعطائها إلى شخص من دون إذن صاحبها، ومن دون علم الشخص الذي تصدق عليه بأنها مسروقة، إنما أصبحت أربع سيئات جديدة فكان ملخص ما تم تجميعه من السيئات هو ثمان سيئات " قلت: ثكلتك أمك أنت الجاهل بكتاب الله تعالى، أما سمعت قول الله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين} (٢) إنك لما سرقت الرغيفين كانت سينتين ولما سرقت الرمانتين كانت سينتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما، بغير أمر صاحبهما، كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات. فجعل يلاحظني، فتركته وانصرف" (٣).

ثم يعلق الإمام التعليقة الأخيرة من الرواية والتي يبين فيها أن التأويل الباطل والمأخوذ بالرأي والأهواء يكون سبباً في الضلال والخطأ، وبذلك كانت هذه واحدة من معالجات الإمام الصادق (عليه السلام) لمثل هذه التأويلات الباطلة " بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضلون ويضلون" (٤).

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٤؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص ٤١١؛ الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/١٦٩٢م)، الاثنا عشرية، تحقيق: السيد مهدي اللازوردي الحسيني والشيخ محمد درودي، (قم: دار الكتب العلمية)، ص ٤١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٣) الإمام الحسن العسكري، تفسير الإمام العسكري، ص ٤٤-٤٥؛ الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٤؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص ٤١١؛ الحر العاملي، الاثنا عشرية، ص ٤١.

(٤) الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص ٤١١؛ الحر العاملي، الاثنا عشرية، ص ٤١.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته

في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

❖ المبحث الأول: مفهوم التأويل وأهميته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أولاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية السياسية

ثانياً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية العقدية

ثالثاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية التاريخية

رابعاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية الفكرية (العلمية)

❖ المبحث الثاني: نظرية المثل والممثل ومدلولاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أولاً: مفهوم المثل والممثل في القرآن الكريم

ثانياً: المثل والممثل في اللغة والاصطلاح

١- المثل في اللغة والاصطلاح

٢- الممثل في اللغة والاصطلاح

ثالثاً: نظرية الفيض الأفلاطوني والعقول العشرة

رابعاً: المثل والممثل في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

❖ المبحث الثالث: الرموز والإشارات ومدلولاتهما التأويلية في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أولاً: الرمز، والإشارة في القرآن الكريم

ثانياً: الرمز، والإشارة في اللغة والاصطلاح

١- الرمز في اللغة والاصطلاح

٢- الإشارة في اللغة، والاصطلاح

ثالثاً: الرمز والإشارة، وتأويلاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

المبحث الأول

مفهوم التأويل وأهميته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

تنتطق أهمية التأويل في الفكر الإسماعيلي، في بداية انطلاقها من كونها فرقة من الفرق الشيعية والتي تؤمن بالتأويل كأصل قرآني دلت عليه صريح الآيات، والروايات الشريفة.

فالشيعية^(١) منذ انطلاقتهم كانوا يؤمنون بأن الرسالة والدعوة الإسلامية، تحتوي على الكثير من الحقائق الباطنية والتي لا يمكن التوصل إلى مكوناتها من خلال العقل البشري فحسب، وإنما لابد أن تكون هناك مرجعية عليا والتي تمثلت بمفهوم الإمامة، والتي اشترطوا فيها أن يكون هذا المنصب في أهل بيت محمد واله (عليهم السلام) حصراً، ولا تخرج منهم، وإن الأئمة هم الذين خصوا ببيان وتأويل بواطن القرآن، وحقائقه.

ولم يخرج الإسماعيلية من هذا المنطلق أي أيمانهم بفكرة الإمامة على اعتبارهم فرقة، أو طائفة نشأت من رحم التشيع، وتعود بجذورها إلى سنة مائة وثمان وأربعون للهجرة، لا سيما بعد استشهاد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)^(٢).

فالتأويل في العهود المبكرة للإسماعيلية، حتى ازدهارها، يعد بمثابة الحجر الأساس لكل الأفكار الباطنية الفلسفية، فهو الركن الأساس الذي نشأت وتركزت عليه دعائمهم كافة، ومفاهيم الدعوة، إذ من خلاله مازجوا بين الفلسفة، والمنطق، والبيان، وهذا ما نجده واضحاً في كتابات دعائهم، ومصنفاتهم المختلفة^(٣).

وعلى الرغم من أن التأويل يعد أصلاً قرآنياً، ألا أنه أصبح ملاصقاً لأسم الفرقة الإسماعيلية، إذ بمجرد الحديث عنه يتوجه الفكر إلى هذه الفرقة، والسبب يعود في ذلك إلى أن

(١) الشيعة كما يقول الشهرستاني: "هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً، وفعلاً، وعقداً، إلا في حال التقية". الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٦

(٢) السلومي، سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية-دراسة تحليلية-نقد، ط ١، (الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠١م)، المجلد الأول، ص ١٨٤.

(٣) القاضي النعمان، أساس التأويل، ص ٥-٦.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

هذا العلم أو ما يُعرف بنظرية الظاهر، والباطن قد شغلت المفكرين وعلماء الإسماعيلية حتى كتبوا الكثير عنها في ضمن مصنفاتهم، وتناولوها شرحاً، وتوضيحاً، حتى انهم قاموا بترسيخ أصول هذه العقيدة عندهم، حتى عُدَّ أصلٌ من أصول عقيدتهم، وسموا نتيجة لذلك بالباطنية^(١). ولأجل فهم هذا الفكر التأويلي، وأهميته لابد من دراسته من النواحي المختلفة، سواء كانت سياسية، أو عقدية، أو تاريخية، أو من الناحية الفكرية والعلمية:

أولاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية السياسية

يرى الإسماعيلية أن هناك علاقة وترابط وثيق بين إمامة النبوة الآخروية، وبين إمامة^(٢) الملك الدنيوي، إذ أن كل واحدة منهما تدعم الأخرى، ولا يمكن أن تقوم واحدة دون الأخرى، فالدين هو أساس الملك، وأما الملك فهو حارس له، وإن ما من شيء ألا له أساس، وحافظ؛ فمن لا أساس لديه فهو مهدوم، ومن لا حافظ يحميه فهو ضائع، وعلى هذا فإن الدين يحتاج إلى من يحفظه، والملك يحتاج إلى أساس يدعمه ويثبتته، ولذلك كان لابد من وجود من يخلف مقام النبوة^(٣) ذات العصمة، ويكون معصوماً، ولذلك اشترطوا أن تكون الخلافة، أو إمامة الملك الدنيوي محصورة في ذرية النبي محمد (صلى الله عليه واله)، من أهل بيته أي في الإمام علي وذريته (عليهم السلام)^(٤).

ووفق ما ذكر أن الإمامة في الفكر الإسماعيلي هي قيادة العالم، وإيصال المعارف الحقّة اليه، ولا يمكن ذلك ألا من خلال المرشد وقد اتفقت جميع الفرق، والمذاهب الشيعية أن الشخص الموكل لهذه المهمة هو الإمام علي (عليه السلام)، والأئمة من ذريته، وهم الذين اختصوا بهذا

(١) الكربلائي، التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي، ص ٤٠٥-٤٠٧.

(٢) "الإمامة التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً. وجذب الأنفس إلى الوجود وبذلك سماهم الله تعالى أولي الأُمُر". القاضي النعمان المغربي، أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (ت ٩٧٣هـ/٣٦٣م)، تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط٢، (القاهرة: دار المعارف)، ج ١، ص ٤٠.

(٣) "قالت الفلاسفة النبوة جعلت لتقرير الشريعة التي هي سياسة الدنيا، ومن ثم كل من لازم الشرعيات تهذبت أخلاقه، وحسنت أفعاله، وتقّس في نفسه، وأقبل بفكره" البياضي، زين الدين بن يونس (ت: ٨٧٧هـ/٤٧٣م)، مخطوط الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم. نسخة الكرتونية مصورة من مكتبة التراث الشيعي.

(٤) قويسم، محمد يوسف، تطور الفكر السياسي الإسماعيلي من خلال فكر القاضي النعمان بن محمد التميمي، ط١، (المسيلة: دار المتنبي للطباعة والنشر، ٢٠٢٢م)، ص ٥٧.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

العلم أي التأويل دون غيرهم، غير أن لكل من هذه الفرق كان لها رأي بخصوص الإمام الذي وكلت إليه هذه الإمامة من أبناء الإمام علي (عليه السلام) ^(١).

فالإسماعيلية هي واحدة من هذه الفرق الشيعية، والتي كان لها رأي في خلافة الأئمة بعد النبي (صلى الله عليه واله)، فعرفوا الإمامة على إنها ميراث متعاقب لأبناء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، يتوارثونه الواحد بعد الآخر بالنص، فتظهر تارةً، وتستتر أخرى تبعاً للظروف، والأحوال، وهي باقية فيهم، ويرى إنها كانت مؤيدة للملك، ومرشدة له من قيام الدولة الفاطمية سنة (٢٩٧هـ / ٩٠٩م)، وإعلان عبد الله المهدي لدولته المغرب، وحتى عهد الأمر بأحكام الله (٤٩٥هـ / ٥٢٤هـ)، في مصر، وهذا ما أكده الداعي ابن الوليد (ت: ٦١٢هـ / ١٢١٥م) ^(٢)، بقوله: "أن الإمامة ميراث يتعاقبه المنصوص عليهم من ذرية فاطمة الزهراء، وهذه الإمامة تظهر أحياناً وتستتر أحياناً، وفقاً لما تسمح به مقتضيات الأحوال، وإن الأمانة باقية فيهم. وقد بقيت الإمامة مؤيدة للملك، مرشدة له منذ عهد المهدي بالله بالمغرب، إلى عصر الأمر بمصر".

ولقد رتب الإسماعيلية تنظيماتهم السياسية والاجتماعية على أساس عقائدي متخذين من نظرية الباطن والظاهر أساساً لهم، فباتت نظمهم، وتشكيلاتهم تعتمد على هذه المعرفة للظاهر والباطن، غير إنها مرت بمراحل عدة بحسب الاتجاه العقدي، مما سبب نوعاً من الاختلاف، ويعود ذلك تبعاً لطبيعة المكان، وأحواله، وأيضاً تبعاً لفهم الدعاة أنفسهم، وتأويلهم الباطني لهذه العقائد ^(٣).

وهذا ما أكده عارف تامر في كلامه عن الإسماعيلية فقد ربط بين الفكر العقلي التأويلي الذي تميز به الإسماعيليون، وبين النظام السياسي، إذ يرى أن هذا النظام، والنسق الفكري كان الغاية منه هو قلب وتغيير الأنظمة السياسية الموجودة في العالم الإسلامي، والمسيطرة عليه "الإسماعيليون لا يعملون بالتفسير الظاهري فحسب بل يؤولون الشرائع والأحكام والقرآن تأويلاً باطنياً، مأخوذاً عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثول العقل الكلي، اذاً فبأماكننا أن نسميهم العقليين أو أهل العقل الذين لا يركزون عقائدهم ألا على هذه القواعد مضافاً إلى ذلك

(١) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية، تحقيق: محمد عبد الغافر، ط١، (القاهرة: مطبعة مدبولي، ١٩٩٤م)، ص ١٤.

(٢) علي بن محمد الأنف العيشمي، الذخيرة في الحقيقة، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط١، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م)، المقدمة ص ٧.

(٣) حسين، محمد كامل، الحياة الفكرية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة)، ص ١٤٨-١٤٩.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أن الحركة الإسماعيلية هي حركة عالمية أو بلغة أفصح هي نظام فكري كان الغرض منه قلب النظام السياسي السائد المسيطر على العالم الإسلامي وتحقيق هدف رئيس انقلابي في الأفكار والنظم والمعتقدات"^(١)

والمنتبج لهذه الفرقة يجد أن الحركة الإسماعيلية^(٢) في حقيقتها: هي مجموعة مدارس فكرية قد قامت بذاتها، وهي تذخر بالعقلية المبدعة الخلاقة، والحيوية الفكرية، والتي قامت باستنباط العلوم كما أبدعت في الفكر الثوري الاشتراكي، وأوجدت النظم والأحكام، وإن هذه المدارس قد أنجبت ثلة نيرة من المفكرين، والفلاسفة، والعلماء الذين قاموا بتحشيد إمكاناتهم العقلية، والفكرية لأجل القضاء على الدولة العباسية لكي يشيدوا على إنقاضها دولتهم ذات النظام العقلي الاشتراكي السليم، على أساس الفلسفة الدينية الإسلامية، لأجل تكوين دولة موحدة، وقوية^(٣).

فالإسماعيلية هي عبارة عن حركة ذات تنظيم متقن كان الغرض منها القضاء على الكيان السياسي آنذاك، وقد نجحت في ذلك نوعاً ما عندما قوضت دولتها وأسست الدولة الفاطمية ، وهذا ما بينه أحد الباحثين المحدثين بقوله "وأخيراً رجت بلاد الخلافة الإسلامية في أثناء الحكم العباسي حركة دينية سياسية فكرية انبثقت من مدينة سلمية السورية، فكانت من القوة والتنظيم بحيث هددت كيان الدولة العباسية زمناً طويلاً، وكان من أهدافها إخراج المجتمع الإسلامي من انكماشه وجموده والتوجه به إلى عالم فسيح من الحرية والتطور في ظل ثورة تقوم على الإيمان المطلق وعلى أساس عقائدي يستند إلى العقل. فالقائمون على هذه الحركة، توفقوا أخيراً بعد أن أحكموا التنظيم والإنشاء إلى إقامة خلافة فاطمية إمامية شيعية في المغرب ثم في مصر وبلاد الشام، فجعلوا منها دولة إسلامية مناوئة للعباسيين، تعمل في السر والعلانية على إسقاطهم"^(٤)

(١) القاضي النعمان المغربي، أساس التأويل، مقدمة المحقق، ص ١٦.
(٢) وعلى الرغم من الغموض الكثير فيما يتعلق ببداية الحركة الإسماعيلية، ألا أنه بحسب المعلومات نجد أن الحراك السياسي لهم قد تبلور بداية من العراق، وإيران؛ ثم اتخذوا من سوريا مقراً رئيسي لهم، وبعد نزوح عقائدهم، قاموا بالتوجه إلى إيران مرة ثانية، وتمكنوا من استمالة عدد من الشخصيات، وذلك في حدود القرن الرابع، وما بعده، وكان المحور الأساسي لعقيدتهم هو الإيمان، والإقرار بأمامه إسماعيل بن الإمام الصادق (عليه السلام). جعفریان، رسول، الشيعية في إيران "دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري"، ترجمة: علي هاشم الأسدي، ط١، (مشهد: المطبعة الرضوية، ١٤١٦هـ)، ص ٢٥١.
(٣) السجستاني، أبو يعقوب أسحاق (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م)، البنابيع، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٥م)، ص ٢٥-٢٦.
(٤) تاريخ الإسماعيلية، ط١، (قبرص: مطبعة رياض الرئيس، ١٩٩١م)، ج ١، ص ٦٠.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

ولقد ركّز تنظيم الدعوة على نشر أفكاره في كل الأوساط، لكنه عندما أراد إقامة دولته في المغرب ركز على المناطق البعيدة، والأقل تحضراً؛ وذلك لكي يتمكن من اتخاذ الوضع الاجتماعي فيها كوسيلة للاحتجاج ونقد السلطة العباسية، وقدم لهم برنامجاً البديل والذي تمثل بفكرة المهدي المنتظر، إذ استطاعوا من خلال دعائهم الترويج لهذه الفكرة عن طريق القبائل المساندة لهم كقبيلة كتامة القبلية، واستطاع هذا التنظيم أن يحقق برنامجاً الإصلاح، وكانت غايته هو الحصول على النصرة السياسية، لإعلان دولته، ولذلك لم يركز اهتمامه على الفكر الفلسفي، ولهذا نراه انتهجوا منهجاً دعوياً أساسه موضوع الإمامة المهديّة^(١).

لقد استعمل كبار الدعوة الأحاديث التي تُروج للأمام المهدي ليؤسسوا دولتهم السياسية، ومن هذه الأحاديث روجوا وأشاعوا حديث الرسول (صلى الله عليه واله) "تطلع الشمس^(٢) من مغربها على رأس الثلاثمائة"^(٣)، وقد أول الإسماعيلية حديث ظهور الشمس هذا بظهور عبد الله المهدي فيما بعد كما أشار إلى ذلك القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م):^(٤) "والمهدي هو المراد بالشمس التي ذكر رسول الله (صلى الله عليه واله) أنها تطلع من المغرب على رأس الثلاثمائة من هجرته، وكذلك طلع هو في سنة سبع وتسعين ومائتين، ورأس الثلاثمائة ما دخل في عقد آخر عدها أعني العشرة الآخرة من عدد الثلاثمائة، ولم يطلع في ذلك الوقت، ولا فيما قرب منه من قبله ولا من بعده شمس من المغرب، ولا أنسان يشبه بالشمس ويضاف اسمها إليه غيره".

أن تركيز الدعوة الإسماعيلية على مبدأ إمامة المهدي، كبديل للخليفة العباسي فهذا معناه في الأصل هو التركيز على مبدأ الإمامة السياسية، فالإمام لا يقتصر دوره على القيادة الدينية والعقدية، وإنما دوره يشمل جميع الجوانب الحياتية بما فيها الجانب السياسي، وهنا يتضح

(١) مجاني، بوبه، دراسات إسماعيلية، (قسنطينية: مطبوعات جامعة منتوري، ٢٠٠٣م)، ص ٥١.
(٢) وفي إشارة لحديث شروق الشمس من المغرب، والتي تدل على أن الزمن سيتغير، ويتعطل، وتنعكس مسيرته فتشرق الشمس من المغرب بخلاف طبيعتها كما يذهب إلى ذلك طائفة من المسلمين، ألا أن هناك العديد من الطوائف الأخرى ومنهم الإسماعيلية يرون أن المقصود بالشمس هنا هو الإمام المهدي، والذي سيكون ظهوره في بلاد المغرب، والذي سيعيد الإسلام الصحيح إلى مساره، وسيسترد مكانته كحاكم، أو زعيم للإمامة الإسلامية. Paul E. walker, oration of the Fatimid caliphs, (London: I. b Tauris publishers, 2009), p 59.

(٣) القاضي النعمان، المناقب والمثالب، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، (بيروت: منشورات الاعملي، ٢٠٠٢م)، ص ٣٩٢

(٤) شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٤١٩.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الترابط بين العقيدة والسياسة وانهما ليسا منفصلين، وإنما هما مجتمعان في شخص واحد هو الإمام الإسماعيلي، والذي يحمل الفكر التأويلي.

ويذهب المستشرق فلاديمير إيفانوف (Ivanow, w.)^(١)، إلى أن النجاح الذي حصل للدعوة الفاطمية لم يكن نتيجة لأي أسباب خارقة للطبيعة، وإنما كان نتيجة طبيعية لهذه الحركة الشيعية التي بلغت ما يقارب القرنين، والنصف من الزمن، وكانت لديها القوة لتأخذ دورها القيادي.

والملاحظ أن الإسماعيليين عند بناء دولتهم السياسية، أفادوا جداً من عقائدهم التأويلية وأيدولوجياتهم العقلية، فمثلاً نلاحظ انهم قاموا بتوظيف الأعداد، وفق أهميتها ورموزها التأويلية، أفادوا من العدد سبعة فوظفوه عندما قاموا بتقسيم ارض كتامة إلى أسباعاً، ووضعوا على كل سبع فرقة من العسكر تكون تحت أمره شخص يسمى المقدم، ووضعوا في كل سبع داعية، وكان المقدم، والداعية هم من يتولون الأمور في المنطقة وهذا ما أكدته مرسوم الدولة، وقاضيتها في كتابه الافتتاح بقوله: (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)^(٢) " وقسم كتامة أسباعاً وجعل لكل سبع منها عسكرياً وقدم عليه مقدماً واطلق بكل موضع داعياً وسمي المقدمين والدعاة: (المشايع)".

ثانياً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية العقيدية

لقد اتخذ الإسماعيلية من التأويل فرصة لضرب المذاهب التي لا تدين به، وهذا في حد ذاته من شأنه تعزيز مذهبهم، وتدعيمه، وأضعاف بقية المذاهب المناوئة، وفي ذلك يشير الداعي جعفر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)^(٣) إلى روايتين نقلاً عن شيخه الذي اسماه أبا علي ولقبه بباب الأبواب، الأول أورده بقوله: " من عمل بالباطن والظاهر فهو منا، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خيراً منه" أما الحديث الثاني فقد نص عليه بقوله " أن العامل بالظاهر والباطن فهو الذي وقع عليه اسم الإنسانية بالحقيقة، والذي انفرد بالواحد وجدد بالآخر هو الذي يعبد الله على حرف واحد"، وعارضوا كل من لا يقول بالتأويل، ولا يعمل به، وهذا أن دل على شيء أنما يدل على الإسماعيلية باختلاف فرقهم قالوا بالتأويل، ولا شك أن ذلك يعزز من عقيدتهم التي قوامها التأويل، إذ يعد دعامة أساسية من دعائم عقيدتهم.

^١ Ivanow, w the rise of the fatimids, (London: oxford university, press), p 70

^(٢) افتتاح الدعوة، ط ١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م)، صص ٨١-٨٢

^(٣) جعفر بن منصور اليمن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي، الفترات والقرانات، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة، ص ١٧٠

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

وقد جعلوا التأويل شرطاً أساسياً في مذهبهم بعد الإقرار بالرسول، والشريعة وفي ذلك يقول الداعي السجستاني^(١) (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م) "من أقر بالرسول وجب عليه استعمال الشريعة". وتعد الإمامة محوراً وركناً أساسياً تقوم عليه كل العقائد^(٢)، والفلسفة الإسماعيلية؛ إذ جعلوا مبدأ الولاية للإمام^(٣) الركن الأساس من أركان الدين؛ وأركان الدين أو دعائمه سبعة هي: الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد، الولاية، ألا أن الولاية كانت الأفضل من بين هذه الدعائم، فمن أطاع الله، ونبهه الكريم، وعمل بجميع أركان الدين، لكنه عصى، أو كذب الإمام، فهو أثم، وغير مقبول الطاعة^(٤).

ونجد أن جميع مصنفاتهم، ومؤلفاتهم المختلفة لا تخلو من ذكر الإمامة، ومنها ما ذكره الداعي الكرمانى^(٥) (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م)، بقوله: " فإنه لما كانت الإمامة هي قطب الدين ، وأساسه ، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا ، وصلاح الآخرة والأولى وينتظم بها أمور العباد ، وعمارة البلاد ، وقبول الجزاء في دار المعاد ، وبها يصل إلى معرفة التوحيد ، والرسالة بالحجة والبرهان ، والدلالة إلى معرفة الشريعة وبيانها ، وإنما قلنا أن الإمامة هي قطب الدين وأساسه ، ولم نقدم الرسالة على الإمامة ، لأن في إثبات الإمامة إثبات الرسالة ، والمقر بالإمام مقر بالرسول ، وليس كل من أقر بالرسول أقر بحقيقة الإمام"، ويتضح من كلام الداعية الكرمانى أهمية منصب الإمامة، وعدها هي قطب الدين، وأساسه، والمحور الذي

(١) أثبات النبوءات، تحقيق: عارف تامر، ط٢ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٦)، ص ٥٢

(٢) قسم (Ivanov) إيفانوف مراحل تطور العقائد الإسماعيلية على ثلاث مراحل: "المرحلة المبكرة منذ تأسيس الدعوة حتى قيام الفاطميين بالمغرب سنة ٢٩٧هـ. المرحلة الفاطمية منذ سنة ٢٩٧هـ حتى بداية القرن السادس.

فترة الموت عاصمة دولة الإسماعيلية في إيران، وتبدأ منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع. وتعد المرحلة الأولى -في نظرنا -مرحلة غلو وتطرف في هذه العقائد، بقدر ما تعد المرحلة الثانية مرحلة اعتدال وتوسط، إلا أن المرحلة الأخيرة في الموت تمثل في غالب الأحيان ارتداداً إلى الغلو والتطرف في العقائد الإسماعيلية". نقلاً عن جمال الدين، محمد السعيد، دولة الإسماعيلية في إيران، ط١، (بيروت: المطبعة العصرية، ١٩٩٩م)، ص ٣٧.

(٣) ينبغي الإشارة إلى حقيقة مهمة وهي أن كل الشيعة بفرقها، وتياراتها المختلفة توجب ولاية الأئمة (عليهم السلام)، مستندين في ذلك على قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}. سورة النساء، الآية ٥٩. إذ فسروا معنى أولي الأمر بالأئمة (عليهم السلام)، ألا أن الاختلاف هو أن كل فرقة كانت تريد أثبات نص الآية، وانطباقه على أئمتهم دون الفرق الأخرى. حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية تاريخها - نظمها - عقائدها، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م)، ص ١٥٥.

(٤) حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية تاريخها - نظمها - عقائدها، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م)، ص ١٥٥.

(٥) أحمد حميد الدين، المصابيح في أثبات الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٩٦م)، ص ٢٧.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

تدور عليه جميع أحوال الدين، والدنيا، كما عدها وسيلة من وسائل أثبات الشريعة، والرسالة في آن واحد، وهذا أنما يدل على مركزية وأهمية منصب الإمامة.

وخص الإسماعيليون مبدأ التأويل على أئمتهم حصراً، فجعلوا للنبي (صلى الله عليه واله) مقام التنزيل، أما الإمام علي (عليه السلام) فكان صاحب مقام التأويل، فكانوا يعتقدون أن القرآن نزل على النبي بألفاظه، ومعانيه الظاهرة للناس؛ أما أسرار التأويلية المخبئة فيه فقد اختص بها الإمام علي (عليه السلام)، وذريته من بعده^(١).

ومما جاء في كتاب ديوان المؤيد^(٢) في مسألة اختصاص الأئمة من ذرية النبي (صلى الله عليه واله)، بمقام التأويل ما نصه " فالله تعالى أودع أسرار دينه للنبي الكريم وهذا علمها لوصيه، وتسلسلت هذه العلوم في الأئمة من عقبه فهم الذين أشار الله تعالى إليهم بقوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ^(٣) وهذه الشركة التي كانت بين محمد وعلي كما كانت هناك شركة بين موسى وهارون، والله جعل دعوة الرسل الظاهرة التي هي التقليد المحض الذي لا برهان عليه بإزاء الخلق ودعوتهم الباطنة الجارية على السن أوصيائهم وأئمة دينهم القائمة عليها دلالات الأفاق والأنفس بإزاء البعث"

ويشير القاضي النعمان إلى حقيقة صاحب الأمر، ودوره، وإلى شرط تسلسل الأئمة الاثنا عشر من ذرية صاحب التأويلات الباطنية فيقول: "فصاحب العصر سواء أكان نبياً، أو رسولاً، أو أماماً يدعى ناطقاً، لأنه ينطق بالظاهر، ويقوم به، وحجته يدعى صامتاً، لأنه صامت عن الظاهر، قائم بالباطن، وهو سبب اللواحق الاثنى عشر الذين ذكرهم الله في كتابه"^(٤) في قوله تعالى: {وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا} ^(٥).

وقد تعدت فلسفتهم التأويلية في الظاهر والباطن إلى معرفة الإمام نفسه، إذ معرفة الإمام عند الإسماعيلية له بُعدين ظاهر وباطن، والأول يتمثل بمنصب الإمامة؛ أما الجنبه الباطنية فهي

(١) الكربلائي، المنهج التأويلي عند القاضي النعمان، ص ٢٣١.

(٢) الداعي المؤيد، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٤) القاضي النعمان المغربي، أساس التأويل، ص ٥١.

(٥) سورة المائدة، الآية ١٢.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

في علم الغيب الذي لا يمكن أدراكه، وقد استندوا في ذلك إلى قول نسب للأمام الصادق (عليه السلام)، جاء فيه " ظاهرنا إمامة، وباطننا غيب لا يدرك"^(١)

وقد جعل الإسماعيليون الإمام بمثابة مركز السنة؛ أما الاثنا عشر شهراً فهم بمثابة الدعاة الموزعون على الاثنا عشر جزيرة، والتي هي جزيرة العرب، والترك، والحبشة، والبربر، والخزر، والزنج، وفارس، والصين، والهند، والروم، والسند، والصفالية، إذ يكونون هم رؤساء للدعوة فيها، ويوجد لكل واحد منهم حدود ثلاثين دأع في منطقته، ولكل واحد من هؤلاء الدعاة أربعة وعشرين دأع مأذون، ومكاسر^(٢).

أن هذا التنظيم الدقيق للدعوة، قد منحها مركزية، وقوة؛ كما سهّل إدارة شؤونها وفق متطلبات كل اختصاص باختصاصه.

وعلى الرغم من أن العديد من الباحثين يذهب إلى اختلاف التأويل، وتنوعه، وتقسيماته بحسب المناطق التي وجد فيها، مثل اليمن، أو بلاد فارس، أو المغرب، أو مصر، ألا أننا نذهب إلى أن التأويل عند الإسماعيلية في حقيقته قد تشكل، وبدأت ملامحه تتضح، وتنضج عبر مرحلتين فقط، وقد أسميناها مرحلة التثبيت، ومرحلة التهذيب والتوحيد وكما يأتي:

١- **مرحلة التثبيت:** وتمت في هذه المرحلة تثبيت مبادئ التأويل الرئيسة؛ وذلك في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بجهوده، وجهود القاضي النعمان المغربي؛ إذ تمخضت هذه المرحلة بوضع كتاب أسموه أساس التأويل، والذي وضعوا فيه الأسس الرئيسة للتأويل ليكون مرجعاً للدعاة يعتمدون عليه في هذا المجال.

٢- **مرحلة التهذيب والتوحيد:** وتمت هذه المرحلة في عهد الحاكم بالله، والذي استعان بحجة العراقيين الداعي حميد الكرمانى^(٣)؛ وذلك بعد أن رأى الاختلافات^(٤) الكثيرة الحاصلة في

(١) الحامدي، إبراهيم بن الحسن (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م)، كنز الولد، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٤١٦هـ)، ص ١٦٥؛ الداعي أبو فراس، شهاب الدين نصر بن ذي الجوش (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٩م)، مطالع الشموس في معرفة النفوس، نشر ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: دار الحياة، ١٩٧٨م)، ص ١٥

(٢) غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، تقديم: محمد شاه علي، ط١، (دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٥٣م)، ص ٧.

(٣) هو أحمد بن عبد الله الكرمانى حميد الدين، (٤١١هـ / ٩٦٣ م)، ويلقب بحجة العراقيين وهو من دعاة الإسماعيلية وكتابه. وشغل منصب داعي الدعوة في عهد الحاكم الفاطمي في مصر، وهو المسؤول في أيامه عن الدعوة في المشرق. وكان يخالف غلاة الإسماعيلية الذين أصبحوا دروزاً. ولد في القاهرة، ورحل إلى إيران سنة ٤٠٨ ومات فيها له مجموعة رسائل يبلغ عددها ١٣ رسالة أهمها الرسالة التاسعة واسمها (مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين) والعاشر واسمها (الواعظة) في الرد على الفرغاني الأجدع،

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

مجال التأويل بين الدعاة وخصوصاً بعد أن راجت مسائل الغلو، والبدع، والألوهية، ولذلك قام بتهديب، وتوحيد المبادئ الرئيسية للتأويل إذ قام بصياغة مبادئ الدعوة^(٢) بما فيها التأويل بطريقة قد جعلتها الأقرب لفهم تعاليم الدعوة، وفي ذلك يقول المستشرق بول ووكر (Paul walker)^(٣) "يبقى الكرمانى على كل حال ممن امتلكوا ذهنًا نظرياً ذا عبقرية ساعدته في أن معاً على الفهم الكامل لأفضل الأعمال الفلسفية، والعلمية العربية في زمنه، وصياغة مبادئها بطريقة جعلتها مفهومة من ناحية الدعوة" وقوله: "الداعي العظيم، ورجل الدين المتفلسف الكرمانى، الذي استطاعت كتاباته أن تحدد بطريقة رائعة الفكر الإسماعيلي في تلك الأزمنة الخطيرة قبيل الف عام".

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اعتماد الإسماعيليين في دعوتهم على اهم دعامة لمذهبهم وهي الولاية للائمة من ذرية النبي (صلى الله عليه واله)، والذين يحملون راية التأويل، والذي يعد السمة البارزة لعقائدهم، والتي مزجوها بطابع فلسفي، وقيام خلافتهم في المغرب، ومصر، ومنافستهم للخلافة العباسية، كان هو السبب الرئيس في الطعن بنسبهم الذي ينحدر من الإمام علي (عليه السلام)، والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لأجل إزالة مرجعيتهم الدينية، والسياسية من جهة، والطعن بفكرهم التأويلي الباطني، وتكفيرهم بسببه؛ وذلك لأضعاف وإزالة مرجعيتهم الفكرية من الجهة الأخرى؛ إذ كان الغرض من هذه الاتهامات والتشكيكات هو إزالة الدعامة الدينية، والفكرية لهم من خلال الطعن بالنسب، وعلم التأويل، وبذلك يضعفون الدولة

والحادية عشرة واسمها (الكافية في الرد على الهاروني الحسني)، ومن أعظم كتبه (راحة العقل). الزركلي، خير الله، الأعلام، ط ١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)، ص ١٥٦-١٥٧.

^(١) وقد وجه الكرمانى عناية خاصة في كتابه الرياض إلى الحكم بين فيلسوفين هما أبو حاتم الرازي في كتابه الإصلاح وأبو يعقوب السجستاني في كتابه النصرة وذلك بسبب تنازعها في آراء فلسفية وردت في كتاب المحصول للنسفي. القاضي النعمان المغربي، تأويل الدعائم، ج ٢، ص ٢٤.

^(٢) "وفد على القاهرة سنة ٤٠٨ هـ بناء على طلب الصادق المأمون أختكين الضيف داعي دعاة الدولة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله عندما حمى وطيس المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة وراج سوق البدع التي كانت تهدف إلى الغلو في القول بألوهية الحاكم بأمر الله، فألقى الدروس والمحاضرات في دار الحكمة وقاوم الدعوات الجديدة التي تتنافى ومبادئ الفاطميين الأساسية، ووضع كثيراً من البحوث والكتب أشهرها الرسالة الواعظة في الرد على الحسن الفرغاني القائل بتأليه الحاكم بأمر الله، ورسالة البشارات والمصاييح. وقد تمكن فيهما من إثبات الإمامة كواقع كوني لا بد منه، وذلك ببراهين معقولة وحجج دامغة جاءت زاخرة بالتعابير — العبرية والسريانية والفارسية مأخوذة من كتب الأنبياء النطقاء السماوية، ثم إنه اتخذ الآراء الأفلاطونية أساساً لبحوثه فذكرها بمهارة لم يسبقه إليها أحد، وقد جاءت جميعها كدعوة عامة لتوطيد النظام الفكري الفلسفي ورفع مستواه، ومحو أي أثر للشك والجدل والارتياب والنقاش". القاضي النعمان المغربي، تأويل الدعائم، ج ٢، ص ٢١.

^(٣) ووكر، بول، الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله "حميد الدين الكرمانى"، ترجمة: سيف الدين القصير، ط ١، (دمشق: دار المدى، ١٩٨٠م)، ص ٥-٩.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الفاطمية، والتي باتت في منافسة مع الدولة العباسية من خلال ضرب أكثر أساس من أسس عقيدتهم.

والى ذلك يشير الدكتور حيدر الكربلائي^(١) بقوله: " أن الباحث في عقائد الإسماعيلية يجد إنها لقيت كل أنواع التهجم من قبل كتاب الفرق والمقالات ، وكذلك من المؤرخين القدامى والمحدثين ونحن اذا ما علمنا أن القرن الثالث للهجرة، كان عهد تنافس ومناظرات بين الفرق المذهبية، حيث كانت كل فرقة تحاول أن تؤيد مبادئها بالحجج والأدلة والبراهين المنطقية؛ وذلك لإظهار دعوتها ونيل مبتغاها ، وجلب الأنصار والمؤيدين لها، غير أن الإسماعيلية هي الفرقة الوحيدة التي كالوا لها الاتهامات، ووصموها بالزندقة والإلحاد، ويظهر أن ذلك مبعثه الرعب والخوف الذي انتاب أعداءها من انتشارها وتوسعها. فقد نسب إليهم أن عقائدهم هي عبارة عن مزيج من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية القديمة التي عرفت وانتشرت في الأقطار الإسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة، والآراء المتباينة، وان الإسماعيلية اخذوا هذه الآراء والمعتقدات وأخضعوها لفكرتهم بعد أن صبغوها بالصبغة الإسلامية".

وبغاية أثبات الإمامة والعلم وحصرها بيد أئمتهم الفاطميين عمل مؤرخيهم، ودعاتهم بجهودهم لتوضيح أحقيتهم وأسقاط شرعية خلفاء الدولة العباسية، ومن ذلك ما أجراه مؤرخ الدولة الفاطمية الداعي المطلق إدريس^(٢) (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٤م) من مقارنة بين أئمة من خلفاء الدولة الفاطمية، وبين خلفاء بني العباس، فيشير إلى استعانة العلماء، والفقهاء، والكتاب بالخلفاء الفاطميين، والإفادة من علومهم، ومن ذلك ما جرى بين الوزير يعقوب بن كلس(ت: ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م)، عند تأليف مصنفه واسترشاده بالخليفة الفاطمي العزيز بالله فيشير إلى ذلك بما رواه بقوله: "أن الوزير يعقوب بن يوسف عرض مصنفه المذكور على العزيز بالله، وقال: وهو مما أخذه عنه وعن آبائه، فذلك مما أنطق الله ابن خلكان به، مع تعصبه على الأئمة؛ وذلك إقراراً بفضلهم، وعلو محلهم، لكون العلم يؤخذ منهم، ويرجع فيه إليهم، وعلى ذلك ما ألفه القاضي النعمان بن محمد وغيره من دعاة الأئمة، والتابعين لهم فإنهم ينسبون ما يوردونه عنهم، إذ هم ورثة الرسول، وقرناء الكتاب، الذي يرجع إليهم، ويتعلم منهم"

(١) الكربلائي، الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي ودوره السياسي والفكري والعقائدية في الدولة الفاطمية (دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠١١م)، ص ٣٤٧.

(٢) عماد الدين بن الحسن بن عبد الله القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: مصطفى غالب، ط٢ (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م)، السبع السادس، ص ٢٣٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

وبين الخليفة العباسي هارون الرشيد، واستعانت به بالقاضي أبي يوسف خليفة أبي حنيفة النعمان في حل أحد المسائل الفقهية فيقول مستنداً على رواية للقاضي أبي يوسف والتي ذكرها عدد من المصنفين ومنهم ابن خلكان: "فقال لي: من هذا؟ فقلت: يعقوب، فقال: ادخل. فدخلت، فإذا هو جالس، وعيسى بن جعفر عن يمينه، فسلمت فرد السلام علي. وقال: أظننا روعناك؟ فقلت: أي والله، وكذلك من خلفي، فقال: اجلس. فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت إلى وقال: يا يعقوب! أتدري لما دعوتك؟ قلت: لا. قال: دعوتك لأشهدك على هذا، أن عنده جارية سألته أن يهبها لي، فامتنع، وسألته أن يبيعهها مني فأبى، والله، لئن لم يفعل لا قتلته. قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى، وقلت له: ما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين، وتنزل نفسك هذه المنزلة؟ فقال لي: عجلت علي في القول قبل أن تعرف ما عندي. قلت: وما في هذا من الجواب؟ قال: على يميناً بالطلاق، والعقاق، وصدقة ما أملك ألا أبيع هذه الجارية، ولا أهبها فالتفت إلي الرشيد، وقال: هل له في ذلك من مخرج؟ قلت نعم..."^(١). إذ يثبت من خلال المقارنة مقدار جهل الخليفة العباسي بالعلوم الشرعية، وحاجته للفقهاء لأجل الفتيا، على النقيض من خلفاء الدولة الفاطمية الذين يلجأ إليهم فقهاهم، ومشرعيهم للاستفادة من علومهم، وهذا هو نوع من أنواع المقارنات التي تدعم أئمتهم، وفي المقابل تبين عجز خلفاء الدولة العباسية وبالتالي هو محاولة لأسقاط الشرعية عنهم عن طريق إثبات جهلهم بالعلوم الشرعية، والعلوم الإلهية.

ثالثاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية التاريخية

يتفق أغلب الدارسين للفلسفة الإسلامية بصورة عامة والفلسفة الإسماعيلية بصفة خاصة على أن ملامح الفكر الفلسفي التأويلي قد تشكل بشكل متدرج عبر مراحل مختلفة إذ تمثلت المرحلة الأولى في عهد الستر بجهود إخوان الصفاء، والقاضي عبدان، أما المرحلة الثانية فهي قبيل وأوائل الخلافة الفاطمية في المغرب وتمثلت بجهود الداعي جعفر بن منصور اليماني، والخليفة المعز لدين الله (ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م)، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، بينما تمثل المرحلة الثالثة والتي تعد الأكثر عمقاً في الفكر الفلسفي، والأكثر تطوراً وازدهاراً، والتي تتمثل بجهود

(١) الداعي ادريس، عيون الاخبار وفنون الآثار، ص ٣٣٣-٣٣٤.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

عدد من الفلاسفة الدعاة مثل الكرمانلي (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م)، والسجستاني (ت ٣٦١هـ/٩٧٢م)، أما المرحلة الأخيرة فهي المرحلة الطيبية في اليمن^(١).

وقد قسم الإسماعيليون التاريخ إلى قسمين: إذ تمثل القسم الأول منه بالامتداد الزمني، والذي كان يعد بمثابة مجموعة من الأدوار، والأكوار المتشابهة فيما بينها والتي تكون خاضعة لعملية التكرار منذ نبي الله آدم (عليه السلام)^(٢)، وحتى دور الإمام القائم (عليه السلام) "فذهبوا إلى عهد بدء الخليقة المعروف بعهد آدم وسلسلة الإمامة من عصر آدم إلى يومنا هذا، ثم أضافوا إلى ذلك قولهم بالأدوار والأكوار، فقد جعلوا كل دور يتألف من إمام مقيم ورسول ناطق أو أساس له، ومن سبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور، ويمكن أن يزيد عدد الأئمة عن سبعة في ظروف أخرى وفي فترات استثنائية، وهذه الزيادة تحصل في عداد الأئمة المستودعين دون الأئمة المستقرين، أما الدور فيكون عادة صغيراً وكبيراً، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق يقوم فيها سبعة أئمة. أما الدور الكبير فيبتدئ من عهد آدم إلى القائم المنتظر الذي يسمى دوره الدور السابع، ويكون بالوقت ذاته متماً لعدد النطقاء الستة"^(٣).

أما القسم الثاني من التأريخ فيتمثل في الحدث التاريخي، والذي يكون ذا وجهين عند الإسماعيلية، إذ يتمثل الوجه الأول بنفس الواقعة أو الحادثة التاريخية، والتي تمثل الظاهر، أما الوجه الآخر فيتمثل تأويل هذه الوقائع، أو الأحداث التاريخية، أي الجانب الباطني منها، وقد جعلوا صحة هذه الوقائع، والأحداث وطريقة أثباتها أو نفيها تعود إلى مصدرها الرئيس ألا وهو الأئمة الإسماعيليين؛ وذلك لأنهم مصدر كل العلوم والحقائق، وهم بذلك سخروا التأريخ وصحة حوادثه كطريق لأثبات شرعية منصب الإمامة بمختلف أدوارها في التأريخ^(٤).

(١) ووكر، بول، سمات الفلسفة الإسماعيلية "الإسماعيلية مرونة ومساحة فكرية مذهبة"، نشر ضمن كتاب الإسماعيلية الفكرية النشأة والصراع والبقاء، ط١، (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٨)، ص ٩١.

(٢) "ثمة سبع حقبة تساق دور النبوة، وفي كل حقبة من هذه الأدوار سبعة أئمة، وتلك هي أسس دعائم التشيع السبعي أو الإسماعيلي". هنري، كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تحقيق: الإمام موسى الصدر؛ وعارف تامر، ط١ (بيروت: عوידات للنشر والطباعة)، ص ١٤٦.

(٣) السبحاني، جعفر، المذاهب الإسلامية، ط٢، (بيروت: دار الولاية للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ص ٢٨٢.

(٤) مجاني، دراسات إسماعيلية، ص ٨٨.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

حتى انهم ذهبوا إلى ابعاد من ذلك، فجعلوا للتأويل جذوراً تمتد إلى بداية الخلق الآدمي، وهذا ما أشار اليه القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)^(١) في إشارة إلى هذا الامتداد والترابط بين التأويل وتاريخ البشرية بقوله: "أن الله لما خلق صورة من طين بقيت جثة ملقاة زمناً طويلاً قبل أن ينفخ فيه الروح يعني العلم الباطن الروحاني"، ثم يكمل كلامه فيقول: "ولما أراد الله إكرامه أمدّه بذلك العلم وعلمه إياه"^(٢)، وبذلك يكون التأريخ عندهم غير منفصل عن الناحية العقديّة والشرعية وإنما هما متلازمان.

ولا يخفى أن مجرد تقسيم الحدث التاريخي إلى ظاهر (نفس الحدث)، وإلى باطن (أي البحث في بواطن وخفايا الحدث)، فهذا معناه عدم الخضوع، والانصياع والتسليم لظواهر الوقائع، والأحداث، وإنما يجب البحث عن أسبابها، وعلاقتها الحقيقية، وما تؤول إليه في الحقيقة، وهذا في حد ذاته يعدّ عملية نقدية وتحليلية لنفس الحدث التاريخي، وليس مجرد عملية نقل وتدوين ظاهرية فارغة، وهذا ما يبحث عنه التاريخي، والمدون الحقيقي، وبذلك تبرز الأهمية الكبيرة للتأويل في تطور وتنامي مرحلة التدوين التاريخي عند الفرقة الإسماعيلية، وهذا يدلّ دلالة أكيدة على عملية انتقال من التدوين السردي، إلى مرحلة التحليل والنقد وإيجاد العلل والغايات الحقيقة للحدث، وما كان ليتم ذلك من دون براعتهم الفائقة في فن التأويل.

رابعاً: الفكر التأويلي الباطني وأهميته من الناحية الفكرية (العلمية)

قدّم الإسماعيليون خدمات جليلة للفكر الإنساني، من خلال تراث ضخم شمل مختلف أنواع المعارف والعلوم من فلسفة، وفقه، وعلوم طبيعية، وأخبار وسير، ومعارف الهية وغيرها الكثير^(٣)، وكان هذا التراث يتصف بالأصالة والعمق، رغم أن الكثير منه كان قد ذهب وتبدد بسبب النكبات التي تعرض لها، في كلاً من مصر، وفارس^(٤)، ولا غرو أن هذا التراث الغني بالمعارف والتعمق بها ما كان ليصبح بهذه الأهمية، والتميز لولا اهتمامهم بالتأويل والبحث عن

(١) القاضي النعمان المغربي، أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، ط ١ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ص ٥٥

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥

(٣) يرى الباحث في الشأن الإسماعيلي إيفانوف (Ivanow) أن الإسماعيليون يقومون بإخفاء كتبهم المهمة، وخصوصاً الكتب السرية، والعقائدية، كما هو الحال في آسيا الوسطى ألا أنهم في بلاد فارس يكونون أكثر شدة في هذا الجانب، وكمثال على ذلك كتاب يسمى أم الكتاب، أو كتاب بدخشاني، ولا يسمح بقراءته إلا في الليل، وفي مكان منعزل، ولا يقرأه أكثر من شخصين في المرة الواحدة، ولذلك يرى أن هناك صعوبة كبيرة في العثور على العديد من الأعمال في الأدب الإسماعيلي. Ivanow, w, a guide to Ismaili literature, (London: royal Asiatic society, 1933), p 26.

(٤) عثمان، هاشم، الإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل، ط ١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٨م)، ص ١١٤.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

بواطن الأشياء لهذه العلوم والمعارف، وعدم الاقتناع بالقشور الظاهرة، فكانوا يغوصون في الفكر والمعرفة، وهذا نوع من أنواع التفكير المدوح، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

ويرى الشيخ جعفر السبحاني أن مسألة عدم الجمود على ظواهر النص والانطلاق إلى حالة من التفكير العقلي أول من مارسها وعمل على استخدامها في الأبحاث العقلية وفق مبدأ الدليل والبرهان هو الإمام عليّ (عليه السلام)، وتابعه بقية الشيعة، ألا أن الإسماعيلية قد بالغوا فيها كردة فعل لظاهرة الجمود على النص في فترة انطلاقتهم بقوله: "إِنَّ ظَاهِرَةَ الْجُمُودِ عَلَى النُّصُوصِ وَالظُّوَاهِرِ وَرَفْضِ الْعَقْلِ فِي مَجَالَاتِ الْعُقَائِدِ، كَانَتْ مِنْ أَهَمِّ مِيزَاتِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ إِذْ كَانُوا يَرَفُضُونَ كُلَّ بَحْثٍ عَقْلِيٍّ خَارِجٍ عَنْ هَذَا الْإِطَارِ خَاصَّةً فِي عَهْدِ الْمَنْصُورِ وَالرَّشِيدِ، فَقَدْ طَرَدُوا حِمَاةَ الْبَحْثِ الْحَزَّ وَالْإِنْفِتَاحِ الْفِكْرِيِّ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ. إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ عَلَى خِلَافِ الشَّرِيعَةِ، الَّتِي تَدْعُو إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّعَقُّلِ. وَكَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْأَبْحَاثِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى مَصْرَاعِيهِ وَبَيَّنَ الْخُطُوطَ الْعَرِيضَةَ لكَثِيرٍ مِنَ الْعُقَائِدِ عَلَى ضَوْءِ الْبُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ. إِنَّ ظَاهِرَةَ الْجُمُودِ فِي أَوْسَاطِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَلَدَتْ رَدَّ فِعْلٍ عِنْدَ أُنْمَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، فَانْجَرَفُوا فِي تَيَارَاتِ الْمَسَائِلِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَجَعَلُوهَا مِنْ صَمِيمِ الدِّينِ وَجُذُورِهِ، وَانْقَلَبَ الْمَذْهَبُ إِلَى مَنَهِجٍ فِلْسَافِيٍّ يَتَطَوَّرُ مَعَ تَطَوُّرِ الزَّمَنِ"^(٢).

إذ اهتموا بالعقل والفكر وأولوه مكانة خاصة، كما انهم مزجوا بين التأويل والفلسفة، وأصبح التأويل الفلسفي من الصفات المميزة التي انفردت بها بشكل طاغٍ حتى صار شكلاً من أشكال فكرهم، وعلومهم. ولأن أداة الفيلسوف المنطق فلذلك جعلوا البرهان العقلي هو السلطة الحاكمة في الكثير من أحكامهم، وتأويلاتهم، وهي صفة ميزتهم عن سواهم من الفرق وهذا يتضح جلياً فيما تم نقله في رسائل إخوان الصفا "واعلم بأن المنطق ميزان الفلسفة، وقد قيل: انه أداة الفيلسوف؛ وذلك انه لما كانت الفلسفة أشرف الصنائع البشرية بعد النبوة، صار من الواجب أن يكون ميزان الفلسفة اصح الموازين وأداة الفيلسوف أشرف الأدوات؛ لأنه قيل في حد الفلسفة: أنها التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية"^(٣).

(١) سورة الرعد، الآية ٣.

(٢) السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج ٨، ص ٨-٩.

(٣) مؤلف مجهول (ت: القرن الثالث الهجري)، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مراجعة خير الدين الزركلي، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي، ٢٠١٨)، ج ١، ص ٣٤٢.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

فقام كبار دعاة الإسماعيلية وفلاسفتهم بربط عقيدتهم وأفكارهم بالتنظيم العقلاني الفلسفي؛ وذلك لغرض مجارة ما أشاعته الحضارة التي حفلت بها تلك الفترة في عهد الخلافة العباسية- خصوصاً في عهد المأمون وبروز حركة الترجمة-بعد امتزاج الثقافات والحضارات مع العالم الإسلامي، من فتح أفاق واسعة للجدال، والمناقشات، وتبادل الأفكار، فكان لابد من مواكبة روح العصر، والاستفادة من الانفتاح العلمي، والعقلي ليكون خير وسيلة لنشر أفكارهم وعقائدهم^(١).

لقد وضع الإسماعيليون في أوائل ظهورهم أُطرَ عملٍ أساسية، ومفصلية؛ وذلك لخلق نظام من الفكر اللاهوتي والديني، تم تعديله، وتطويره في فترة الخلافة الفاطمية، وكان التمييز بين جانبيين هما الظاهر، والباطن هو المبدأ الأساس في تأويل الجوانب المهمة سواء في مسائل الحلال، والحرام، أو في بيان معاني الكتب السماوية، إذ كانوا يعتقدون أن للقرآن الكريم، وبقية الكتب السماوية المنزلة والشرائع التي تضمها معانٍ حرفية، أو ظاهرة يجب أن تتميز عن المعاني الباطنية التي تكون مستورة، ولذلك فهم يعتقدون بحسب نظريتهم هذه أن هذه الظواهر للشريعة والدين والتي بلغها الأنبياء تخضع إلى تغييرات دورية بحسب المرحلة، أما التأويلات الباطنية أي الحقائق الروحية فأنها ثابتة، وأبدية، وشكلت هذه الحقائق نوعاً من النظام الفكري العرفاني، ومثلت جوهر الرسالة المشتركة لكل الأديان^(٢).

كما أن تركيزهم على الجانب التأويلي، وتقسيمهم العلوم إلى شرعية ظاهرية، وحقيقية باطنية، فجعلوا الأولى بمثابة الجسد، أما الثانية فهي بمثابة الروح، وهذا جعلهم يغيصون في الاستدلالات العقلية، والفكرية، ويولدون أفكار جديدة أغنت مذهبهم^(٣).

فالتأويل عند الإسماعيلية هو عبارة عن عملية تعليمية، لا تتم بمرحلة واحدة وإنما تحتاج إلى مراحل عدة ليتقبله العقل، ولذلك كانوا يتدرجون في طرح المعارف التأويلية بحسب تطور الفهم والفكر لكي يتقبل العقل هذه المعلومات المعقدة.

ولذلك نرى أن القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، يميز بين نوعين من العلم والفهم، فالأول هو العلم الظاهر والذي يعده أدنى درجات العلم، والذي بسطه ووضحه في كتابه (دعائم

(١) الكربلائي، التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي، ص ٤٠٨.

(٢) دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، ص ٤١.

(٣) الجابري، بنية العقل العربي، ص ٢٧٨.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الإسلام)، أما علم الحقيقة أو علم الباطن فهو العلم الذي يحتاج فيه المستجيب إلى مراحل لاكتسابه، والذي وضع جزءاً من مكنوناته في كتابه (حدود المعرفة)، كما أشار إلى ذلك^(١).

وكذلك ما أشار إليه الحامدي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٧٩م)^(٢) "اعلم أيُّها الأخ أنَّ في واجب الحكمة أنَّ المستجيب المسترشد يجب له أن يترتب في التعليم كترتب الخلقة الجسمانية؛ وذلك أن بدء خلق الجسم من نقطة من ماء مهين، فلا تزال تنتقل من الرتبة الدانية إلى ما هو أعلى منها، مع أنَّه عظام وأعضاء وأعصاب وعروق وأوتار، فلا يزال يتدرج الشيء بعد الشيء إلى أن يكمل جميع أدواته، كذلك حالة المستجيب في التعليم، فأنه يتدرج في استنباط العلوم والمعارف درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة، فكما أنَّ الجسم لم يتأت له أن يخلق دفعة واحدة بالأعضاء والمفاصل بل أولاً فأولاً على التدرج، فكذلك التعليم لن يتم لمخلوق أن يحصل له دفعة واحدة ألا للحد الجليل الذي هو المبدع الأول" إذ يرى أن من أول واجبات تعلم الحكمة هو التدرج في التعليم.

وكان بسبب تقديرهم العالي للتعليم والعلم، واهتمامهم الكبير بمبادئ الدعوة والتي كانت في مقدمتها هو تعليم مجموعة المستجيبين لأصول العقيدة الباطنية، فقد أسس الفاطميون لهذا الغرض معاهد خاصة تتولى هذه المهمة أسموها مجالس الحكمة^(٣)، والتي كان يتولى مهمتها، والإشراف عليها داعي الدعوة، وكذلك أسسوا مراكز تعليمية جديدة في عهد الخليفة الحاكم بالله، واطلقوا عليها اسم دار الحكمة، وكذلك دار العلم، والتي كانت عبارة عن أكاديمية لتعليم العلوم الدينية، والعلوم الأخرى غير الدينية، وتوجد فيها مكتبة تستخدم لهذا الغرض، والتي تلقى الكثير من الدعاة شطر من تعليمهم المعقد فيها^(٤).

(١) أساس التأويل، ص ٥٥ ص ٢٥-٢٨.

(٢) حاتم بن إبراهيم، تحفة القلوب وفرجة المكروب، تحقيق: عباس همداني، ط ١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٢م)، ص ١٢.

(٣) وهي عبارة عن مجالس منتظمة كانت تعقد أسبوعياً يومي الخميس، والجمعة بأمر الخليفة، وهي مخصصة لتعليم العقيدة، والعلوم الإسماعيلية، وقد تغلق في بعض الظروف القاهرة، أو الاستثنائية كما حصل في زمن الخليفة الحاكم، إذ أغلقت بحدود خمسة أشهر ثم عادت إلى سابق عهدها بمرسوم صادر من الخليفة. Verena klemm & Paul E. walker, A code of conduct a treatise on the etiquette of the Fatimid Ismaili mission, (London: I. b. Tauris publishers, 2011) p 28.

(٤) دفتري، فرهاد، معجم التاريخ الإسماعيلي، ص ٤٣؛ الخطيب، محمد عبد الحسين؛ القطب، حسين كاظم حسون، وزارة صلاح الدين الأيوبي في خلافة العاضد الفاطمي الوجه الآخر، مجلة الباحث، (جامعة كربلاء: وقائع مؤتمر كلية التربية للعلوم الإنسانية العلمي الدولي السابع، ٢٠٢٥م)، ص ٦٤٠.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

ويعد عصر الدولة الفاطمية من أشهر عصور الدولة الإسلامية بما يتعلق بمسألة نشر الثقافات العربية، والإسلامية، وغيرها من العلوم؛ وكذلك إسهامهم في تأسيس معاهد تعليمية في أرجاء مختلفة من حدود الدولة الفاطمية، وأنشأوا الكثير من المكتبات التي كانت توجد فيها خزائن الكتب، والتي لا تقتصر على كتب مذهبهم فحسب، وإنما تشمل الكثير من العلوم المختلفة، رياضيات، ومنطق، وفلسفة، وهندسة، ونجوم، وغيرها^(١).

أن الدولة الإسماعيلية الفاطمية كانت تستند على أدله عقلية ونقلية على التأويل، ووجوبه إذ استدلوا بالقرآن الكريم كقوله تعالى: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " ^(٢)، وكذلك قوله تعالى: " وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ " ^(٣)، وأيضاً من الحديث الشريف كقول رسول الله (صلى الله عليه واله): " أن الله أسس دينه على أمثال خلقه " ^(٤)؛ ومن خلال فهمهم للتأويل أوجدوا معاني فكرية جديدة لتفسير الظواهر المختلفة، إذ انهم لم يجمدوا داخل حدود النص الظاهر، وإنما قاموا بتوسيع دائرة المعاني عن طريق الغوص في الباطن، حتى انهم لكثرة ما تعقموا في التأويل، والغوص في المعاني وإسقاطاتهم الباطنية مبتعدين عن معاني الكلمات الظاهرية، اتهموا بالغلو.

(١) القاضي النعمان المغربي، تأويل الدعائم، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢٠-٢١.

(٤) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ١٠٠.

المبحث الثاني

نظرية المثل والممثل ومدلولاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

لقد شغل عالمي اللاهوت، والناسوت، والعلاقة بينهما مفكري، وعلماء، وفلاسفة الإسماعيلية، ولذلك فأنهم حاولوا إيجاد نظريات لأجل إيجاد ذلك الترابط بين هذين العالمين. أي بين عالم الروح والذي يمثل التجرد من المادة؛ وبين عالم الجسد، أو عالم المادة القابل للتشكيل والصورة.

ولا ريب أننا عندما ندرس المذهب الإسماعيلي الفاطمي كفكر إسلامي، وعقيدة فإن ذلك معناه الوقوف أمام نموذج فريد اتخذ من الفلسفة تركيباً أساسياً كان قد امتزج في صلب عقائدهم ليكون بحق عبارة عن نموذج ديني إسلامي فلسفي، مازج بين الحقائق الإلهية البديهية، والتي لا تحتاج إلى براهين؛ وبين الحقائق الفلسفية التي كان قد توصل إليها الفلاسفة، والمفكرون والذين وضعوا نظرياتهم اللاهوتية، والأخلاقية لتدعم هذه الأحكام^(١).

ويبدو أن الفهم الحقيقي للفكر الإسماعيلي يرتبط ارتباطاً مباشراً بالتأويل، والذي يعد النبع الأساس الذي يغذي عقائدهم، وأفكارهم، ونظرياتهم؛ وقوام التأويل يستمد من عمليتي التماثل، أو التطابق، أو المشاكلة، والمماثلة، أو ما يُعرف بنظرية المثل والممثل:

أولاً: المثل والممثل في اللغة والاصطلاح

١- المثل في اللغة والاصطلاح

يورد اللغويون معاني عديدة للمثل وذلك بحسب موقعه في الكلام، وما يراد منه، ولذلك فإن قسماً منهم عرّفه على أنه: الشيء الذي يضرب لشيء آخر فيكون مثله، وهو ما يشبه الشيء في القدر، والمثال، والمعنى، ونحو ذلك^(٢)، كما يأتي بمعنى الشبه^(٣) نظير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٤).

(١) زهرة، احمد علي، الظاهر والباطن فلسفة التأويل في الديانات السماوية، ط١، (دمشق: نينوى للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)، ص ٣٤٧.

(٢) الفراهيدي، كتاب العين، ج ٨، ص ٢٢٨.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١٠، ص ١٥٩.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٢٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

ومن اشتقاقات المثل اللغوية (مثله، ومثيله، ومماثلة، ومثال، وأمثلة)، كما عرفه قسم آخر على انه يأتي بمعنى الصورة أيضاً نظير قولهم مثل التمثال، والتي تأتي بمعنى صور التمثال^(١)، ولذلك يطلق على الصورة التي تصور اسم تمثال، ومن ذلك قولهم: وفي أثوابه التماثيل، أي بمعنى صور الحيوانات المصورة^(٢). ويأتي المثل أيضاً على انه كلمة تقال للتسوية بين شيئين، أو يأتي بمعنى الصفة للشيء^(٣).

أما في الاصطلاح فيعرف المثل على انه "المشارك للشيء في أمر من الأمور، سواء كان ذلك المشارك حقيقة من الحقائق كمماثلة زيد وعمر في الإنسانية، أو صورة وشبها لما هو مثل له كما في الصور العقلية والأشباح الخيالية، وسواء كان ذلك الأمر المشترك فيه، ذاتياً أو عرضياً. وظاهر أن الأمور المماثلة -أية مماثلة كانت- إنما يُعرف بأمثالها: بأن يُعرف مثلاً واحد من المتماثلين بذلك الذاتي أو العرضي ثم يحكم بذلك في أمثاله"^(٤).

إذ يكون المثل هنا بمثابة نوع من المشاركة بينه وبين شيء آخر في امر واحد، أو أكثر. كما جاء في تعريفه على انه "قسم من الحكم، يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة، وغرابة ودقة في التصوير"^(٥).

كما عُرف على انه "هو القول السائر على السنة الخلق، ويكون في أمر عجيب وشأن خطير"^(٦)، ويأتي أيضاً على انه "ما يُراد به الأمر الآخر الكامن وراء المعاني المطابقة للألفاظ"^(٧).

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٦٣.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٩٠.

(٤) قاضي سعيد القمي، محمد بن محمد مفيد (ت: ١١٠٧هـ)، شرح توحيد الصدوق، تصحيح وتعليق نجف قلى حبيبي، ط ١، (تهران: وزارت فرهنگ وإرشاد إسلامي، ١٤١٥هـ)، ج ١، ص ٩٠.

(٥) السبحاني، جعفر، الأمثال في القرآن الكريم -دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز-، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ١٤٢٠هـ، ص ١٠.

(٦) حجازي، التفسير الواضح، ج ٣، ص ٧٧٦-٧٧٧.

(٧) الحيدري، كمال، الرمزية والمثل في النص القرآني، ط ١، (بيروت: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، ١٤٣٤هـ)، ص ١١.

٢- الممثل في اللغة والاصطلاح

يُعرف الممثل في اللغة على أنه: " ما يذكر لإيضاح القاعدة بتمام أشارتها"^(١)، كما عُرف على أنه الممثل بمضروبه ومورده كأن يقال هذا بمضروبه، ومورده^(٢)، وهو مفعول به متعدي للفعل مثل، ويقصد به تمثيل الشخص، أو التشبيه به^(٣).

في حين أن الممثل في الاصطلاح يعني به ذلك المصطلح الإسماعيلي الذي يعبر عن الأمور العقلية الغير محسوسة^(٤)، أو هو " مقصود الكلام الباطني الذي يدل عليه"^(٥)، أي الذي الذي يدل على المثل المضروب.

وهذا ما أكده الباحث الإسماعيلي مصطفى غالب في تعريفه لنظرية المثل والممثل بقوله: " يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن"^(٦)، ووفق هذا التفسير يكون تعريف الممثل اصطلاحاً بأنه كل ما موجود في العالم الروحاني، والذي يماثل ما موجود في العالم الجسماني الظاهر.

ومن كل ذلك نستنتج أن الممثل هو كل امر خفي غير محسوس ولا يمكن الاستدلال على وجوده إلا من خلال الأمر الظاهر الذي يماثله، أو يشاكله.

ثانياً: مفهوم المثل والممثل في القرآن الكريم

لقد دلت العديد من الآيات القرآنية على اشتغال القرآن الكريم على الأمثال، وأنها إنما ضربت كوسيلة للناس لأجل التفكير، والموعظة والعبر، فالمثل " عبارة عن كلام ألقى في واقعة لمناسبة اقتضت إلقاء ذلك الكلام، ثم تداولت عبر الزمان في الوقائع التي هي على غرارها."^(٧)، وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات المباركة تضمنت لفظة المثل، أو الأمثال باختلاف تفاسيرها، وتأويلها حسب مضمون الآية كما في قوله تعالى: **كَذَلِكَ**

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠١.

(٢) البركتي، محمد عميم الإحسان (ت: ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٤م)، التعريفات الفقهية، ط١، (دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ص ١٩٤.

(٣) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، ص ٢٠٦٦.

(٤) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ١٠٦.

(٥) ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص ٤٣٨.

(٦) أعلام الإسماعيلية، (بيروت: دار البقعة العربية، ١٩٦٤م)، ص ٣٣.

(٧) السبحاني، جعفر، الأمثال في القرآن الكريم، ط١، (مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ١٤٢٠هـ)، ص ١٦.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ^(١)، وقوله تعالى: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}^(٢)، وقوله تعالى {وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ}^(٣)، وقوله تعالى: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}^(٤)، وقوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}^(٥)، وغيرها الكثير، لأجل إيصال المعرفة العالية إلى مستوى الفهم العامي، والتي لا يمكن أن تدرك إلا الأشياء المحسوسة، ولا يمكنها الوصول للمعاني الكلية إلا من خلال القلب الجسماني^(٦).

وهذا ما أكدّه الجياشي بقوله: "إذ ما من حقيقة من حقائق الوجود سواء في عالم الغيب أو الشهادة إلا وبينها من خلال الأمثال"^(٧)

وأضاف الباحث المحدث محمد هادي معرفة تفسيراً آخر لذلك بقوله: "ضرب المثل في القرآن يعدّ من روائع بيانه الحكيم، حيث تقريبه للمعاني إلى الأذهان وتجسيده للمفاهيم بصورة عيان. وقد قيل قديماً: المثل يقرب المقال"^(٨)

وقد اهتم الكثير من العلماء، والباحثين في هذا العلم، وارتباطه بالقرآن، فيعد مقاتل بن سليمان البلخي أول من كتب عن المثل في القرآن، وقد حددها بأربعة وجوه لدلالة المثل في القرآن الكريم هي كالآتي:^(٩) (الشبه، السنن، العبرة، العذاب)^(١٠). فيما يرى آخرون أن المثل

(١) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) سورة إبراهيم، ص ٢٥.

(٣) سورة إبراهيم، ص ٤٥.

(٤) سورة النور، الآية ٣٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٦) الحيدري، أصول التفسير والتأويل، ص ٣٤٠.

(٧) محمود نعمة، الظن. دراسة في حجّيته وأقسامه وأحكامه دروس السيد كمال الحيدري، ط ١، (قم، دار فراق، فراق، ٢٠٠٨ هـ)، ص ٣١٤.

(٨) التفسير الأثرى الجامع، ط ١، قم: مؤسسه فرهنگي انتشاراتي التمهيد، ١٣٨٧ هـ، ص ٢٦٦.

(٩) الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦ هـ - ١٠٧٠ م)، رسائل الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة (من رواية النعماني)، ط ١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٤٢١ هـ)، ص ١٧٠.

(١٠) المثل في القرآن على أربعة وجوه:

١- المثل: يعني الشبه، فذلك قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ يَعْنِي الْأَشْبَهُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} (في سورة العنكبوت / ٤٣)، يعني نصفها. وقوله: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} (سورة النحل / ٧٥)، أي وصف شبيهاً. وقوله: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} (سورة الفتح / ٢٩)، يعني شبههم.

٢- المثل: يعني السنن، فذلك قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْمَثَلِ} (سورة البقرة / ٢١٤)، يعني سنن الذين يعني مؤمني الأمم الخالية. ←

٣- المثل: يعني العبرة، فذلك قوله: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا} (سورة الزخرف / ٥٦) يعني عبرة للآخرين - أي لمن بعدهم. كقوله لعيسى عليه السلام: {إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} (سورة الزخرف / ٥٩)، يعني غبرة لبني إسرائيل.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

ورد على أنواع ثلاثة هي " ظاهر مصرح به، كامن لا ذكر للمثل فيه، جار مجرى المثل" ^(١). فمن هذا المنطلق نوجز فوائد الأمثال القرآني بالنقاط الاتي: ^(٢)

١- إبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، حيث ضرب الله المثل لبيان حال المنفق رياء بأنه لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب. فقال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا} ^(٣)

٢- الأمثال تكشف عن الحقائق وتبين الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} ^(٤)

٣- الأمثال تجمع المعاني الرائعة في عبارات موجزة، كالأمثال الكامنة والمرسلة

٤- يضرب المثل للترغيب. كما في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ^(٥)

٥- يضرب الله تعالى المثل للتنفير. إذ يقول جل ذكره: {وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} ^(٦)

٦- يضرب الله تعالى المثل للمدح كما في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ قَالَ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} ^(٧)

فالقرآن الكريم استعمل الأمثلة لوصف الأشياء؛ وذلك لغاية تقريب صورتها للمتلقى، إذ أن الإنسان يعتمد على الصورة التي تنعكس لذهنه فيفهم معناها، ألا أن هناك أشياء باطنة، غير

٤- المثل: يعني العذاب، فذلك قوله: {وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ} (سورة الفرقان / ٣٩) يعني وصفنا له العذاب، فإنه زال بهم في الدنيا -يعني الأمم الخالية- نظيرها في (سورة إبراهيم / ٤٥) إذ يقول: {وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ} يعني وصفنا لكم العذاب. مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ١، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦م)، ص ١٦٢-١٦٣.

(١) منصور، عبد القادر، موسوعة علوم القرآن، ط ١، (حلب: دار القلم العربي، ٢٠٠٢م)، ص ٢٥٠.

(٢) معبد، محمد احمد، نفحات من علوم القرآن، ط ٢، (الإسكندرية: دار السلام، ٢٠٠٥م)، ص ١١٢-١١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٤

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٥

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦١

(٦) سورة الحجرات، الآية ١٢

(٧) سورة الفتح، الآية ٢٩

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

محسوسة، أو مرئية لدى الإنسان، ولذلك قرب الله تعالى هذه الأشياء للمتلقي، من خلال ضرب الأمثال بما موجود من شبه تقريبي بينهما، فمثلاً للدلالة على النور الإلهي ضرب له مثلاً بالمشكاة وذلك يتبين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١)؛ ولحملة العلم الذين يملكون العلم ولا يطبقونه بالحمار نظير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسٍ مَثَلُ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٢)، وغيرها من الأمثال.

فالمثل هنا يأتي بمثابة التشبيه، وتقريب الصورة على المتلقي لفهمها، واستيعابها، فهي ليست حقيقة الأشياء أو جوهرها، وإنما هي صورة تمثيلية تقريبية.

كما أن الله (سبحانه وتعالى) قد جعل عالم الوجود الآدمي وسطاً بين عالمين، وهما: **العالم العلوي** وهو ما يعرف بعالم المثال، والكمال؛ وبين **العالم السفلي**، والذي هو عالم التدهور، والتقهقر، والانحطاط؛ أي بين عالم الكمال العقلي، والفهم؛ وبين عالم البهيمية، والجهل؛ وقد جعل الحركة والتي تتمثل بالعمل ذات بعدين:

-البعد الأول: يتمثل بالعمل الصالح الذي تسمو فيه الروح بفعل العقل إلى عالم الكمال، والرفعة، والتسامي.

-البعد الثاني: والذي يمثل العمل الطالح، أو الحركة السفلى والذي تتقهقر فيه الروح إلى الأسفل إذ تفقد جوهرها الإنساني الذي كرم الله به بني آدم على جميع المخلوقات، والمتمثل بالعقل لتتدرج في الانحدار إلى عالم البهيمية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا^(٣).

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٤٤.

ثالثاً: نظرية الفيض الإلهي والعقول العشرة

يرى الكثير من الباحثين الإسلاميين، والباحثين في الشأن الإسماعيلي إلى أن نظرية المثل والممثل الإسماعيلية هي في الأساس النظرية الأفلاطونية^(١) القديمة أي ما تعرف بنظرية المثل، ألا أن الإسماعيليين أطروها وفق الأطر الإسلامية، ووفق تعاليمهم الدينية، فيقول الباحث محمد حسين كامل في ذلك "فإن هذه النظرية وإن كانت قد صبغت بالصبغة الإسلامية فأنها هي نظرية المثل الأفلاطونية القديمة، ادخلوها في عقيدتهم بعد أن غيروا فيها بما يتفق مع تعاليمهم، وعقائدهم الإسلامية"^(٢).

حتى أنه يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول أن الفكرة التأويلية للإسماعيلية بما هو موجود الآن في كتبهم إنما هي بتأثير الكتب الفلسفية التي نقلت في عصر حركة الترجمة التي تعود للعصر العباسي، وما بعده قائلاً: "ويخيل إلى أن فكرة التأويل الباطن على هذا النحو الذي نراه عند الإسماعيلية لم يعرف لدى المسلمين قبل عصر الترجمة والحركة العلمية التي ظهرت في العصر العباسي وبعده، وبعد أن ترجمت الكتب الفلسفية اليونانية فالمعروف أن بعض فلاسفة الإسكندرية وعلى الأخص فيلون، وتلاميذه حاولوا تأويل التوراة تأويلاً باطنياً أن صح هذا التعبير، وإن سانت أوغسطين هو أول من حاول تأويل الإنجيل تأويلاً باطنياً، كذلك جاء الإسماعيلية واخذوا فكرة التأويل مما نقل العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة"^(٣).

كما تابع هذا الرأي الباحث الباكستاني إحسان إلهي ظهير^(٤)، والذي عُرف بتعصبه وعدائه للشريعة عامة، والإسماعيلية على وجه الخصوص وبدا واضحاً أنه يؤيد هذا الطرح، والما نقله في كتابه دون معارضة لرأيه أو أبداء وجهة نظره وهذا يؤكد أنه ينحى نفس المنحى في أصل النظرية اليونانية.

أما الكتاب، والعلماء الأمامية فتناولوا هذه القضية بتفسيرٍ منطقيٍّ يدلُّ على سعة علمهم، وأدراكهم، وإطلاعهم على ما جاءت به كتب الإسماعيلية أنفسهم، وهذا واضح من قول الشيخ جعفر السبحاني: "إنَّ الإسماعيلية استعملت في تطبيق تلك النظرية، على ما تتبناه من تطبيق

(١) وهو فيلسوف أثيني تتلمذ أيضاً لسقراط، وقد ألف كتباً كثيرة حفظت لعهدنا هذا، كتبها على شكل محاورات، وأكثرها شيوعاً كتاب الجمهورية وآراؤه في الأخلاق منثورة في تلك المحاورات ممزوجة بأبحاثه الفلسفية، وكلامه في الأخلاق مبني على نظرية المثل. أمين، أحمد، كتاب الأخلاق، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦م)، ص ١٠٠.

(٢) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ط١، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٠م)، ص ٩-١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٤) الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ط١، (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٨٦م)، ص ٤٨٤-٤٨٥.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الدعوة الدينية على عالم التكوين نظرية الفلسفة اليونانية في كيفية حصول الكثرة في العالم، ولم يكن الهدف في استخدام نظريتهم، في بيان صدور الكثرات من الواحد البسيط، إلا تطبيقها على الدعوة الدينية، حتى يكون لكل ظاهر باطن^(١)، ثم يضيف أن النظرية هي ذاتها ألا أن الاختلاف جاء في تركيب الألفاظ والتعابير أما جوهر النظرية فهو نفسه ويتضح ذلك في قوله: "وتبنى المذهب الإسماعيلي، الذي هو مذهب ذو صبغة فلسفية يونانية هذه النظرية مع اختلاف يسير في التعبير لا غير، والفكرة الرئيسية عندهم واحدة. فمثلاً يعبر الداعي الكرمانى عن العقل الأول بالمبدع، كما يعبر عن العقل الثاني بالمنبعث الأول، وكلا المسلكين يشتركان في أنه يبتدئ الصدور بالعقل الأول^(٢)، الذي تسميه فلسفة المشاء بالعقل الأول، والمذهب الإسماعيلي بالمبدع الأول، وتنتهي بالعقل الفعال^(٣)، ويتوسط بين العقل الأول والعقل الفعال سلسلة العقول، والأفلاك الأخرى"^(٤).

ونظرية المثل الأفلاطونية تعني " أن وراء هذا العالم المحسوس عالماً آخر روحانياً ، وأن لكل موجود مشخص مثلاً غير مشخص في العالم العقلي أو الروحاني ، طبق ذلك على الأخلاق فقال : إن بين هذه المثل مثالا للخير ، وهو معنى مطلق أزلي أبدي بالغ الكمال ، وكلما قربت المعاملة منه وسطع عليها ضوءه كانت أقرب إلى الكمال ، وفهم هذا المثل يحتاج إلى رياضة النفس وتهذيب العقل ، ومن ثم لا يدرك الفضيلة في خير أشكالها إلا من كان فيلسوفاً . وكان يرى أن في النفس قوى مختلفة ، والفضيلة تنشأ من تعادل تلك القوى وخضوعها لحكم العقل ، وذهب إلى أصول الفضائل أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، وهي قوام الأمم كما أنها قوام الأفراد ، ففي الأمم نرى الحكمة فضيلة الحكام والشجاعة فضيلة الجنود ، والعفة فضيلة الرعية ، والعدل فضيلة الجميع ، تحدد لكل إنسان عمله وتطلب منه أن يعمل على أحسن وجه ، وكذلك الشأن في الفرد . الحكمة هي الفضيلة الحاكمة

(١) السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج ٨، ص ٢٦٢.

(٢) ويذهب الشيخ التستري (ت: ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)، إلى أن أول مخلوق صدر من الأول هو نور الحسين (عليه السلام)، وأن كل مخلوق هو تابع له مستنداً بقول الرسول (صلى الله عليه واله): حسين مني، وأنا من حسين" أن أول المخلوقات هو نور الحسين عليه السلام) لأن النبي (صلى الله عليه واله) قال: حسين مني، وأنا من حسين؛ وفي رواية أخرى قال: أنا من حسين، وحسين مني، فهو أول مخلوق، وأول ما صدر من الأول فكل مخلوق تابع له، فلا غرو أن يبكيه كل شيء مخلوق" مخطوط الحقائق الحسينية، نسخة خطية مصورة.

(٣) وهو العقل الموجود في نهاية سلسلة العقول الفلكية كما يذهب إلى ذلك فلاسفة الإسلام، وأسموه بالعقل العاشر، والذي يدير شؤون الأرض، وكما يقول الفارابي بأن العقل الفعال هو صورة مفارقة لم تكن في مادة، ولا تكون أصلاً؛ أما ابن سينا فذهب إلى أنه عبارة عن حلقة وصل بين عالم الغيب؛ وعالم الشهادة. مذكور، المعجم الفلسفي، ص ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٦٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

للشخص المدبرة له، والشجاعة فضيلة بها يدفع الشرور، والعفة بها يقاوم الميل إلى التغالي في اللذائذ، والعدل الفضيلة الدافعة للعمل بما يتفق مع مصلحة^(١).

كما أنها تتلخص بالقول: "أن الحقائق كلها كامنة في العقل والمحسوسات الخارجية صور وأشباح لها، فإذا ذهنا عن حقيقة من الحقائق العقلية سهلت لنا المحسوسات سبيل التذكر والانتباه، فالموجود الحقيقي هو المثل المرتسمة في العقل، ولا وجود لغيرها بالمعنى الصحيح الوجود"^(٢).

ومن الواضح انهم تأثروا أيضاً بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة^(٣)، أو ما تسمى بنظرية الفيض والمنسوبة إلى افلوطين^(٤) والتي تنص على: "إن العالم الحسي والعالم العقلي موضوعان أحدهما ملازق للآخر. وذلك أن العالم العقلي محدث للعالم الحسي، والعالم العقلي مفيد فائض على العالم الحسي؛ والعالم الحسي مستفيد قابل للقوة التي تأتيه من العالم العقلي. ونحن ممثلون هذين العالمين وقائلون إنهما يشبهان حجرين ذوي قدر من الأقدار، غير أن أحد الحجرين لم يهتدم ولم تؤثر فيه الصناعة البتة، والآخر مهتدم وقد أثرت فيه الصناعة وهياته هيئة يمكن أن تنتقش فيه صورة إنسان ما أو صورة بعض الكواكب، أعنى تصوّر فيه فضائل الكواكب والمواهب التي تفيض منها على هذا العالم. فإذا فرق بين الحجرين فضل

(١) أمين، كتاب الأخلاق، ص ١٠٠.

(٢) مغنية، محمد جواد، معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوف والكرامات)، طه، (بيروت: دار الجواد، ١٩٨٦م)، ص ٩٠.

(٣) الأفلاطونية الحديثة: وهو مذهب فلسفي صوفي يستمد من أفلاطون اسم مؤسسها وبعض مميزاته ظهر في القرن الأول بعد الميلاد، وظهر في الإسكندرية. رضوان، عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٣هـ)، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) وهو احد أساتذة مدرسة الإسكندرية الفلسفية والتي تعد إحدى منارات الفكر والعلم والحكمة الإنسانية على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، وكانت المدرسة تبعت بإشعاعاتها الفكرية والفلسفية والمعرفية في العالم، كما هو مشهور في تاريخ الحضارة العالمية القديمة، وذلك بعد هجرته إليها من اليونان مع عدد من الأساتذة الآخرين، ومنهم امنيسوس، ويلقب افلوطين بالشيخ، ثم رحل إلى فارس والهند، فاطلع على المعارف الصوفية الهندية، والتعاليم البوذية، والبرهمية... الخ ثم عاد إلى الإسكندرية وهو يحمل خليط من ألوان الثقافات، وبدأ يدرسها وكان أساس تعاليمه أمور ثلاثة: الكون نشأ عن (الخالق الأزلي الأول) الذي لا تحده الأفكار، الأرواح شعب (لروح واحدة) تتصل بالخالق الأزلي عن طريق (العقل) المنبثق عن الخالق الأزلي الأول، العالم كله في تدبيره وتكوينه وتحركه يخضع لهذه الثلاثة: المنشئ الأزلي الأول. وقد توفي عام ٢٧٠ م. شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، ط١، (الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٨م)، ص ٣٠.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الحجر الذي أثرت فيه الصناعة وصوّرت بأفضل الصور وأحسن الزينة -من الحجر الذي لم ينل من حكمة"^(١).

وهذا ما أومي إليه مؤلفو رسائل إخوان الصفا بأن صدور الموجودات عن الله بطريقة الفيض فيقول الإخوان: "فالعقل الفعال أول موجود فاض عن الباري، ثم فاضت النفس الكلية من العقل، ثم فاضت الهيولى الأولى من النفس. وهذه الموجودات الثلاثة جواهر روحانية بسيطة. فلما قبلت الهيولى الأولى من النفس الصورة الأولى وهي الطول والعرض والعمق، أصبحت جسما مطلقا وهو الهيولى الثانية. ووقف الفيض عند وجود الجسم، ولم يغض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية، وغلظ جوهره وبعده من العلة الأولى. ولما دام الفيض من الباري على العقل الفعال، ومن العقل الفعال على النفس الكلية أو العقل المنعقل، عطفت النفس على الجسم، فصورت فيه الصور والأشكال والأصباغ لتتمه بالفضائل والمحاسن، فقبل منها الشكل الكريّ أفضل الأشكال، وحركته بالحركة الدورية، وهي أفضل الحركات. فكان من ذلك عالم الأفلاك مرتبة أكره بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض. فصار الكل عالما واحدا منتظما نظاما كليًا واحدًا، وصارت الأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدّها ظلمة لبعدها عن الفلك المحيط، وصار الفلك المحيط أطف الأجسام كلها وأشدّها روحانية وأشفّها نورا لقربه من الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط معقول. فتم الفيض انبجاسا من الأعلى إلى الأسفل، حتى إذا تكونت الأفلاك السماوية تولت بحركاتها المنتظمة توليد الأركان الأربعة تحت فلك القمر، وهي النار والهواء والماء والأرض. ودارت الأفلاك بأبراجها وكواكبها على هذه الأركان، وتعاقب عليها الليل والنهار، والشتاء والصيف، والحر والبارد، واختلط بعضها ببعض، فامتزج اللطيف منها بالكثيف، والثقل بالخفيف، والحر بالبارد، والرطب باليابس، فتركبت منها على طول الزمان أنواع التركيبات من الأسفل إلى الأعلى فكانت المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان"^(٢).

أما نظرية العقول العشرة التي قال بها الإسماعيلية فهي تنطلق من السؤال الفلسفي الذي يبحث في كيفية صدور، أو حصول مبدأ الكثرة في العالم، إذ أن البراهين في الفلسفة أثبتت أن الله هو واحد بسيط وهو بالمنطق الفلسفي لا يصدر منه ألا واحد، فكيف حصل مفهوم الكثرة فيما يعرف بعالم العقول، وعالم الأفلاك، وعالم الأجسام، ولذلك ذهب الفيلسوف أرسطو مع

(١) أفلوطين عند العرب (أثولوجيا)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط٣، (قم: انتشارات بيدار، ١٩٧٧م)، ص ٥٦.
(٢) مؤلف مجهول، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط١، (بيروت: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢م)، ج ١، ص ١٦.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

تلامذته على أن الصادر من سبحانه هو واحد فقط متمثل بالعقل الأول، وقد تبعهم على هذا الرأي الكثير من المسلمين ومنهم الفارابي، وابن سينا^(١).

"اعلم أولاً أن المراد من العقول هي الموجودات المقدسة والجواهر الخالصة المنزهة من شوب المادة والمادي والجسم والجسماني ومعروف أن العقل هو الجوهر المجرد في ذاته وفي فعله واتفق الحكماء بالأدلة والبراهين المحكمة كقاعدة إمكان الأشرف وغيرها: أن العقول أول الموجودات ومبدأ الصوادر ووسائل الفيض، وذهب المشاؤون -وهم طائفة من الحكماء ورئيسهم المعلم الأول أرسطو إلى حصر العقول الكلية في العشرة وليس المراد الكلي المفهومي بل الكلي الوجودي ويسمونه على اصطلاح الحكماء برب النوع. وبيان ذلك أجمالاً هو أن بحكم القاعدة المبرهنة في محلها وهي أن (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) لا بد وأن يكون الصادر الأول من الواحد البسيط من جميع الجهات هو الواحد ولما كان الحق سبحانه واحداً من جميع الجهات وبسيطاً من كل الحثيات فلا بد وأن يكون الصادر الأول من ذاته الأحدية العقل الأول والأحاديث الشريفة عند الفريقين متواترة"^(٢).

وتتلخص هذه النظرية للعقول العشرة على أن الاله أوجد العقل الأول، ومن ثم أوجد العقل الأول العقل الثاني، والعقل الثاني قد أوجد العقل الثالث وهكذا بالترتيب حتى العقل ذو المرتبة العاشر، والذي يطلق عليه مصطلح العقل الفعال^(٣).

رابعاً: المثل والممثل في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

تستند الحركة الإسماعيلية على عقائد شاملة لكافة أمور الحياة، وتفرعاتها، وهذه العقائد تكون مرتبة وفق حقائق إزلية، وثابتة كانت مرافقة للكون منذ أول نشوؤه، وهي مستمرة معه حتى ما لا نهاية، وكما أنها تضم أيضاً معتقدات جديدة، ومتطورة تتلاءم مع متطلبات العصر، وتطوره، ألا أن هذه المعتقدات المستجدة تسير وفق علاقة تلازم، وتماسك مع المعتقدات الأولى الأصلية^(٤).

(١) السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، ج ٨، ص ٢٦٢.

(٢) كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين، الفردوس الأعلى، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، ط ٣، (قم: مكتبة فيروز آدابي، ١٩٨٢م)، ص ٣١-٣٢.

(٣) الحيدري، كمال، فلسفة صدر المتألهين (قراءة في مركّزات الحكمة المتعالية)،

(٤) غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٣٩.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

ولقد استند الإسماعيليون في نظريتهم هذه على القرآن الكريم كقوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ^(١)، وقوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} ^(٢)، فضلاً عن استنادهم إلى أحاديث رويت عن رسولنا الكريم، وعن إله الأطهار، كقوله (صلى الله عليه واله): " أن الله أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقهم على دينه، وبدينه على وحدانيته" ^(٣)

وتعد نظرية المثل والممثل وأسس تطبيقها على كل الموجودات في العالم العلوي، أو السفلي، وكذلك على تراكيب عالم الأفلاك، والأجرام هي القاعدة التأويلية التي انطلق من خلالها علماء الإسماعيلية لأجل إثبات عقائدهم في التوحيد، ومعالج فكرهم العقلاني ^(٤).

وبهذا الصدد يذهب إخوان الصفا، وفق أيمانهم بنظرية المثل والممثل بقولهم: "فلما كان الإنسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جلي، ومن نفس روحانية باطنة خفية، صارت أحكام الدين والإسلام وحدود الشريعة على وجهين: ظاهر وباطن. والظاهر هو أعمال الجوارح، والباطن هو اعتقادات الأسرار في الضمائر، وهو الأصل، كما قال عليه السلام: الأعمال بالنيّات، ولكل امرئ ما نوى" ^(٥)

إذ قسم الإسماعيلية العلوم على ثلاثة أقسام ^(٦):

١- العلم الذي يراد منه ظاهره مع باطنه، ويقصد به جميع أنواع العبادات والتي لا يمكن العمل بظاهرها من دون بواطنها؛ وبنفس الوقت لا يمكن الاكتفاء بالباطن منها دون الظاهر.

٢- العلم الذي يراد منه الباطن من دون الظاهر، مثل قصص الأنبياء الذين مضوا.

٣- العلم الذي يراد به ظاهره دون الباطن، مثل المعاملات، الديون، الأشربة، البياعات، الطلاق، وغيرها.

أن تطبيق نظرية المثل والممثل يقتضي أن تكون الحدود الجسمانية في العالم الأرضي تماثل، أو تشابه الحدود العلوية، وأيضاً أن تكون تماثلها في الوصف، وفي الأسماء؛ وذلك لأن

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٣) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية، ص ١٠٢.

(٤) غالب، مصطفى، مفاتيح المعرفة، ط ١، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٢م)، ص ٢١٨.

(٥) مؤلف مجهول، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط ١، (بيروت: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ج ٣، ص ٤٨٦.

(٦) عثمان، الإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل، ص ١٢٠.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الله تعالى وهو المنزه عن الصفات، والأسماء قد أقام العالم العلوي، والعالم السفلي بحدود عشرة كاملة، خمسة منها الحدود الروحانية، والتي هي (السابق، والتالي، والجذ، والفتح، والخيال)؛ والتي تقابل الخمسة حدود الجسمانية، والتي هي (النبي، والوصي، والإمام، والحجة، والداعي) (١).

فالظاهر يأتي بمعنى المثل، أما الباطن فهو يرمز اليه بالمثل، وان لكل مثل موجود، هناك ممثل يقابله لا يعرفه ألا الراسخون في العلم، فجسم الإنسان هو مثل أما نفسه فهي ممثل؛ وان الدنيا هي مثل، أما الآخرة فهي الممثل، وان الشمس، والنجوم، والقمر وهي التي لها ذوات قائمة فهي محل المثل؛ أما قواها الباطنة، والتي تؤثر في كافة المصنوعات فهي بمثابة الممثل، وهكذا يكون قوام التأويل من خلال الاستدلال بالأشياء المحسوسة، للدلالة على المعقولات (٢).

إذ انهم قسموا المخلوقات على قسمين، فالأول هو الظاهر للعيان، أما الثاني فهو الباطن الخفي، وجعلوا القسم الظاهر يدل على القسم الباطن؛ وذلك لأن ما يظهر من أمور الدين والتي تمثل العبادة العملية، وما موجود في معاني القرآن الكريم الظاهرة يدركها الجميع، وأما المعاني الأخرى الباطنة للقرآن، وللفرائض فأنها لا يدركها إلا فئة خاصة، وهم الأئمة، وكبار الحجج، والأبواب، والدعاة (٣).

وهذه النظرية قائمة على استخلاص الباطن من خلال الظاهر. وتعني محاوله لتفسير الأمور، والقضايا العقلية غير محسوسة وفق ما يقابلها، أو يماثلها من الأمور، والقضايا الجسمانية، والتي تكون محسوسة (٤).

والمثل كما ورد في الكتب الإسماعيلية أنما هو دليل وطريق لمعرفة الممثل الذي أخفاه وستره (جل وعلا) وذلك من اجل عملية الاختبار والامتحان للعباد للاستدلال والاهتداء بوجوده عن طريق مثله كما أشار إلى ذلك الداعي جعفر بقوله: "فاعلم انه اخفى الممثل وستره وجعل مثله طريقاً إلى معرفته اختباراً لعباده وامتحاناً لهم إذ جعلهم غير مخيرين وجعل فيهم

(١) السجستاني، الينابيع، ص ١٨.

(٢) المجالس المستنصرية (منسوب)، تحقيق: محمد كامل حسين، ط ١، (القاهرة: دار الفكر)، ص ١٩-٢٠.

(٣) السجستاني، الينابيع، ص ١٣.

(٤) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ١٠٦-١٠٧.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

استطاعة للطاعة والعصيان فجعل أوليائه وأئمة سبيل طاعته وعبادته وعرفهم طريق رشدكم من غيرهم ووعد الثواب على الطاعة وأوجب العقاب على المعصية"^(١).

وتتلخص هذه النظرية الفلسفية بأن الله تعالى قد جعل كل معاني الدين في موجوداته لذلك يجب الاستدلال بما موجود على وجه الأرض وفي الطبيعة على إدراك الحقائق الدينية، إذ جعلوا تقسيم المخلوقات ظاهراً، وباطناً، فجعلوا الظاهر دليلاً، ودالاً على الباطن، فالجسم في الإنسان تقوم مقام المثل أما نفسه فهي الممثل في الباطن، وكل ما يظهر من العبادات العملية، وأمور الدين، وما كان في ظاهر الآيات القرآنية فهي معاني معلومة يفهمها جميع المسلمين بمختلف طوائفهم؛ أما المعاني الباطنة من فرائض وغيرها فهي لا يعرف تأويلها عندهم إلا الأئمة، وكذلك كبار الدعاة^(٢).

والملاحظ أنهم جعلوا تطبيق المثل والممثل في الأعداد أيضاً؛ فقابلوا الأعداد بما يماثلها من الأمور الدينية حيث جعل الواحد يمثل العقل الكلي، أو ما سموه بالقلم أما الاثنان فهو يمثل النفس الكلية، والتي يطلقون عليها الروح، أو القلم أما الثلاثة فهي تمثل عندهم محمد، والإمام علي (عليه السلام)، والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أما الخمسة فهي تمثل القلم، اللوح، ميكائيل، إسرافيل، جبرائيل؛ والذين يمثلون محمد، علي، فاطمة، الحسن، الحسين؛ وأيضاً يمثلون الإمام، الحجة، الداعي، المأذون، المكاسر^(٣).

أما العدد سبعة فهو يمثل النطقاء السبعة (ادم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، إسماعيل)؛ وأسسهم وهم (شيث، سام، إسماعيل، هارون، شمعون الصفا، علي بن أبي طالب، قداح الحكمة)؛ وأيضاً فإنه العدد سبعة يمثل الأئمة السبعة (الإمام علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، وإسماعيل، ومحمد بن إسماعيل)^(٤).

وهذه المقابلة في الأعداد هي بتأثير الفلسفة الفيثاغورية^(٥). إذ رتبوا الأعداد إلى منازل وهي الآحاد، والعشرات، والمئات، والألوف، وهكذا وكل مرتبة عددية تمثل شيئاً فمثلاً ادم يكون بمنزلة الآحاد في الأعداد، ومنه جاءت السلالة؛ أما نوح فهو بمنزلة العشرات، وهو يماثل

(١) الداعي جعفر، جعفر بن منصور اليمن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي، (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، سرائر وأسرار النطقاء، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م)، ص ٤٣.

(٢) حسين، طائفة الإسماعيلية، ص ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٤) غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٥٢.

(٥) حسين، طائفة الإسماعيلية، ص ١٧٤.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

النطفة من ناحية الصورة الجسمانية؛ أما إبراهيم فهو بمنزلة المئات، ويمثل العلقه؛ وأما موسى فهو صاحب منزله الألوف، ويمثل في الصورة الجسمانية العظام؛ أما عيسى فهو بمنزلة العشرات من الألوف، وهو يمثل اللحم في صورته الجسمانية؛ أما محمد فهو بمنزلة المئات من الألوف، وهو يمثل الصورة التمامية^(١)

ويلاحظ أن الأعداد، وما يقابلها تتغير بحسب الأدوار، أو بحسب المراتب، أو الدرجات فمثلا في دور الأنبياء يكون العدد سبعة يماثل الأنبياء النطقاء؛ وأيضا يماثل أسسهم السبعة، وكذلك الأئمة السبعة وهكذا.

ولم تقتصر هذه النظرية على المقابلة العددية، وإنما تضمنت المقابلة الكونية، فالظواهر الكونية من نجوم، وكواكب هي أمثال، يقابلها الباطن وهذا ما نلاحظه في فكر إخوان الصفا واهتمامهم بدراسة الفلك وتقسيمات الكواكب، والنجوم؛ وذلك لأنهم يعتقدون انه من خلال فهم الأفاق الكونية من أفلاك، ونجوم يستطيعون فهم الخلق، وحقيقة الدين، مستدين في ذلك على قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ^(٢)

ولذلك قاموا بتقسيم النجوم، والكواكب وفق متتالية ونسق معين، وهذا النسق سيكون قاعدة عقديّة، وفلسفيّة من خلالها يطبقون نظرية المثل، والممثل، فيقول إخوان الصفا في توضيح تقسيماتهم: " أصل علم النجوم هو معرفة ثلاثة أشياء، وهي الكواكب والأفلاك والبروج. فالكواكب أجسام كريات مستديرات مضيئات، وهي ألف وتسعة وعشرون كوكبا كبارا؛ التي أدركت بالرصد منها سبعة يقال لها السيارة، وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر؛ والباقية يقال لها ثابتة، ولكل كوكب من السبعة السيارة فلك يخصه. والأفلاك هي أجسام كريات مشفات مجوفات ، وهي تسعة أفلاك مركبة بعضها في جوف بعض كحلقة البصلة ، فأدناها إلينا فلك القمر وهو محيط بالهواء من جميع الجهات ، كإحاطة قشرة البيضة ببياضها ، والأرض في جوف الهواء كالمخ في بياضها ، ومن وراء فلك القمر فلك عطارد ، ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة ، ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس ، ومن وراء فلك الشمس فلك المريخ ، ومن وراء فلك المريخ فلك المشتري ، ومن وراء فلك المشتري فلك زحل ، ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة ، ومن وراء فلك الكواكب الثابتة فلك المحيط ؛ وذلك أن الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق إلى

(١) غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٥٢.

(٢) سورة فصلت، الآية ٥٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

المغرب فوق الأرض ؛ ومن المغرب إلى المشرق تحت الأرض ، في كل يوم وليلة دورة واحدة ، ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه "(١).

ووفق هذا التقسيم فأنا نرى جانب المماثلة، والتي انطلق منها علماء، وفلاسفة الإسماعيلية بين الكواكب الطبيعية الظاهرة والتي هي بمثابة المثال، وبين مراتب الدعوة الإسماعيلية، ووفق هذا التقسيم، جعلوا الكواكب السبعة السيارة والتي هي (زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد والقمر)؛ تقابل في الباطن النطقاء السبعة، والذين هم كل "ادم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، إسماعيل"(٢)، وأسسم السبعة؛ وكذلك تقابل الأئمة السبعة عند الإسماعيليين، وكذلك تقابل الأئمة، وكذلك تماثل دعائم الإسلام السبعة.

وهذا ما أشار إليه الداعي جعفر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) (٣) بقوله: " فجميع ما وصفت لك من الأزواج كلها ظاهر، وباطن، ومثل وممثول، فالظاهر من السماوات السبع أمثال، وباطنها النطقاء السبعة أولو العزم من الرسل، والأرضون السبع ظاهرها أمثال، وباطنها أئمة الهدى. فكل ناطق منهم اثني عشر برجاً، كذلك لكل إمام من أئمة الهدى اثنا عشر حجة يحتج بها على قومه، ومثلها من الأرض اثنتا عشرة جزيرة، والجزائر مساكنهم، في كل جزيرة حجة، وبكل حجة دعاة كثير، وقليل يزيد في الخلق ما يشاء لبلاغ الحجة، حجة الله في خلقه، لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل".

ثم قسم إخوان الصفا الفلك إلى اثني عشر برجاً "وهذا الفلك المحيط مقسوم باثني عشر قسماً كجزر البطيخة؛ كل قسم منها يسمى برجاً، وهذه أسماؤها: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو"(٤)، وهذا التقسيم يماثل تقسيم الجزر الاثنا عشر، والحجج الاثنا عشر.

إذ أن السماوات السبع في الظاهر أمثال، أما باطنها فهم أولي العزم النطقاء السبعة، والإراضين ولكل ناطق من النطقاء.

ولقد استفاد الفاطميون من مماثلة الفلك ونجومه، وكواكبه، وبروجه بمراتب الدعوة الإسماعيلية، من خلال مراقبة حركة هذا الفلك وما يحتويه، وتطبيقها على حركة الدعوة

(١) مؤلف مجهول، إخوان رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ص ٤٣.

(٣) العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، تحقيق: مصطفى غالب، ط ٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧م)، ص ٢٥.

(٤) مؤلف مجهول، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ١٠٨.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الفاطمية، ومراتبها، ومن خلال فهم هذه الجدلية، كانوا قد حددوا فترة ظهور الإمام، أو قيام الدولة، وغيرها من مسارات الدعوة، وبما يشابه ذلك جاءت أشاره الداعي جعفر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)^(١) إلى ذلك بقوله: " أن الله قد ادن في ظهور دولتنا وحكم بعلوها وذلك أن الخلافة كالفلك الدائر وأنا فيها كالسعود الطالعة المتميلة من النحوس لان الله خصنا بالتمام والدوام وليست دولتنا كدوله الغاصبين الظالمين لأنفسهم المتكبرين على الله وعلى أوليائه الذين لا نظام لهم ولا دوام ولما كانت تجري لنا كجري تلك البروج وان الإمام مثله مثل الكوكب الطالع الذي ادخل في بيته يعمل فيه قوه السعادة في ذلك البيت وكذلك الإمام تشمل سعادته على أهل عصره وزمانه ورجال دولته ومملكته على حسب حكم الكوكب في ذلك البيت".

ووفق ما ورد يرى الإسماعيلية أن الخلافة الفاطمية هي مثل للفلك الدوار وهي مثل السعود الطالعة التي لا نحس فيها وهي مخصوصه بالتمام والدوام، أما دوله مخالفه من الظلمة والغاصبين للخلافة فهي لا ضمان لها ولا نظام، والإمام الإسماعيلي الفاطمي مثله مثل الكوكب الطالع، وان اكتمال الكوكب هذا يمثل ساعة، أو ساعات السعد الفلكية والتي تمثل اكتمال فترة ظهور الإمام، وقيام دولته، وان السعد يصيب أهل زمانه كما يحصل في الكواكب.

حتى أن ظهور الإمام وقيام الدولة الفاطمية كان قد بشر به إخوان الصفا، ووضحوا ارتباط الإمام بما يمثل من الكواكب، وحددوا فترة ظهوره، وانتهاء مرحلة الستر، وقرب ظهور مرحلة، أو دور الكشف وبشروا بها " إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمور الديانات، العارفون بأسرار النبوات، المتأدبون بالرياضيات الفلسفية، وإذا لقيت أحدا منهم وأنست منه رشدا، فبشره بما يسره، وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه، وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران إلى برج مثلثات النبات والحيوان، في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الأعلام"^(٢).

وهذا ما أكده الداعي أبو فراس شهاب الدين (ت ٨٨٣هـ/ ٤٧٩م)^(٣) أيضاً بقوله: "واعلم أيها الأخ البار الرحيم، أن صورة الإنسان جواهر أفراد تسمى كل منها بما ظهر فيها، فالكواكب روحانية، والأفلاك، والأركان طبيعية، والمعدن، والنبات صورية، والحيوان حسية،

(١) الفترات والقرانات، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة، ص ١٧٢.

(٢) مؤلف مجهول، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط١، (بيروت: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م)، ج ٤، ص ١٤٦.

(٣) مطالع الشموس في معرفة النفوس، ص ٢٢.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

وصورة الإنسان قدسية أما إذا ارتسمت فيها العلوم الإلهية من الحدود الخمسة السفلية، فيصير جملة ما استوعبه هذا الشخص من الحدود السفلية المذكورة، والعلوية شخصاً دينياً، وأنساناً علمياً مؤسماً على مثال الشخص البشري، كما قال في نطقه: أن الله أسس دينه على مثال خلقه ليدل بدينه على خلقه، وبخلقه على حدوده، وبحدوده على توحيده" إلى حقيقة مهمة تتمثل بانطباق صورة الإنسان كجوهر على المخلوقات الأخرى، من كواكب، وأفلاك وغيرها، وفق نظرية المثل، والممثل، والتي تستند على الأساس التأسيسي الاستدلالي لها القائم على الوصول إلى الحقيقة الكلية والمتمثلة بتوحيد الخالق من خلال خلقه، فالدين يدل على الخلق، والخلق يدل على الحدود، والحدود تدل على الوحدةانية.

ثم يضيف حقيقة مهمة أخرى ألا وهي أن حقيقة التوحيد لا يمكن أن تكتمل ألا من خلال الشخص الذي تجتمع فيه كل معالم الدين، والعلوم، والقوى الروحانية مجتمعة، وهو يمثل الإنسان الكامل الذي تجتمع فيه كل صفات المثل ومثوله، ومن خلاله تتحقق الغاية الكبرى، أو غاية الغايات ألا وهي توحيد الله تعالى وهو المتمثل بشخص الإمام "ويكون عقل هذا الشخص الرسول الناطق، ونفسه الأساس الصادق، وقلبه الإمام الباعث، وقوة حسه ونموه الكتاب والسنة، وصورة أعضائه التأويل، والبرهان وكشف الآيات القرآنية، وكلامه وعظ الأنام، واخذ عهد الأيمان الذي هو الوارث لدين الله، أو النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون، أو سر الله في العالم، أو الشبح الروحاني، أو العقل الكلي الذي قيل فيه {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١) وهو الإمام في كل زمان" (٢).

كما انهم استعملوا أسلوب المماثلة في تأويل أيام الأسبوع إذ جعلوا أيام الأسبوع مثلاً، والنطقاء ممثلوا " وجعل الأيام السبعة أمثالا لهم فالأحد مثل آدم (صلى الله عليه وسلم) والاثنين مثل نوح صلى الله عليه وسلم والثلاثاء مثل إبراهيم والأربعاء مثل موسى صلى الله عليه وسلم والخمسين مثل عيسى صلى الله عليه وسلم والجمعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المرسلين جمع الله له علم النبيين وفضلهم وأكملهم به وجعله خاتمهم وفضله بأن جعل السابع من ذريته ومن أهل دعوته وملته ومثله مثل يوم السبت وخلق السماوات والأرض كما أخبر تعالى في ستة أيام فكان كذلك جميع الأمر والنهي والخلق" (٣).

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٢) الداعي أبو فراس، مطالع الشمس في معرفة النفوس، ص ٢٢.

(٣) القاضي النعمان المغربي، تأويل الدعائم، ج ١، ص ١٠٢.

المبحث الثالث

الرموز والإشارات ومدلولاتهما التأويلية في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أولاً: الرمز، والإشارة في اللغة والاصطلاح

١- الرمز في اللغة والاصطلاح

يُعرف الرمز في اللغة على أنه الإيماء، أو الإيحاء^(١)، كما عرفه قسم من اللغويين على أنه: "تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين"^(٢)، كما عرفوه على أنه نوع من أنواع الصوت لكنه خفي في شكله، أو يكون على نحو الإيماء بالحاجب وغيره "الرمز: الصوت الخفي باللسان والإيماء بالحواجب وغيرها"^(٣)، كما يأتي على أنه نوع من الإشارة أو الإيماءة بالحاجب، أو الشفتين^(٤).

أما في الاصطلاح فقد جاء على تعابير عديدة فيذهب شمس الدين الشهرزوري (ت: بعد القرن 7)^(٥) في توضيح معنى الرمز فيقول: "أن يأتي بلفظ وضعه الواضع لمعنى ما فيضعه بإزاء معنى آخر لمناسبة ما بين ذلك اللفظ والمعنى الثاني، فيفهم السامع من ذلك اللفظ المعنى الآخر ثم يشرع يناقضه بحسب ما فهم من اللفظ".

وهذا التعريف ينطبق مع ما قالت به الصوفية أبان تعريفهم للرمز، إذ عدوه على أنه نوع من الإشارة على كلام لا يعرفه أي أحد غيرهم^(٦)، وهذا واضح من قولهم "معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله"^(٧).

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٧٠٩.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٣٢٩.

(٣) صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج ٩، ص ٥١.

(٤) الجوهري، الصاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٣، ص ٨٨٠، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٩٨.

(٥) شرح حكمة الإشراق، حسين ضيائي تربتي، ط ١، (طهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگي، ١٣٧٢م)، ص ٢٥.

(٦) الكسنزان الحسيني، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ج ١، ص ٦٥.

(٧) العجم، رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط ١، (بيروت: مكتبة لبنان الناشر، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ٤١١.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

كما أن الأصل في معنى الرمز هو " أن يجيء لاحقاً لما يرمز له ، إذ تعرض لنا حالة أو فكرة ، نريد تمييزها مما قد يختلط بها ، من أشباهها أو أضدادها ، فنبحث لها عن رمز يميزها ؛ والأغلب أن تكون الحالة المرموز لها مجردة ، وأن يكون الرمز المميز لها شيئاً محسوساً يجسد خصائصها ومعناها ، ومن ثم كثر استخدام الرمز في الدين والتصوّف والشعر والفن ، وهي مجالات تختلج فيها بالنفس أفكار ومشاعر يتعذر تعريفها بالحدّ العلمي الرياضي الحاسم ، فيلجأ صاحبها - إذا أراد التعبير عنها - إلى تصويرها في مجسّدات مما تألفه العين والأذن وغيرهما من الحواس ؛ وبمقدار ما تكون الموازنة كاملة بين الحالة الباطنية التي نريد إخراجها ، وبين الشيء المحسّن الذي وقع عليه اختيارنا للرمز به إلى تلك الحالة ، تكون العملية الرمزية قد حققت غايتها ؛ وإذن فنقطة البدء الطبيعية ، في عملية الرمز هي اختلاجة النفس بحالة يراد التعبير عنها ، ثم يتّجه طريق السير من باطن إلى ظاهر ، من حالة وجدانية داخلية ، إلى شيء محسّن في دنيا الأشياء الخارجية"^(١)

فيما يرى البعض أن الرمز هو الكناية القليلة الوسائط، والخفية للوازم أو هي نوع من الكنايات القائمة على نوع من المسافة القريبة وعندها يكون فيها الخفاء نسبياً نوعاً ما، ونحو ذلك وصف العرب للشخص القاسي بقولهم غليظ القلب^(٢)، وعرفه يوسف كرم، وآخرون على أنه التعبير، أو النشاط الإستجابي، بقولهم: " الموضوع، أو التعبير، أو النشاط الإستجابي الذي يحل محل غيره، ويصبح بديلاً ممثلاً عنه"^(٣).

٢-الإشارة في اللغة، والاصطلاح

تأتي الإشارة في اللغة بمعنى الإيماء، أو التلويح باليد^(٤)، وهي مشتقة من الفعل شور، وتستخدم إشارة للمفرد، والإشارات للجمع، وهي عبارة عن رمز، أو علامة، أو حركة تستخدم للدلالة على شيء ما مثل أن يجيب أحدهم عن طريق الإشارة برأسه، وهي تعتد على الحركات، وتشبه إلى حد ما اللغة التي تستخدم عند الصم والبكم^(٥).

(١) جهامي، ودغيم، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ج ١، ص ١٣٧٠.

(٢) قاسم، محمد أحمد وديب، محيي الدين، علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، ط ١، (طرابلس: مؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ص ٢٥٠.

(٣) كرم، يوسف وآخرون، المعجم الفلسفي، ط ١، (القاهرة: مطابع كوستا تسوماس وشركائه، ١٩٦٦م)، ص ٨١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٣٧.

(٥) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، ص ٢٠٢٠.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

والإشارة هنا تعني " أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معاني كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها"^(١)، ولغة الإشارة هي تلك اللغة التي تعتمد على مجموعة من الحركات اليدوية بهدف الوصول للمعنى^(٢)

أما في الاصطلاح فتعرف الإشارة على أنها دلالة عقلية، أو حسية إلى شيء معين بحيث لا يشاركه فيها شيء آخر^(٣)، كما عرفت على أنها "اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمحة الدالة"^(٤)، كما قيل في معناها أنها تعني الاستغناء عن العبارات^(٥).

فيما عرفها البعض بأنها غير المقصود بالمتكلم بقولهم: "غير المقصود للمتكلم. وبكلمة أوضح هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام"^(٦) وعرفت أيضاً بأنها "ما دلّ على معين بإشارة محسوسة إليه. وهذا المعين يكون من الإنسان أو الحيوان أو الأشياء"^(٧).

أو هي التي يكون لها دلالة معينة، وهي قد تكون عبارة عن فعل نقوم به كأن نعطي إشارة إلى أحد الأشخاص بأن يذهب على سبيل المثال وهي أما تكون إشارة طبيعية بحيث تكون العلاقة التي تكون بينها وبين الأشياء التي تدل عليها تخضع لقوانين الطبيعة فنقول على سبيل المثال الدخان هو إشارة للنار؛ أو تكون إشارة عرفية، أو وضعية وتكون العلاقة التي تقوم بينها وبين الأشياء التي تدل عليها تخضع للإرادة^(٨).

وهناك نوعين من الإشارة، الأولى هي الإشارة الحسية، والثانية هي الإشارة الذهنية؛ فالحسية هي التي تقبل أن يقال فيها هنا أو هناك، أو تكون قابلة للامتداد الموجود بين المشير، والمشار إليه؛ بينما الإشارة الذهنية هي تلك الإشارة التي تتمثل بالإشارات لضمائر الغائب

(١) قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ/٩٤٨م)، نقد الشعر، ط١، (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ)، ج١، ص ٥٥-٥٦.

(٢) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص ١٢٤٦.

(٣) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ/١٠٢٦م)، الشفاء، تحقيق: الأب قنواتي ومحمود الخضير وفؤاد الإهواني، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٢م)، ج١، ص ١٠٣.

(٤) الشريشي، لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى (ت: ٦١٩هـ/١٢٢٣م)، شرح مقامات الحريري، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ج٢، ص ١٩١.

(٥) العطار، فريد الدين النيسابوري (ت: ٦٢٧هـ/١٢٣٠م)، تذكرة الأولياء، تحقيق: محمد أديب الجادر، ط١، (دمشق: دار المكنبي، ١٤٣٠هـ)، ٤٧٢.

(٦) الحسيني، محمد، الدليل الفقهي تطبيقات فقهية لمصطلحات علم الأصول، ط١، (دمشق: مركز ابن ادريس الحلبي للدارسات الفقهية، ٢٠٠٧م)، ص ٥١.

(٧) البياع، خالدية محمود، المرشد إلى قواعد اللغة العربية، ط١، (بيروت: دار البحار، ١٩٩٩م)، ج١، ص ٤٣.

(٨) كرم، المعجم الفلسفي، ص ١٥.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

والتي تحتاج إلى الاستدلال العقلي لأثبتاتها كقوله تعالى: {وَعِضَ الْمَاءُ} ^(١) إشارةً إلى انقطاع الأمطار ^(٢).

ثانياً: الرمز، والإشارة في القرآن الكريم

يستدل ويستشهد قسمٌ من الباحثين على نفي الرمزية، ووجودها في القرآن الكريم بالحديث النبوي المشهور "إذا التبست عليكم الفتن كغياهب الليل المدلهم فعليكم بالقرآن" إذ يرون أن القرآن هو عبارة عن كتاب لهداية البشرية كل البشرية باختلاف درجاتهم المعرفية وانه نزل باللغة العربية الظاهرة، والتي لا رمزية فيها، ولا غموض ^(٣).

إلا أن ذلك لا يمكن قبوله بأي شكل من الأشكال؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد صرحت قسمٌ من آياته بشكل لا يقبل الشك أو النفي بوجود الرمز، ووجود الإشارة ويتضح ذلك من قوله تعالى {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا} ^(٤) وقوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} ^(٥)

بينما يذهب العديد من الباحثين ومنهم المستشرق هنري كوربان مع ما يراه الإسماعيلية من أن للقرآن هناك العديد من الظواهر، والرموز، والبواطن، والحقائق، والتي بموجبها يجب ألا يقف المفسر أو المؤول عند حدود هذه المعاناة السطحية وإنما يجب الوصول إلى بواطن هذه المعاني المخبأة للآيات القرآنية مستنديين في ذلك على حديث "أن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن أو سبعين بطناً" ^(٦)

أن التعابير الرمزية في القرآن لا تقف عند حدٍ ، وإنما نجدها متناثرة في أغلب السور وهذا يمكن حمله على نحو إرادة الرمزية، وبمعناها الدقيق ويكفي في ذلك مقصداً أن تكون الحروف المقطعة الموجودة في أوائل السور القرآنية، ومختلف تفاسيرها الرمزية، وعلى ما يراد منها حقيقة عند الله تعالى وعلى الرغم من تضارب الأقوال في تفسيرها؛ فالآيات الكثيرة التي وجدت في القرآن الكريم والتي يتوهم منها التشبيه، أو التجسيم، لم لا تكن رموزاً تدل على قدرة

(١) سورة هود، الآية ٤٤.

(٢) صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٨٤.

(٣) كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٤١.

(٥) سورة مريم، الآية ٢٩.

(٦) كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ١٢.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الله وإرادته وعظمته وسعة تدبيره وجلال استطاعته في التصرف المطلق في مختلف العوالم العلوية أو السفلية المرئية أو غير المرئية^(١).

كما أنَّ هناك العديد من الآيات القرآنية تشير في طياتها إلى رموز عديدة ومنها قوله تعالى: **{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}**^(٢)، إذ ترمز القوة هنا إلى قوة العلم وفهم الشرائع كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب تفسير الميزان^(٣) فقال: "خذ الكتاب بقوة في جانبي العلم والعمل، وبهذا المعنى يتأيد أن يكون المراد بالكتاب التوراة أو هي وسائر كتب الأنبياء فإن الكتاب الذي كان يشتمل على الشريعة يومئذ هو التوراة".

وكذلك رمزية القميص في سورة يوسف (عليه السلام)، فتنوعت رمزية القميص بحسب المناسبة، وبحسب المرحلة العمرية فالقميص الأول للنبي يوسف (عليه السلام) عندما كان صغيراً جاء رمزاً للكذب والافتراء، عندما افتري أخوته على الذنب، بأكله يوسف (عليه السلام) وجاؤوا بقميصه الممزق الذي عليه آثار الدم الكذب، وهذا يستدل به من قوله تعالى: **{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}**^(٤)

أما القميص الثاني فكان رمزاً للبراءة وهذا القميص كان يرتديه نبي الله يوسف (عليه السلام) في مرحلة الشباب عندما كان في بيت العزيز، وهذا القميص الذي مزقته امرأة العزيز، وكان له أثرٌ على مسيرة حياته، إذ أنه كان السبب في براءته من التهمة والافتراء، وهذا يتضح في قوله تعالى: **{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}**^(٥).

والقميص الثالث كان يرمز للبشارة والنبوة وهذا القميص هو الذي أرسله نبي الله يوسف (عليه السلام)، وطلب منهم أن يلقوه على وجه أبيه لكي يرجع إليه بصره؛ وذلك يتبين من قوله تعالى: **{ادْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}**^(٦) وهذا وهذا القميص هو الذي وصفته الروايات وأكدت عليه، والذي جاء في وصفه على أنه قميص نزل من الجنة، وإن رائحته، والتي هي رائحة الجنة تنبعث من مسافات أشارت إليها قسم من

(١) الصغير، محمد حسين علي، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ط ١، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ١٩٩٩م)، ص ١٥٧.

(٢) سورة مريم، الآية ١٢.

(٣) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٤، ص ١٩.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٥) سورة يوسف، الآية ٢٨.

(٦) سورة يوسف، الآية ٩٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

الروايات، ومن اثر هذا القميص هي رجوع البصر لنبي الله يعقوب (عليه السلام)، والبشارة برويته.

أما الإشارة فمن المعلوم أنها في لغة العرب نوعان أيضاً منها أسلوب الإشارة الظاهري والذي يعتبر كدليل لأدراك الأشياء، وهناك الإشارة الخفية، والتي تختبئ خلف النص، والتي تحتاج معرفتها إلى حضور الفهم، والإدراك، قال تعالى في كتابه الكريم: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى}** (١)، ودليل ذلك موجود في القرآن الكريم متجسداً في إشارة السيدة مريم العذراء (عليها السلام): إلى قومها للدلالة على ابنها عيسى: (فأشارت إليه) كما جاء في قوله تعالى **{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}** (٢).

فهي لم تكن تريد الدلالة الظاهرية، في كونه طفل، والطفل لا يتكلم فضلاً عن أن يفسر، كما توهم قومها فقالوا في جوابهم لها كنوع من الاستفهام التعجبي **{كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}** (٣)، وإنما كانت تريد الإشارة إلى الحقيقة الكامنة في عيسى، ألا وهي نبوته ومقدراته العالية والتي انفرد بها بفعل النبوة ومنها الكلام في المهد بدلالة قوله تعالى على لسان عيسى (٤) **{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}** (٥).

ويرى الإسماعيلية أن مريم (عليها السلام) كانت تريد بإشارتها إلى فتح أبواب العلم وذلك بعد أن كانت مغلقة كما وضع ذلك الداعي جعفر الداعي جعفر، (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) إذ قال: "وبيان هذا أنها فتحت أبواب العلم بعد تغلقها وكملت بها صفة الأيمان والمؤمن وانفردت بهداية من أتعبها إلى صاحب الحق، وهو عيسى عم فأشارت إليه قبل أن يشير إليه أحد غيرها

(١) سورة طه، الآية ٥٤، ١٢٨.

(٢) سورة مريم، الآية ٢٩.

(٣) سورة مريم، الآية ٢٩.

(٤) "ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق وقال: يا أمي أبشري فإني عبد الله ومسيحه. فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ما قالوا وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت إليه أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه وقيل: لما أشارت إليه غضبوا... وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك. ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان". الشيخلي، بهجت عبد الواحد، أعراب القرآن الكريم، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٧م)، ج٦، ص ١٢٥.

(٥) سورة مريم، الآية ٣٠-٣٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

فردت الناس بأمر الله إلى شريعة جديدة من دين الله تعالى ناطق أمره ومقامه جديد من عند الله فذلك الخلق الجديد في الباطن"^(١).

ولذلك فإن الإسماعيلية اهتموا بالإشارة الخفية في تأويل النصوص، وابتعدوا عن الإشارة الظاهرة للمعنى.

ثالثاً: الرمز والإشارة وتأويلاتها في الفكر الإسماعيلي الفاطمي:

لقد اتبع الإسماعيلي الرمزية والإشارية في حركتهم، ودعوتهم؛ وذلك منذ أوائل المرحلة السرية أو العلنية للدعوة، فمثلاً نلاحظ في أقوال إخوان الصفا كانوا قد استعملوا نوعاً من الرمزية على مؤسسي الجماعة إذ أطلقوا عليه رمز الطبيب، أو الحكيم^(٢) ويتبين ذلك من قولهم: "اعلم أيها الأخ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أنا قد فرغنا من بيان ماهية الطريق إلى الله تعالى، وكيفية الوصول إلى معرفته وهي الغاية القصوى، فنريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة بيان اعتقاد إخوان الصفاء ومذهب الرّبّانيين، وبيان أن النفس تبقى بعد مفارقتها الجسد التي عبّر عنها بالموت الطبيعي بطريق مقتع لا بطريق البرهان فنقول: اعلم أنه في الزمان السالف ذكروا أنه كان رجل من الحكماء رفيقاً بالطب، دخل إلى مدينة من المدن، فرأى عامة أهلها بهم مرض خفي لا يشعرون بعلتهم، ولا يحسّون بدائهم الذي بهم، ففكر ذلك الحكيم في أمرهم كيف يداويهم ليبرئهم من داءهم ويشفيهم من علتهم التي استمرت بهم"^(٣). وذلك لإضفاء نوعاً من التكم، والسرية على أعضاء الحركة، وكذلك على مقاصد الكلام؛ كما أنه من الواضح أنهم استقوا هذه الرمزية باستخدام لفظ الطبيب، أو الحكيم من كلام الإمام علي (عليه السلام)، والذي قاله واصفاً فيه رسول الله (صلى الله عليه واله)^(٤).

من الرموز المهمة عند الإسماعيلية هي حرف الكاف والنون والتي تُعد من الأسرار الإلهية المهمة التي لا يمكن أن يدركها إلا من كان له اطلاع على علم الحقيقة كما أشار إلى ذلك

(١) الكشف، تحقيق: شتروطمان، ط١، (باريس: دار بيبليون، ٢٠٠٨)، ص ٩٧.

(٢) قويسم، تطور الفكر السياسي الإسماعيلي من خلال فكر القاضي النعمان بن محمد التميمي، ص ٦٢.

(٣) مؤلف مجهول، رسائل إخوان الصفاء وعلان الوفاء، ج ٤، ص ١٤.

(٤) ورد في نهج البلاغة نص وصف فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله قائلاً: "طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وأذان صم، وألسنة بكم. متبع بدوانه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة. لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة. فهم في ذلك كالأنعام السائمة، والصخور القاسية". الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ص ١٥٦.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

إخوان الصفا^(١) " أن الله أبدع^(٢) الكاف واخترع^(٣) النون وان من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي، والعالم السفلي، وهذه رموز إسماعيلية لا يدرك أسرارها إلا كل من اطلع على علم الحقيقة". إذ يرى الإسماعيليون أن العالم خلق بواسطة الكلمة (اللوحوس)، وهي كلمة (كن) فالكاف هو رمز للعقل الكلي، أو القلم؛ أما النون فهي ترمز للنفس الكلية، أو اللوح^(٤)، وبهذا التأويل الرمزي فسر الإسماعيلية قوله تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**^(٥).

ومن الرمزية المهمة عند الإسماعيلية هي رمزية أخذ العهد إذ يرمز أخذ العهد إلى العهد الأول الذي كان قد أخذه العقل الأول من العقل الثاني كما أشار إلى ذلك أخوان الصفا^(٦) "والعهد الذي نأخذه عليك أيها الأخ الفاضل البر الرحيم هو العهد الذي أخذه الواحد المنبعث من الأحد، الفرد الصمد المنزه عن الوالد و الولد، لا اله إلا هو، على ثانيه، المنبعث عنه المتكرر بالثلاثة المفردة وكذلك حتى ينتهي العدد إلى حد التسعة التي هي نهاية الآحاد، وفي هذا العهد الكريم قد القينا اليك معرفة العلم الذي من أجله يستوجب من علمه وعمله به البقاء الدائم، والسعادة في الحياة إلى الأبد في الدنيا والآخرة"، وبذلك يتضح أن اخذ العهد في أصله قديم أول من استعمله، وتطرق إلى ذكرهم أخوان الصفا.

وكان الإسماعيلية يستقون تأويلاتهم الرمزية أحياناً وفق نسق ونظام مماثلي لطيف، فيمزجون فيه بين العوالم المختلفة، سواء أكانت عوالم روحانية، أو طبيعية، أو جسمانية، وواحدة من هذه التأويلات الرمزية هي ما كانت بين ما يُعرف (بالأكسير، أو الكيمياء)^(٧)، إذ جعلوه رمزاً للعقل الأول وفق نسق تحليلي فلسفي متميز فقالوا: " ولما كان الأكسير الأول والكيمياء الأفضل هو أن صفته وجلالته أن يكون منه مبدأ كل كثرة، وهو قليل المثل وفيه أصل الكثرة مكمّنه بالقوة، ولذلك قيل له كيمياء، لان الكمية مكمّنه فيه، ومبدأها منه. وهو

(١) مؤلف مجهول، جامعة الجامعة، تحقيق: عارف تامر، ط٢، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص ٣٧.
(٢) الأبداع هو الأصل الأولي المباشر الناشئ عن الخالق مباشرة ومن دون واسطة، ولفظ الأبداع يشير إلى الأنشاء أو الإيجاد من لا شيء. بافيوني، كارميلا، الأبداع والأمر الإلهي والنبوة في رسائل إخوان الصفا، منشور في كتاب قلاع العقل، ط١، (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٤)، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) الاختراع هو ما يشير إلى الأنشاء أو الإيجاد من خلال وجود الواسطة، والواسطة هو العقل. صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٤٦-٤٧.

(٤) حسين، طائفة الإسماعيلية، ص ١٧٥.

(٥) سورة يس، الآية ٨٢.

(٦) الإمام المستور، احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت:)، الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخالن الوفاء، تحقيق: مصطفى غالب، ط٢، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر)، ص ٢١.

(٧) ينظر السجستاني، رسالة الغريب في معنى الأكسير، تحقيق حيدر محمد عبد الله الكربلائي، نشر ضمن كتابان فلسفيان، ط١، (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٠م)، ص ٩٣.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

أصل السعادة، ومنه يكون الإفادة وتضاعف الأعداد ومبدأ الأحاد، والكيمياء هو دواء شريف وجوهر لطيف قيل انه ينقل الأشياء المعدنية من أدونها إلى أجلها وأعلاها وأكملها، كما قيل انه ينقل الأسرب الذي هو اقل المعادن قيمة وأزراها منظراً وأسمجها مخبراً وأقلها ثمناً وقدرًا، إلى أفضل الغايات وأتم النهايات. وهو الذهب الذي هو أشرف المعادن كلها وأكملها وأعظمها وأفضلها، ومنه ما قيل انه ينقل البلور إلى الياقوت، والياقوت من الأحجار الجوهريّة الصافية الشفافة، ولذلك ضرب به المثل في أصل الخلقة وأول الفطرة، وقيل الأكسير والكيمياء الأفضل^(١).

ومن الإشارات المهمة عند الإسماعيلية هي في تأويل، وبيان معنى الكتاب الناطق، ومن المقصود به وذلك في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} ^(٢)، فقالوا أن هذه الآية إشارة إلى الإمام علي والذي يمثل القرآن الناطق، والذي يكون مترجماً لهذا القرآن الصامت واستندوا في ذلك على رفع الإمام علي (عليه السلام) القرآن الكريم ووضعه على رأسه ومخاطبته له بقوله: " يا كتاب الله انطق" ويكررها ثلاثاً، وقالوا أنها إشارة من الإمام علي (عليه السلام) إلى كونه القرآن الناطق الذي يقابل القرآن الصامت، والذي يمثل القرآن الكريم^(٣).

ومن الإشارات الواردة عندهم هي في قضية النسب الروحاني ما ورد في كتاب تنبيه الغافلين والذي أشار فيها إلى النسب الروحاني في المراتب المختلفة حيث فسر قول الإمام الصادق (عليه السلام) : (المؤمن اخو المؤمن لأبيه وامه أبوهما النور وأمهما الرحمة)، بان الإشارة للنور فهي تعني النبي أما الرحمة فهي إشارة للوصي أما في مرتبة أخرى ففسر قول الرسول (صلى الله عليه واله): (أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين لعن الله من عقى أباه)، فهي إشارة، وجواب ثاني فالنور هنا هو الداعي والأم الرحمة هنا فهي إشارة للمأذون وهذا يدل على أن الإشارة تتغير بحسب مرتبتها في درجات الدعوة^(٤).

أما تأويل البيوت في قوله تعالى: {وَأَوْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} ^(٥) فهي إشارة إلى بيت الناطق في عصره، ومن بعده الإمام "ولولا انه سبحانه عني بالبيت غير المبني من الطين

(١) الإمام المستور، الرسالة الجامعة، ص ٢٠-٢١

(٢) سورة البقرة، الآية ٢.

(٣) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ٧٤-٧٥.

(٤) الحامدي، (، تنبيه الغافلين، تحقيق: عمرو بن معد يكرب الهمداني، ط١، (اليمن: الدار المحمدية الهمدانية،

٢٠١٣م)، ص ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

الفصل الثالث: التأويل الباطني، ومدلولاته في الفكر الإسماعيلي الفاطمي

والحجارة، وكنى عن سواه بهذه الكناية والإشارة، ولم لا يكون هذا البيت بيت الحي الناطق الذي أغاث به سبحانه الخلائق، وهو رسول الله (ص) في عصره بادياً، وكل أمام في زمانه ثانياً، بيوت الله المعمورة بالحكم"^(١).

ومن المناسب الالتفات إلى نقطة مهمة تتبين من خلال المتابعة والتي تتلخص في أن التأويلات، ورموزها، أو إشاراتها عند الإسماعيلية قد تتبدل، أو تتغير بحسب درجات، أو مراتب الشيء المؤول، فمثلاً رمزية الأب وألام تختلف في المراتب والدرجات، ففي العالم الروحاني يرمز تأويل الأب، وألام إلى الشمس، والقمر؛ أما في ولادة الدنيا فيرمزان إلى الذكر والأنثى من الأبوان؛ أما في حال خروجه من عالم الدنيا إلى الآخرة فيرمزان الأبوان إلى المعلم الحميد، والأستاذ الرشيد الذي تعلم أصول دينه على أيديهم "فأبواه في البداية الشمس والقمر، وأبواه في ولادة الدنيا الذكر والأنثى، وأبواه عند خروجه إلى دار الآخرة معلم حميد وأستاذ رشيد، يعمل في شرائع نبوته، وصنائع فلسفته، فبهذه الولادة يكون التمام، والبلوغ إلى درجة الكمال"^(٢).

(١) الداعي المؤيد، أبو نصر هبة الله بن أبي عمران بن موسى بن داود (ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م)، المجالس المؤيدية المائة الأولى، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٥م)، ص ٢٠٣.

(٢) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ١٤٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

❖ المبحث الأول: نماذج من تأويل القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام):

أولاً: توطئة

ثانياً: نماذج من تأويل الحروف المقطعة في القرآن الكريم:

ثالثاً: نماذج من تأويل بعض النصوص القرآنية:

رابعاً: نماذج من تأويل أحاديث السنة النبوية، وروايات أهل البيت

١- نماذج تأويلية للأحاديث النبوية الشريفة:

٢- نماذج من تأويل أحاديث أهل البيت عليهم السلام

❖ المبحث الثاني: نماذج من تأويل التكاليف العبادية الشرعية

أولاً: توطئة

ثانياً: تأويل الطهارة

ثالثاً: تأويل الصلاة

رابعاً: تأويل الزكاة

خامساً: تأويل الصوم

سادساً: تأويل الحج

سابعاً: تأويل الجهاد

❖ المبحث الثالث: المقاصد التأويلية الأخرى لدى الفرقة الإسماعيلية الفاطمية

أولاً: التأويل في الأصول

١- التوحيد

٢- النبوة:

٣- الوصاية:

٤- الإمامة:

٥- روح القدس:

٦- الوحي

ثانيا: التأويلات العامة

١- مفهوم إبليس في التأويل:

٢- البحر، والسفينة:

٤- تأويل الذهب، والفضة:

٥- حد العلم:

٦- تأويل القلادة، والطوق:

٧- تأويل التراب:

٨- مفهوم القلة، والكثرة:

٩- تأويل الطوفان:

١٠- تأويل الملكان: مبشر وبشير؛ ومنكر ونكير:

١١- تأويل الأيام النحسات، والأيام المشرفات:

١٢- تأويل اللحم

١٣- تأويل أم داود:

١٤- رمز الملح:

١٥- تأويل الجنة والنار:

١٦- تأويل البعث، والقيامة:

المبحث الأول

نماذج من تأويل القرآن والسنة وروايات أهل البيت (عليهم السلام)

أولاً: توطئة

يرتبط تأويل القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة ارتباطاً وثيقاً بأصول العقيدة الإسماعيلية؛ وذلك لأن مسألة التأويل مرتبطة ارتباطاً مباشراً بأهم الأصول عندهم ألا وهي الولاية، أو الإمامة، إذ يعد التأويل من مختصات الإمام فهو صاحب التأويل.

ويميز الإسماعيليون بين نوعين من الأئمة كما أشار إلى ذلك الداعي حميد الدين الكرمانى (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م) في ضوء النصوص القرآنية، وهم الأئمة الهادين الأبرار المحمودون، والذين يقومون بهداية الناس إلى الجنة، وهم من نسل الإمام علي (عليه السلام)، وعندهم معرفة علم التأويل، ويقومون بهداية الناس إلى معرفته كما في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} ^(١).

أما النوع الثاني فهم أئمة الضلال، وهم الأضداد من الكفار، والذين يدعون للنار، ويستخدمون ظاهر الشريعة فقط؛ وذلك لأجل الحصول على الرئاسة الدنيوية من دون أن تكون عندهم معرفة بعلم التأويل، والذي يكون هو السبب في دخول الجنة إذ جعل الإسماعيلية التأويل سبباً لدخول الجنة ^(٢).

أما التفسير عند الإسماعيلية فانهم لم يعتنوا به كثيراً، لأنهم اعتبروه بمثابة الظاهر، أو المعنى اللغوي والذي هو عبارة عن إشارة ودليل للمعنى الحقيقي، ألا وهو التأويل، وقد يذكر علماء، ودعاة الإسماعيلية تفسير بعض النصوص القرآنية في معرض حديثهم عن التأويل؛ وذلك نقلاً عن قسم من التفاسير القرآنية، أو التفاسير اللغوية، مثل طريقة الداعية النعمان المغربي، أو المؤيد الشيرازي، أو الداعية حميد الدين الكرمانى، كما يتوضح ذلك من خلال ما نقله عند تأويله لقوله تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

^(١) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

^(٢) الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار، ص ١٠٤.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الْمَنْفُوشِ^(١)، فيقول " قالوا في التفسير: ان يوم القيامة تصير السماء كهيئة عكر الزيت، والرصاص المذاب، وان الجبال تصير في هيئة الصوف المصبوغ، المندوف"^(٢).

ثم يشرع الداعي الكرمانى، في تأويل هذا النص عن طريق ربطه بالأوضاع التي كانت في زمن الخليفة الحاكم بالله الفاطمي، فيشير بحسب الآية بأنه لابد من وقوع فترة تتبدل فيها الأحوال، إذ ستكون السماء وما يحصل فيها كالتطابقها على الإمام، وعلى ظاهر الشريعة، وما فيها من أحكام مثل عكر الزيت، أما الجبال فهي إشارة إلى ما سيقع على الدعوة في جزائرها، ويكون مصيرها الانحلال في نظامها، وترتيبها حتى تضطرب فلا تكون مثل أول نظامها " فالسما على الإمام، و ظاهر الشريعة، وأحكامها، ومصيره كعكر الزيت، استحالتة عن نظامه الأول بوقوع فترة وضعت، والجبال على أركان الدعوات في الجزائر ومصيرها كالعن انحلال نظامها حتى تتناهى في الاضطراب إلى حد لا تبقى على رسومها الأول، وحالنا التي في الدعوة، وأهلها في الجزائر قد صار أمرها في الرخاوة، وانحلال النظام بكون المؤتمنين عليها عوناً في تخريبها، أما بقلّة العلم والورع، أو بفرط الشره والطمع"^(٣).

ويلاحظ أن هذا التأويل هو نوع من أنواع التأويل المرحلي الذي كان يمارسه قسم من علماء، ودعاة الإسماعيلية، والذي يتلخص في تأويل قسم من النصوص القرآنية بما يتلاءم، ويتمشى مع أوضاع الدعوة، وأحوال الخلفاء، والأئمة الفاطميين.

وقد قسم الإسماعيلية القرآن الكريم إلى سبعة أسباع على ترتيب مصحف الإمام عليّ (عليه السلام)، كما ورد في مخطوط صندوق اللآلئ من أقوال الموالى^(٤) وكان كل سبع يوجد فيه عدد من السور وعلى النحو التالي:

١-السبع الأول ويتضمن سورة الفاتحة، والبقرة، ومريم، وحم الزخرف، وحم الدخان، حم الجاثية، وحم الأحقاف، وسورة محمد، والفتح، وسورة لا اقسام بهذا البلد، والشمس، والليل، والضحى، والم نشرح، والتين والزيتون، واقرأ.

(١) سورة القارعة، الآية ٤-٥.

(٢) رسالة المباسم والبشارات، نشرت ضمن كتاب مجموعة رسائل الكرمانى، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣م)، ص ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٤) مؤلف مجهول، نسخة خطية مصورة من مكتبة التراث الإسماعيلي، ص ٢٣.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

٢- السبع الثاني يتضمن سورة آل عمران، والصفات، وسورة ص، والزمير، وحم السجدة، وحم عسق، والحجرات، وسورة ق، والذاريات، والطور، وسورة عم، والنازعات، وعيس، وانا أنزلناه، ولم يكن.

٣- السبع الثالث ويشمل سورة النساء، والروم، والسجدة، والأحزاب، والملائكة، وسورة يس، والنجم، واقتربت، والحاقة، وسأل سائل، ونوح، والجن، وسبح اسم ربك، والغاشية.

٤- السبع الرابع يتضمن سورة المائدة، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والرحمن، والواقعة، والطلاق، والتحريم، وتبارك، والقلم، وهل أتى، والمرسلات، وإذا زلزلت، والعاديات.

٥- السبع الخامس ويشمل الأعراف، وإبراهيم، والجحر، والنحل، وبنو إسرائيل، والكهف، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والمزمل، والشمس، وأرأيت، والكوثر، وقل يا أيها الكافرون

٦- السبع السادس وفيه سورة الأنعام، وطه، والأنبياء، والحج، والممتحنة، والقارعة، والهاكم، والعصر، والهمزة، والم ترى كيف، والإيلاف.

٧- السبع السابع ويشمل سورة الأنفال، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، والمدثر، ولا اقسم بيوم القيامة، وإذا السماء انفطرت، والمطففين، وإذا السماء، وإذا السماء انشقت، والبروج، والسماء والطارق، والإخلاص، والفلق، والناس

ثانياً: نماذج من تأويل الحروف المقطعة في القرآن الكريم:

إذ تذهب الفرقة الإسماعيلية إلى أن الحروف المقطعة الموجودة في أوائل قسم من السور القرآنية إنما تدل على معان باطنية؛ فمثلاً تدل الحروف المقطعة (الم) الواردة في ستة مواضع في القرآن كقوله تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿الْم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿الْم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿الْم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

(١) سورة البقرة، الآية ١-٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١-٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ١-٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الحكيم^(١)، وقوله تعالى: {الم* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢)}، فحرف الألف يمثل الناطق، أما اللام فهو يشير إلى الوصي، أما حرف الميم فيقصد منه هو الإمام وهذا ما أكدته ابن حوشب، منصور اليمن (ت ٣٠٢هـ / ٩١٤م) ^(٣) بقوله: " وفي القرآن احرف من حروف المعجم في أوائل السور ليس لها ظاهر معناها كما في أول سورة البقرة، وشبهها فالألف فيها تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام هذا فيما كان أوله الم".

أما في تأويل الحروف (أ، ل، م، ص)، الواردة في بداية سورة الأعراف بقوله تعالى: {المص* كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذَرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ^(٤)}، فهي تأول كذلك بنفس الطريقة فمثلا الحروف (أل) والتي تدل على الناطق، والوصي، أما (الميم) هنا فهي تشير إلى الإمام المتم، أما حرف (الصاد) فهو يدل على حجة الإمام في مماثلة الحروف المقطعة "وأول سورة الأعراف (المص) فالألف تدل على الناطق، واللام على الوصي، والميم على الإمام المتم، والصاد على حجة الإمام"^(٥)

ولم يختلف تأويلهم في باقي السور القرآنية التي جاءت بدايتها بالأحرف المقطعة، إذ اتبعوا نفس النسق التأويلي فالألف تمثل الناطق، أما اللام فهي تشير للوصي، والراء يماثل الإمام المتم وذلك عند تأويلهم الحروف (الر)، والتي جاءت في قوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ^(٦)، وقوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ^(٧)، وغيرها من الآيات، وهذا يتبين من كلام الداعي ابن حوشب (ت ٣٠٢هـ / ٩١٤م) ^(٨) بقوله: "وأول سورة يونس (الر) فالألف واللام يدلان على الناطق، والوصي، والراء تدل على الإمام المتم، وكذلك ما كان أوله الراء"

ولابد من الإشارة إلى مسألة مهمة قد توضححت من خلال البحث، والدراسة، والتقصي، إذ نلاحظ أن الحروف المقطعة التي جاءت في بداية السور قد جاءت على نحوين مختلفين، وليس

(١) سورة الروم، الآية ١-٢.

(٢) سورة لقمان، الآية ١-٢.

(٣) سورة السجدة، الآية ١-٢.

(٤) الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي، الرشد والهداية، نشر: محمد كامل حسين، (لندن: بلا، ديت)، ص ١.

(٥) الآية ١-٢.

(٦) ابن حوشب، الرشد والهداية، ص ١.

(٧) سورة يونس، الآية ١.

(٨) سورة هود، الآية ١.

(٩) سورة يوسف، الآية ١.

(١٠) ابن حوشب، الرشد والهداية، ص ١.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

بنحو واحد، فجاءت مرة كأية منفصلة منجمة كما هو الحال في اغلب الحروف المقطعة؛ أما الشكل الثاني فجاءت متصلة مع الآية، وليس بشكل منفصل كما في الحروف (الر) الواردة في سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر؛ وكذلك في الحروف (ص، ق، طس، ن)، في كلاً من سورة ص، وسورة ق، وسورة النمل، والقلم، ومن البديهي أن هذه المسألة في كتابة الحروف المقطعة على نحوين منفصل ومنجم، ومتصل مع بقية الآية يحمل في طياته معنى، ودلالة لكن لم نجد أي إشارة في كلام العلماء أو المفسرين، أو الباحثين في كل الفرق الإسلامية، بما فيهم الإسماعيلية إلى دلالات هذه المسألة المهمة.

ألا أننا وجدنا إشارة ضمن أحد أدعية الإمام علي السجاد (عليه السلام) وهو دعاءه أبان عيد الفطر في خصوص هذه الحروف إذ أشار فيها إلى أن الله تعالى قد قرن بين رسوله (صلى الله عليه واله)، وبين القرآن الكريم إذ أن كل قسم ورد مقرون بالقرآن الكريم هو اسم من أسماء الرسول (صلى الله عليه واله)، والذي اختصه الله بتبليغ وحيه، ورسالته فقال (عليه السلام): "فلما بلغت بي تناهي الرحمة منك مننت علي بمن هديتني به من الضلالة ، واستنقذتني به من الهلكة واستخلصتني به من الحيرة وفككتني به من الجهالة ، وهو حبيبك ونبيك محمد صلى الله عليه واله أزلف خلقتك عندك ، وأكرمهم منزلة لديك فشهدت معه بالوحدانية ، وأفررت لك بالربوبية ، وله بالرسالة ، وأوجبت له علي الطاعة ، فأطعته كما أمرت ، وصدقته فيما حتمت وخصصته بالكتاب المنزل عليه ، والسبع المثاني الموحاة إليه ، وأسميته القرآن ، وأكنيته الفرقان العظيم ، فقلت جل اسمك " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " وقلت جل قولك له حين اختصاصه بما سميته من الأسماء : " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " وقلت عز قولك : " يس والقرآن الحكيم " وقلت تقدست أسماؤك ، " ص والقرآن ذي الذكر " وقلت عظمت آلاؤك " ق والقرآن المجيد " فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به ، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو اسمه ؛ وذلك شرف شرفته به ، وفضل بعثته إليه ، تعجز الألسن والأفهام عن وصف مرادك به ، عن علم ثنائك عليه ، فقلت عز جلالك في تأكيد الكتاب وقبول ما جاء به : " هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق " وقلت عززت وجللت : " ما فرطنا في الكتاب من شيء " وقلت تباركت وتعاليت في عامة ابتدائه : " الر تلك آيات الكتاب الحكيم " و " الر كتاب أحكمت آياته " و " الر كتاب أنزلناه " و " الر تلك آيات الكتاب المبين " و " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " وفي أمثالها من سور الطواسين والحواميم في كل ذلك بينت بالكتاب مع القسم الذي هو اسم من اختصاصه لوحيك ، واستودعته سر غيبك وأوضح لنا منه شروط فرائضك ، وأبان عن

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

واضح سنتك ، وأفصح لنا عن الحلال والحرام ، وأنار لنا مدلهما الظلام ، وجنبنا ركوب الآثام ، وألزمنا الطاعة ، ووعدنا من بعدها الشفاعة ، فكنت ممن أطاع أمره وأجاب دعوته ، واستمسك بحبله "(١).

وبذلك تكون القاعدة التأويلية في ضوء هذا الحديث أن كل قسم ورد في القرآن الكريم مقرون مع كتاب الله تعالى هو اسم وإشارة إلى النبي محمد (صلى الله عليه واله)، إذ أصبح اسمه قسم لله تعالى تشريفاً لمكانته، ومنزلته كما نوه إلى ذلك الحديث.

ثالثاً: نماذج من تأويل بعض النصوص القرآنية:

لقد قام علماء، وفلاسفة الإسماعيلية بتأويل العديد من النصوص القرآنية فمثلاً من قصة النبي يوسف (عليه السلام)، جاء في تأويل قوله تعالى {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (٢): فجاء في تأويلها أن الشمس هي الإمام، أما القمر فهو الباب والحجة، أما الكواكب فهي إشارة إلى الاثني عشر نقيباً "يعني بالشمس الإمام، القمر حجته وبابه، والكواكب تمام الاثني عشر نقيباً" (٣)، وبنفس السياق كان تأويل قوله تعالى: {إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (٤).

إذ كان تأويل العصبية بمعنى الاثني عشر نقيباً، والذين داخلهم الحسد لتقديم أحداً عليهم، ورأوا أن هذا الأمر في تفضيل أحد عليهم هو من العجز في الرأي، ألا انه بعد ما انعم عليهم الله، وتم الأمر في امر وقضية النبي يوسف (عليه السلام)، فندموا، وأعلنوا توبتهم على ما فعلوا، وقالوا "يعنون الاثني عشر نقيباً يختار علينا رجلاً منا فداخلهم في ذلك عجز الرأي في يوسف، وظهر منهم طول الحسد له، لما انعم الله عليه، فتم امر الله في يوسف، وكان عاقبة أمرهم الندامة، والتوبة اليه" (٥).

أما في تأويل رؤيا ملك مصر في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ

(١) الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص ٣٠٩-٣١١.

(٢) سورة يوسف، الآية ٤.

(٣) العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، ص ٣٥.

(٤) سورة يوسف، الآية ٨.

(٥) العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، ص ٣٥.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ^(١)، إذ ربط الإسماعيلية بين الرؤيا التي يراها الإنسان في المنام، وبين الأعمال التي يقوم بها الناس في الحقيقة، فكانوا مما يرون انه مثلما هناك الكثير من أعمال الإنسان لا تتحقق اذا كانت هذه الأعمال على نحو الظاهر من دون الباطن؛ كذلك حال الرؤى كثير منها لا يحصل في الواقع، إذ تكون مجرد سراب، وهذا الرأي هو عبارة عن مقدمة لتوضيح موقفهم من الرؤى، والأحلام وتأويلها، فلا يخضع الكثير منها للتأويل لأن أغلبها عبارة عن مجرد سراب لا اثر له؛ ثم يكمل الداعي جعفر تأويله فيقول: أما البقرات السبع السمان فهي عبارة عن أسباب الله تعالى، والتي تكون بين الله، وبين خلقه؛ والبقرات السبع العجاف فهي تمثل النطقاء السبعة، والذين يكونون في حالة اضطرار وفاقاة لما يأتيهم من الله تعالى عن طريق أسبابه السبعة؛ أما السنايل الخضراء فهي أسباب الله تعالى التي تكون بين أوصيائه، وبينه، أما السنايل اليابسة فهي تشير إلى الأوصياء المنتظرون لما يأتيهم من الله تعالى عن طريق أسبابه السبعة " قال العالم: أما الرؤيا في المنام لا يحصل مما يرى شيئاً ولو كثر، وقال الملك اني أرى في رواية العامة سبعة أشياء دائرة على سبع، فأما البقرات السمان فهي أسباب الله التي بينه وبين خلقه، وأما السبع العجاف فهم النطقاء السبعة، المضطرون بالفاقاة إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي أسبابه السبعة، والسبعة السنايلات الخضراء أسباب بين الله وبين الأوصياء، والسبع اليابسات هم الأوصياء المضطرون إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي هذه الأسباب السبعة، فتبارك الله رب العالمين"^(٢).

وفي تأويل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا^(٣)، يرون أن المقصود بالمساجد هنا هم النطقاء السبعة، والأئمة (صلوات الله عليهم)، والذين لا يجوز لأحد مخالفتهم، ويجب على الجميع إطاعتهم، واتباعهم، ولا يجوز لأحد أن يدعي مقامهم " المساجد هم الأئمة، والنطقاء صلوات الله عليهم الذين لا يجوز لأحد أن يدعي مقامهم فأمر الله بإجابة دعوتهم، وقبول أمرهم، والتمسك بطاعتهم، وان لا يدعي مع الله ضد، ولا ند، لأنه لا يرضى بذلك ولا يأمر به"^(٤).

(١) سورة يوسف، الآية ٤٣.

(٢) العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، ص ٣٥.

(٣) سورة الجن، الآية ١٨.

(٤) الداعي جعفر، الكشف، ص ٥٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

أما في تأويل قوله تعالى {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} ^(١)، فإن البحر يؤول بالناطق، ولذلك يروون أن البحار هي سبعة على عدد النطقاء السبعة، أما معنى تفجير البحار فهو إشارة إلى ظهور علوم النطقاء السبعة، والأشياء المستورة في كتبهم، وشرائعهم، كما انهم يعتقدون أن البحر السابع، أو الأخير هو أوسع البحار وهو يكون بمثابة المحيط في إشارة إلى الناطق السابع، إذ تنصب فيه كل علوم، ومعارف النطقاء الستة الذين سبقوه، أي انه يكون مجمع العلوم، والأسرار "اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه، أن المقصود من تأويل تفجير البحار هو ظهور علوم الرؤساء السبعة، وما كان مستوراً من شرائعهم، ونواميسهم، ولذلك قيل أن البحار سبعة، وان البحر السابع هو المحيط، وهو مثل الخاتم للرؤساء، وان علم الستة ينصب إلى السابع" ^(٢).

فيما ذهبوا في تأويل قوله تعالى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} ^(٣)، أن مقدار حساب الدنيا هو بحدود سبعة آلاف سنة، وان اليوم الذي أشار اليه النص القرآني في حسب التأويل الإسماعيلي هو الإشارة إلى المدة التي يقوم بها الناطق السادس، والتي يبلغ مقدارها ألف سنة " وأما قوله: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}، فهو مدة قيام السادس، ولذلك قال: عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، بعثت في آخرها ألفاً" ^(٤).

وفي قوله تعالى: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} ^(٥)، جاء في تأويلها أن السائق يمثل هنا عمل الإنسان، أما الشهيد فهو يمثل رئيس الزمان، سواء كان ناطق أو إمام، والذين امر الله بطاعتهم إذ يكونون هم الشهود عليها، وهم الرقباء عليها بما عملت، أو كسبت من الخير، والشر " فالسائق عملها، والشهيد رئيس زمانها، الذي أمرت بطاعته، فهو الشاهد عليها ولها، وهو رقيبها المعرف لها بما كسبت من خير وشر" ^(٦).

ويذهب الإسماعيلية إلى تأويل الصراط في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ^(٧)، إلى انه يمثل الإمام وهذا ما أشار اليه قاضي الدولة الفاطمية النعمان المغربي (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، مشيراً إلى أن الإمام يوصل الإنسان إلى غايته ومبتغاه، كما يوصل الطريق

(١) سورة الانفطار، الآية ٣.

(٢) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ١٢٠.

(٣) سورة السجدة، الآية ٥.

(٤) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص، ١٢٤-١٢٥.

(٥) سورة ق، الآية ٢١.

(٦) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ١٢٦.

(٧) سورة الفاتحة، الآية ٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

المستقيم الإنسان إلى وجهته " الصراط في اللغة الطريق، فمثل الإمام ههنا بالطريق لأن من لزم الطريق لن يضل، وكذلك، من لزم الإمام لن يضل، والمراد بالطريق ههنا الإمام لا الطريق المسلوك في الأرض"(١).

ومن التأويلات التي ذكرها الداعية حميد الدين الكرمانى لقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يُغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، إذ يرى أن المخاطب في النص هو الرسول (صلى الله عليه واله)، ألا أن المعنى الذي يراد منه هو الإشارة إلى الأئمة المنحدرين من الأساس علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيؤول الداعية الكرمانى النص بأن على الناس أن ينتظروا من بين الأئمة، والذين هم بمثابة أيام الله أن يأتىكم أحد الأئمة منهم، تكون قسم من أفعاله مظلمة فتحتار منها العقول، وإن هذه الأفعال هي بمثابة نوع من أنواع العذاب، والاختبار لجماعة الدعوة، ولكن بعد مرور هذه الفترة سوف تكشف الظلام، أو العذاب، ويعود الحق إلى بيت النبوة ولذلك يقول الله فارتقب ظهور هذا الإمام" مخاطبة لمحمد صلى الله عليه واله، والمعنى للتابعين له من جهة أساسه، وأئمة دوره عليهم السلام. أي انتظروا من الأئمة التي هي أيام الله تعالى، الإمام الذي يكون من أفعاله أفعال مظلمة تحير العقول، وتلك الأفعال عذاب وامتحان لأهل الدعوة عظيم. ففي زمانه، عقب الفترة ينجز وعده، وتكشف الظلمة، ويعود الحق بكليته إلى بيت النبوة؛ وذلك قوله فارتقب"(٣).

ثم يتابع الكرمانى كلامه فيربط بين ما جاء في تأويلها من انتظار الإمام الذي أفعاله تحير العقول، والألباب وما حصل في عهده من اضطراب، ومسائل خلافية، وحيرة إذ اعتبرها بمثابة العذاب، وهو كما قلنا نوع من أنواع تأويل المرحلة، فحاول معالجة وتهئية أوضاع الدعوة، والدعاة، واختلاف أفعال الخليفة الحاكم بما ورد في النص من خلال تأويله وربطه بزمان الحاكم، واعتبره الإمام الذي بشر الله بمجيئه " فأى إمام ظهر من أفعاله ما ظهر من الإمام عليه السلام من الأفعال التي قد حيرت العقول، وأظلمت المقاصد، في البحث عن الغرض فيها! واي دخان أعظم مما عم المؤمنين! فهل ذلك ألا امتحان به يهلك الفاسق، ويثبت عليه

(١) أساس التأويل، ص ٦١-٦٢.

(٢) سورة الدخان، الآية ١٠.

(٣) رسالة المباسم والبشارات، نشرت ضمن كتاب مجموعة رسائل الكرمانى، ص ١٢٣.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الصادق؟ فوجود ما قيل فيه، وقيامه مقام الصدق، مع سابق الشواهد وتوافقها من أمارات الحق^(١).

وفي تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، بعد أن يستعرض المؤيد الشيرازي التفاسير اللغوية، والمذهبية، ويبين أسباب خطأهم ومآخذهم على تفاسيرهم يشرع في تأويل الآية فيقول في ذلك أن الرؤية تأتي على قسمين رؤيا محسوسة تتبين بالبصر، ورؤيا عقلية غير محسوسة تتبين بالعقل، ويرى أن الله تعالى منزله عن الإدراك بكلا الرؤيتين، وإن نبي الله موسى (عليه السلام) مدركاً لذلك؛ ولذا فإن هذا يثبت أن سؤال النبي كان على شيء محكوم عليه بجواز الرؤيا، والا لما كان سأل الرؤيا، ويرى المؤيد الشيرازي أن هذه الرؤيا التي طلبها النبي موسى (عليه السلام) بالرغم من جوازها ألا أنها تعد رتبة ليست له، وإنما لغيره ولذلك كان جواب هو لن تراني " أن الرؤية تنقسم قسمين: أحدهما محسوس، والآخر معقول، وهو رؤية العقل، وقد سقنا في كثير من أقوالنا أن هذين القسمين لا مسرح لهما ألا فيما يجمعهما وأياه جنسية، فالبصر لا يتعدى المبصرات الجسمية، التي هي من جنسها، وكالعقل لا يدرك ألا المدركات العقلية، التي هي متجوهرة بجوهره، وإن مبدع القسمين سبحانه وتعالى عن أن يكون مدركاً لواحد منهما، وإذا كان موسى عليه السلام معلوماً له ذلك على جلالة قدره، فيمتنع أن يكون سؤاله ألا في امر جائز غير ممتنع، وقد ابنا أن هذه الرتبة التي سأل فيها هي في حكم الجواز، ألا أن الغلط في كونها رتبة غيره، فقليل له في الجواب لن تراني^(٣).

ثم يطرح مثلاً ليوصل فكرته التأويلية فيشير إلى أن الكفار كثيراً منهم رأوا الرسول (صلى الله عليه واله)، ولكن الله منع عنهم الرؤيا الحقيقية، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٤).

وهذا معناه أن رؤية الحقيقة المحمدية هي ممتنعة عن الكفار، بدليل انهم رأوا شكل الرسول (صلى الله عليه واله)، ألا أن حقيقته قد حجبها الله عنهم " ونحن نقرب القول في ذلك

(١) نفس المصدر، ص ١٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية المنة الثالثة، ص ١٨١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٩٨.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

إيضالاً إلى الأفهام فنقول: أن النبي (صلى الله عليه واله)، قال طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رأى من رآني. ولو كان هذا الكلام مطرداً على ظاهر اللفظ المعتاد، لكان الكفار، والجاحدون كلهم قد رأوه، ولكن الله تعالى قد أبى ذلك لهم^(١).

ويرى أن الجبل في النص القرآني تأويله هو العلم الذي يحمله نبي الله موسى، وهو متماسك ومعتمد عليه، وليس له قدرة على الثبات اذا بلغت رتبة العلم وشعاعه مبلغاً " وإقامة الدليل على أن الجبل الذي هو العلم، والطود الأشم الذي هو حامل له، وهو متماسك به لا قدرة له على الثبات اذا بلغ شعاعه له فضلاً وعنده قال: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} ^(٢)، يعني العلم الذي كان عليه اعتماده، ومنه استمداده، وهو عصمته وكهفه جعله دكاً وخر موسى صعقاً وعلم انه اذا ضعفت قوى من هو حامله وممسكه وكهفه والمنعم عليه عن احتمال ذلك الشعاع اللامع، والنور الساطع، فإنه اضعف واعجز واقصر، فلاذ حينئذ بالإنابة والتوبة حين صحا من السكره^(٣).

أما في تأويل قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} ^(٤)، أن تأويل هذه الآية يتلخص في أن الذنب الأول هو في إشارة إلى الخطيئة الأولى في دور النبي ادم (عليه السلام)، والتي قصها الله على النبي، وقد غفرها له؛ أما الذنب المتأخر في عصر ناطق زماننا النبي محمد (صلى الله عليه واله)، فهو ما أشار اليه القرآن الكريم في كشف بعض الأسرار إلى بعض من زوجاته، وهو سر اعلمه الله به ومنعه من كشفه "فكان الذنب المتقدم ما تقدم به النص في ما جرى في ذلك العصر المتقدم الذي ضرب الله مثلاً لعصر نبينا محمد، والذنب المتأخر ما ذكره التنزيل من أسرار إلى بعض أزواجه سراً اعلمه به، واطلعه عليه، وأوقفه على علمه، وقد حضر عليه المفاتيح به ونهاه أن يطلع عليه أحدا ^(٥).

وينبغي الالتفات إلى نقطة مهمة هنا تتضح من خلال النص إذ أن الناطق في كل عصر هو يمثل الناطق الأول، فعندما يريدون أن يشيروا إلى الرسول (صلى الله عليه واله)، يقولون ادم عصرنا في إشارة إلى عملية تكرار الدور.

(١) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية المئة الثالثة، ص ١٨٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية المئة الثالثة، ص ١٨٦.

(٤) سورة الفتح، الآية ١-٣.

(٥) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ص ٤٥.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

كما أن هناك امر آخر ينبغي الالتفات له أن النبي محمد (صلى الله عليه واله)، في عالم المثال يمثل العقل الأول، والذي يطلق عليه المبدع، أو القلم، أو رمز الكاف، وهو أول من اقر الله بالعبودية^(١)، أما ادم فيمثل الهيولى، أو المنبعث الثالث، وهو الذي تردد في العبودية فتقهقرت درجته من الدرجة السابعة إلى الدرجة العاشرة^(٢)، وهنا لابد لنا من السؤال على النحو التالي:

هل أن العقل الأول ممثل القلم، والكاف هو يقصد به النبي محمد (صلى الله عليه واله) ناطق عصرنا كما يقول الإسماعيلية؟ أم أن المقصود الحقيقي هو محمد الخاتم سابع النقاء، وما يسموه الإمام المهدي، أو الأنسان الكامل، والذي تنتهي الأدوار على يديه، ويبدو أن الرأي الأخير هو الأقرب للصواب فيما يعتقد الإسماعيلية من أن الناطق السابع، أو الإمام الخاتم هو ممثل العقل الأول.

ولعل ما يرجح رأينا هذا ما رواه من حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لرجل: " لعلك ممن يذكر مذهب الهفتية قال: وما الهفتية يا ابن رسول الله؟ قال: ادم بعد ادم كما تقدم في الأدوار الحالية ستة، لم تكن لمؤمن فيها دولة، وعلى يد سابعهم يذيل الله المؤمنين، ويذبح إبليس الملعون فيها، وجنوده من الكافرين، والمنافقين، ويزول النفاق، والتمويه"^(٣)

وفي تأول قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} ^(٤)، ويشير تأويل الآية إلى المقصودين بهذا النص هم الذين قاموا بتنصيب خليفة وقاموا بجعله بمثابة القبلة في طاعتهم له؛ وذلك ضداً بالوصي والأئمة، ولأجل أن يزرعوا بذور التفريق بين المؤمنين، ومن أمثالهم المغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وغيرهم. "يعني الذين نصبوا برأيهم خليفة جعلوه قبلة طاعتهم لله ضراراً بالأئمة، والوصي، وتفريقاً بين المؤمنين الذين عرفوا الحق فاتبعوه، وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل، مثل خالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأقرانهما"^(٥).

(١) الداعي ابن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، صص ٢٨-٢٩.

(٢) القاضي النعمان، تأويل الدعائم، ص ٣٠؛ الحامدي، كنز الولد، ص ٨٧؛ الداعي ابن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، صص ٢٨-٢٩.

(٣) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ص ٥٢.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٥) السجستاني، أبو يعقوب أسحاق (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م)، الافتخار، تحقيق: إسماعيل قربان حسين بوناوالا، ط١، (بيروت: دار الغرب، ٢٠٠٠م)، ص ١٥٦-١٥٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

وفي تأويل قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١)، أن الله سبحانه وتعالى أراد في قوله لإبليس لماذا لا تقوم بفعل السجود لهذا المخلوق البشري الذي قد خلقته بيدي، إذ أن معنى اليدين هنا هما العقل الكلي، والنفس الكلية، ولأن الله رمز لهما بيديه، ولأنهما أفضل المخلوقات جاء تشريف الإنسان على سائر المخلوقات "فيداه سبحانه في ضرب من التأويل هما العقل، والنفس الكلية، وخلقهما بهما المخلوق البشري شرف على سائر المخلوقات"^(٢)

رابعاً: نماذج من تأويل أحاديث السنة النبوية، وروايات أهل البيت

لا يمكن بشكل من الأشكال الفصل بين القرآن الكريم، والعتر الطاهرة عند الشيعة عموماً، وعند الإسماعيلية على اعتبارهم موضوع دراستنا خصوصاً؛ إذ يرى الإسماعيلية أن القرآن الكريم ككتاب منزل أن قرينه، أو مثيله في التأويل هو الإمام علي (عليه السلام)، في عصره، وتسمية القرآن الكريم بهذا الاسم جاء من اقترانهم بالقرآن، واقتران القرآن بهم^(٣). مستندين في ذلك على قول الرسول (صلى الله عليه واله): "إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"^(٤).

فالقرآن وفق هذا الحديث هو قرين كل إمام من أهل البيت (عليهم السلام) في عصره فكان يوضح لهم حلاله، وحرامه، وأحكامه، فجعل الله تعالى القرآن قرين لهم لأنهم هم الذين ينطقون، ويوضحون ما فيه، ولذلك قالوا في التأويل أن الإمام هو قرين القرآن^(٥). ومن خلا هذا تتضح أهمية الأحاديث النبوية، وروايات أهل البيت عليهم السلام، على اعتبار أنهم ترجمان للقرآن الكريم.

(١) سورة ص، الآية ٧٥.

(٢) الحامدي، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦هـ/١١٧٩م)، الإحسان في خلق الإنسان، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلائي.

(٣) الداعي المؤيد، المجالس المستنصرية (منسوب)، ص ٢٩.

(٤) القاضي النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، تحقيق: أصف بن علي فيضي الهمداني، ط ١، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م)، ج ١، ص ٥٧.

(٥) الداعي المؤيد، المجالس المستنصرية (منسوب)، ص ٢٩-٣٠.

١- نماذج تأويلية للأحاديث النبوية الشريفة:

لقد قام الإسماعيلية بتأويل العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ومنها حديث "أنا وأنت يا علي كهاتين، وجمع بين أصبعيه المسبحتين في يديه اليمنى، واليسرى وقال لا أقول كهاتين، وجمع بين المسبحة والوسطى"^(١)، إذ يروون أن تلك المعجزات التي كانت تظهر بواسطة الإمام عليّ (عليه السلام)، هي بفضل تأييدات العقل الأول؛ وذلك لأنه معلمه، وحده والذي ترقى به إلى هذه المرتبة، ومرتبة النبي (صلى الله عليه واله) كما يرى إخوان الصفا هي مرتبة السابق في ذلك الوقت؛ أما مرتبة الإمام علي (عليه السلام)، هي بمثابة مرتبة الانبعاث الأول في الدين، فالنبي يمثل الذكر في عالم الدين، أما الإمام علي (عليه السلام) فيمثل الأنثى، والتي تكون قابلة لما يصدر من الأول، ولكن عند انتقال النبي (صلى الله عليه واله)، من هذا العالم صار مكانه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك اصبحا في منزلة، ومقام واحد إذ لا فضل لأحد منهم على الآخر، بل هما متساويان كما أشار إليه الحديث في تمامية، وتساوي المنزلة "والذي يجب أن يعتقد به أنه قد صار النبي، وأمير المؤمنين في منزلة واحدة لا فضل لأحد منهما على الآخر بل قد تساويا كما قال النبي"^(٢).

ومن الأحاديث الأخرى التي أولاها علماء الإسماعيلية حديث الرسول (صلى الله عليه واله) "لا إله إلا الله مفتاح الجنة"^(٣)، إذ قالوا أن الجنة هي عبارة عن كلمة الله التي أبدع من خلالها كل الأشياء الموجودة في الجنة، وهذه الكلمات الأربعة والتي هي (لا، إله، ألا، الله) تمثل في عقيدة الإسماعيلية الأصول الأربعة، والتي شبهها الرسول (صلى الله عليه واله) بمفتاح الجنة، وإن هذا المفتاح لا يمكن أن يفتح ويؤدي عمله ألا من خلال اكتمال أركانه الأربعة، ولو أدخل الإنسان في ركن من هذه الأركان الأربعة لما فتح له الباب، هذا أنما يشير في دلالاته إلى عدم الوصول إلى الحقيقة والغاية النهائية المرجوة للإنسان "وهذه الكلمات الأربع للدلالة على الأصول: إذا جمعتها انفتح لك من المبدع جميع الأشياء، والمفتاح لا يفتح الباب بنفسه، بل يجب أن يكون له فاتح يفتحه، كذلك لا يتهيا لأحد أن يقف على مراتب الأصول الأربعة التي هي مفتاح كلمة المبدع، ألا بفاتح هاد من متم، أو لاحق، أو جناح. وإن سقطت من المفاتيح واحدة، لا يتهيا للفاتح أن يفتح الباب، كذلك أن كان الفاتح الهادي منكراً مرتبة واحد من

(١) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ٤٥.

(٢) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ٤٥.

(٣) السجستاني، الينابيع، ص ١٤٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الأصول الأربعة من السابق، والتالي، والناطق، والأساس، لم يتهياً أن يفتح للمرتاد شيء من معالم دينه"^(١).

وفي تأويل حديث رسول الله (صلى الله عليه واله): "ظهرت^(٢) في عبد مناف وانتقلت في الأصلاب الزكية إلى الأرحام الطاهرة، حتى ظهرت في أطيب مغرس، وأكرم محتد، وظهرت الشيطنة والفرعنة والضدية بإزائي في أخبث وأشر مغرس في بني عبد شمس، فرعين من أصل واحد، طيب وخبيث"^(٣). أن تأويل هذا الحديث ينطلق من جدلية خلق الإنسان الأول وهو آدم (عليه السلام)، والذي تكون من مجموع طينين الأول طيب، والثاني خبيث، ولذلك نشأ منذ السلالة الأولى لأدم عنصرين يتمثلان في عنصر الخير الذي يمثله هابيل؛ وعنصر الشر الذي يمثله قابيل؛ وهذا مماثل لما قاله الرسول (صلى الله عليه واله)، في وجود عنصرين في الدور المحمدي من نفس السلالة هما عنصر الخير والذي يمثل الإمامة ويتمثل في عبد مناف؛ أما عنصر الشر، والشيطنة فيتمثل في شمس، إذ أنه هذا الضدية في نفس السلالة جزء من طبيعة الخلق الآدمي؛ ولذلك يشير الداعي جعفر أن هابيل الخير يمثله عبد الله بن عبد المطلب، وقابيل هو عبد العزى بن عبد المطلب؛ وإن هذه الثنائية تنتقل في جميع الأدوار بنفس الطريقة، لكن باختلاف الأشكال "كما تقدم القول في آدم أنه مجبول من طين طيب وخبيث، ممتزجان فافترقا في ولديه هابيل وقابيل، وكان سبب افتراق الخبيث من الطيب الحسد، فقابيل هو عبد العزى بن عبد المطلب، وهابيل هو عبد الله بن عبد المطلب، وشيث هو عبد مناف بن عبد المطلب، وإنما هم ينتقلون في كل عصر، وزمان باختلاف الصور، والخلقة"^(٤).

وفي تأويل حديث الرسول (صلى الله عليه واله)، والذي يقول فيه: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الغالين"^(٥)، يرى الداعي المؤيد أن منصب الإمامة هي بمثابة المرشد والذي يكون وجوده ضروري في كل عصر من العصور حتى لا يبقى العالم جاهلاً، والأئمة الذين وضعهم الله تعالى لهداية الأمة تكون مهمتهم هي في إجراء التعديل والتوازن بين الباطن، والظاهر، والدعوة لهما وحث الناس

(١) السجستاني، النباييع، ص ١٤٤.

(٢) أي الإمامة.

(٣) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٥) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ١٠٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

على الاعتقاد بهما علماً، وعملاً؛ إذ أن كل منهما يؤكد على وجود الآخر كمثل الروح، والجسد متصلين غير منفصلين^(١).

أما تأويل حديث الرسول (صلى الله عليه واله): "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد تطول الله ذلك اليوم، فيخرج من ذريتي من يملأ الدنيا عدلاً، كما ملئت جوراً"^(٢) فالحديث هو عبارة عن بشارة من النبي بحتمية انتقال الأمر، أو الخلافة إلى الذرية الطاهرة الطيبة؛ وذلك ليكون بمثابة الفرح، والبشارة بعد أن صدرته تلك الأمة غصباً؛ ثم يضيف الداعي الكرمانى في تأويله إلى أن لهذا الانتقال رمزاً يدل عليه في حديث آخر للرسول (صلى الله عليه واله) ألا وهو يتمثل بقوله: "اطلبوا ليلة القدر في العشر الثالث من الصوم فإن فيها تنفتح أبواب السماء، وتضيء الدنيا، وتسجد الشجر، والدر، والحائط، والرابط، ثم أشار من العشر الثالث إلى ليلة الثالث والعشرين من رمضان"^(٣)، إذ جعل رمز الليلة التي يظهر فيها هذا الشخص من علاماتها أن كل شيء يسجد فيها لله تعالى، فكان تأويل هذا الحديث يدل على خروج الشخص المبشر به من ذريته، والذي تطيعه كل الأمة، إذ قسم الشهر على ثلاثة أعشار، فكان العشر الأول يمثل مرتبة النطقاء، أما العشر الثاني فهو بإزاء مرتبة الأوصياء، والعشر الأخيرة بمثابة مرتبة الإمامة، وهو بذلك يجعلها من خلال تقسيم الأسابيع الثلاثة على هذه المراتب بالانطباق على الإمام السادس عشر وهو الحاكم بأمر الله، وجعل البشارة النبوية قد تحققت في شخصية الحاكم، وذريته "ثم أشار من العشر الثالث إلى ليلة الثالث والعشرين من رمضان فلما دل (صلى الله عليه واله) على ليلة يصير كل شيء منها ساجداً لله، وكأن المعنى أنه يخرج من ذريته من الأسبوع الثالث من يطيعه، أهل الإسلام، وليهم وعدوهم، تأملنا بحثاً عن الوجه الذي ينطق بذلك فجعلنا أيام الشهر لما كانت بثلاثة أقسام: عشر أول، وعشر ثان، وعشر ثالث، وكل قسم بإزاء مرتبة من المراتب الثلاثة التي هي النبوة، والوصاية، والإمامة، مقسوماً على ثلاثة أسابيع من الأئمة عليهم السلام، وكانت ليلة الثالث والعشرين المنصوصة عليها بأن يسجد فيها كل شيء على السادس عشر من الأئمة عليهم السلام، وكان ذلك دليلاً

(١) الداعي المؤيد، ديوان المؤيد، ص ١٠٢-١٠٣

(٢) "دالاً بذلك على أن لابد من انتقال الأمر إلى الذرية الطيبة وان تداولته الأمة الغاصبة ليكون بشارة لهم وفرحاً". الكرمانى، رسالة المباسم والبشارات، ص ١٢٢.

(٣) الكرمانى، رسالة المباسم والبشارات، ص ١٢٢

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ناطقاً بانتقال امر الإسلام والمسلمين إلى الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، وانتظام الأمر في ذرية محمد صلى الله عليه واله بالكلية وطاعة الأمة، وليها وعدوها، له بأسرها"^(١)

تأويل حديث "والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك"^(٢)، إذ يكون تأويل الصائم بمثابة الشخص الذي يكتم علمه، ودينه عن الأشخاص الذين لا يستحقون أن يعرفوا هذا العلم، فيمثل الخلوف البخار الذي يندفع من المعدة بسبب تعطلها عن اكل الطعام؛ فكذا الحال بالنسبة لصمت الحدود عن الكلام بما لم يتم لهم الأذن به، لسبب ما كأن لم يحضر أصحاب هذا العلم، وعلى الرغم من عدم نشر العلم الذي يعدّ امرأ مكروهاً، كما يكره من رائحة الخلوف، لكن هذا الإمساك هو امر محبوب عند الله تعالى من الأبداء إلى غير مستحقه، أو في غير أوانه، ولذلك شبه الله هذا الكتم في فضله برائحة المسك التي هي افضل العطور " أن الصائم مثل الكاتم لدينه، وعلمه عمن لا يستحقه، والخلوف هو ما يطلع على الإنسان من بخار المعدة لتعطلها عن الطعام، فأشار ذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله، وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة، كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه، فأن ذلك الإمساك احب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله، وفي غير وقته وشبهه لديه تعالى برائحة المسك، الذي هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده"^(٣).

وفي تأويل حديث " خلفت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابدأ: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي حبل ممدود من السماء إلى الأرض، طرف منه بيد الله، وطرف منه بأيديكم، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين وجمع بين أصبعيه المسبحتين من يديه، وقال: لا أقول كهاتين وجمع بين المسبحة، والوسطى من يديه اليمنى"^(٤)، جعل التمسك بالعترة الطاهرة هو السبب الرئيس لعدم الضلال، أو الافتراق، مهما حاول أن يفرقهما من أحد؛ أما في أسباب ضلال، وافتراق الفرق الأخرى فيما بينهم هو بسبب عدم تمسكهم، واتباعهم سبيل الثقلين، وهم العترة الطاهرة مما أدى بهم الحال إلى التناقض، والاختلاف وذلك لأنهم قطعوا الأسباب من خلال قطعهم أولياء الله، والذين هم ورثة تأويل الكتاب" وسبقت أحدهما على الآخر فأوجب اجتماعها، وفرض التمسك بهما وأوجب الضلال لمن فرق بينهما

(١) الكرمانى، رسالة المباسم والبيشارات، صص ١٢٢-١٢٣.

(٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) مؤلف مجهول، رسالة الاسم الأعظم، نشرت ضمن كتاب أربع كتب إسماعيلية، تحقيق: شتروطمان، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م)، ص ٧٥-٧٦.

(٤) الداعي ابن الوليد، (ت: ٦١٢هـ/١٢١٥م)، مخطوط مختصر الأصول، صص ٣٦-٣٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

بقوله (صلى الله عليه واله) ما أن تمسكتكم به لن تضلوا، فدل قوله على ضلال من لم يتمسك بهما، وفرق بينهما، واستغنى الضالون بأحدهما لم يحصلوا لم يحصلوا ألا على التناقض، والتخالف المبطلين الكتاب، ولم يصلوا ألا إلى قطع أسبابهم من أسباب أولياء الله تعالى ورثة تأويل الكتاب^(١).

وما يلاحظ في هذه الطريقة من التأويل بساطة الطرح، والابتعاد عن ربطه بالدعوة الإسماعيلية، وخلفائها ودعاتها، وقد يدل ذلك على أحد امرين: أما استقرار الدعوة في هذه الفترة، أو شدة التكتم على أئمة ورجالات الدعوة.

أما في تأويل قول الرسول (صلى الله عليه واله): "اليمين، والشمال مضلتان، والنجاة في المحجة الوسطى"^(٢)، إذ جاء في تأويلها أنها عبارة عن إشارة ورمز للفرق الضالة، فالمراد برمز اليمين هو فرق الغلاة، أما الشمال فقد أراد به الفرق المقصرة، أما الفرقة الناجية فهي الفرقة التي اتبعت الطريق الوسط، ولذلك كان تأويل الوسط هو المقصود به فرقة أصحاب الحق، وأهله " فأراد (صلى الله عليه واله)، باليمين أهل الغلو، وبالشمال أهل التقصير، وأراد بالوسط فرقة أهل الحق التي هي على دين الله القويم، وصراطه المستقيم"^(٣).

٢- نماذج من تأويل أحاديث أهل البيت عليهم السلام

مثلاً ركز الإسماعيليون على تأويل القرآن الكريم، والأحاديث النبوية قاموا أيضاً بتأويل روايات وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ومن هذه الأحاديث ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) بما نصه " وروى سليمان بن جعفر حديثاً يرفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه ذكر أمر القائم من آل محمد المهدي، وما يكون منه على يديه من الأمر، ثم قال: صاحب هذا الأمر الطريد الشريد الفريد الوحيد"^(٤)، إذ يؤول هذا الحديث بعبد الله ودعوته، فيربط القاضي النعمان بين خروج عبد الله المهدي من المشرق عندما انكشفت دعوته، وكثر اتباعه فعلم أعداء الدعوة فقاموا بمطاردته من مكان إلى مكان مما اضطره للهروب من مكان إلى آخر وهو في حاله هذا يكون شريداً، وطردياً كما في الحديث، وهذا نوع من أنواع التأويل البسيط الذي يكون مؤيداً للدعوة، ومشيراً إلى شخصية الإمام المهدي الفاطمي "وكذلك كان المهدي

(١) الداعي ابن الوليد، مخطوط مختصر الاصول، صص ٣٦-٣٧.

(٢) الحارثي، طاهر بن إبراهيم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)، مخطوط مجموع التربية، ص ١٢١.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢١.

(٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

عليه السلام لما فشت دعوته بالمشرق وكثرت دعائه وبنو أخيه والمستجيبون لهم ، نقم الأعداء ، فطلبوه ، واتصل الخبر به ، فخرج من بني أهله وأسلم أمواله ، طريدا لخوفهم شريدا لما اتقاه منهم ، فريدا لا صاحب له في هجرته ، ولا أنيس له من وحدته غير ولي الأمر من بعده وهو حينئذ طفل صغير لم ينتصر من أهله إلا عليه ليؤدي أمانة الله عز وجل إليه ، وكان همه واشتغاله به أكثر من همه واشتغاله ، بنفسه ، وكان سبيله في ذلك سبيل جده رسول الله صلى الله عليه واله إذ خرج من مكة خوفا من المشركين لما اجتمعوا على قتله ، وأبى الله إلا نجاتهما وظهورهما على من ناواهما ، وإظهار دينه بهما وعلى أيديهما ، ولو كره الكافرون^(١).

وفي حديث للأمام عليّ (عليه السلام) في بعض المسائل الفقهية، وبيان موارد الحرام، والحلال فيها ما نصه: "وعن أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدواب تقع في السمن والعسل أو اللبن أو الزيت فتموت فيه قال إن كان ذائبا أريق اللبن واستسرج بالزيت والسمن وقال في الزيت إن شاء عمله صابونا. وقالوا فيما وقع في ذلك فخرج حيا ولم يمت فيه أنه لا يفسده وأنه إن وقع في ذلك ما ليس له دم فمات فيه أو لم يمت لم يفسده، تأويله أن الزيت والسمن واللبن"^(٢)، إذ يذهب القاضي النعمان في تأويله إلى إبعاد من الظاهر، فكان يغوص في مسائل الباطن فيجعل من العسل، والزيت بمثابة العلم، والحكمة فيرى أن الأكل في رمزه التأويلي يراد منه العلم، والحكمة، أما الدواب التي هي مثل الفأر ومثيلاتها فتشير في الباطن إلى حال المنافق، والذي يكون أعمى، فهو في أيامه لا يثبت، فيدخل للإيمان من باب، ويخرج من الباب الأخرى دونما فائدة "وما أشبه ذلك من الشراب والإدام مثل ذلك كله تقدم القول به مثل العلم والحكمة اللذين تغتذى بهما الأرواح كما تغتذى بذلك في الظاهر الأبدان ويضيء ذلك في الباطن للبصائر الصحيحة كما يضيء ما يستصبح به من ذلك في الظاهر لإبصار المبصرين ولا يضيء لإبصار العمى كما لا يضيء نور العلم في الباطن للذين وصفهم الله تعالى بالعمى وإن كانوا في الظاهر يبصرون بقوله : « صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله : « أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والفأر مثله في الباطن مثل المنافق كما ذكرنا وإنما اشتق اسم المنافق في اللغة من النفق في الأرض ودخول الفأر واليربوع الذي هو من جنسه فيه من باب منه وخروجه من باب آخر كذلك يدخل المنافق الإيمان من بابيه ويخرج من باب النفاق وما جانس ذلك من الدواب التي تقع في السمن

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) القاضي النعمان، تأويل الدعائم، ج ١، ص ١٣٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

والزيت واللبن وغيرها من الإدام والشراب فتموت فيه مما يكون لها دم مثلها في ذلك مثل المنافق أيضا لأنه قد كان معه وفيه إيمان وعلم ومثل موت ذلك فيما مات فيه مما ذكرنا مثل من وصل من العلم والحكمة إلى ما لا يحتمله ولا يقوم به وأعطاه من ذلك من أعطاه فوق قسطه فأسكره"^(١).

وبدا من الواضح أن الإسماعيلية في تأويلاتهم للنصوص الحديثية لا يقتصرون على الأحاديث العقدية فقط، وإنما أيضا يؤولوا الأحاديث ذات الجنبه الفقهيّة، ففي هذا الحديث الذي يتعلق بأمور الحلال، والحرام ظاهرياً، كان لهم فيه تأويلاً باطنياً مستمداً من طريقة المماثلة، إذ ماثلوا بين الكفار، والمنافقين؛ وبين الدواب من فئران، وغيرها، كما ماثلوا بين الغذاء الطبيعي للجسم الجثمانى المتمثل هنا بالسمن، أو الزيت، أو اللبن؛ وبين الغذاء الروحي المتمثل بالحكمة، والعلم.

أما في الحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، والذي نص على "إن النفس بعد فراقها الجسد ترفرف عليه حتى يفرغ من جهازه وقالوا: لو رأيت النفس بعد فراقها الجسد لم تنكر من صورة الجسد شيئاً حتى يقال: إنما هو ظاهر بجميع جوارحه ولونه وسنه"^(٢)، فقد جاء في تأويله أن الإنسان المؤمن عند موته، وخروج روحه تبقى هذه الروح المؤمنة محلقة حول الجسد الذي خرجت منه مستوحشة عليه، ومتلهفة لساعة لحوق جسدها بها واقترانه بها مرة ثانية، إذ يتضح من النص أن جسد الإنسان بمثابة بيت من بيوت الله التي من خلالها يرتفع ذكر الله تعالى . أما معنى الروح على أنها بنفس شكل صورة الجسد لا تختلف عنه بحيث لو ابصر الإنسان هذه الروح لعرفها أنها روح هذا الشخص نفسه، فيكون تأويل ذلك أنها نفس صورة الإنسان في مرحلة خلقه الأول في عالم العقول والأبداع "يعني بذلك نفس الولي الصالح التي تفارق الجسد ، فإنه لا بد لها من النظر إلى جسدها والعطف عليه حتى يلحق بها"^(٣) يوماً ما لأنه من البيوت التي : { أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } ولذلك ما روي

(١) القاضي النعمان، تأويل الدعائم، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) مؤلف مجهول، مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار، نشر منها كتاب أربع كتب إسماعيلية، تحقيق: شتروطمان، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م)، ص ٢٦.

(٣) يتضح من خلال هذا النص الذي ورد في رسالة مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار أن الإسماعيليين يؤمنون بالمعاد الجسماني، وكذلك يشير إلى أن الداعية المؤيد الشيرازي أيضا يؤمن بالمعاد الجسماني، لكننا نلاحظ في كتب أخرى يتوضح منها أنهم لا يؤمنون بالمعاد الجسماني كما يذهب إلى ذلك الداعي ابن الوليد، (ت: ٦١٢ هـ / ١٢١٥م)، ويتوضح ذلك بقوله: "وتبلغ إلى غاية أعتها خالقها لها بتوسط هذا الجسد، لأن هذه النفس هي التي ترجمت عن كليات العالم وخزائنه، وتبينت توحيد خالقها، وقدرة منشئها، وجعل لها تعالى أمدا في مدة اتصالها بالجسد، وسماء اجلاً، وعمراً ينقلها عنه". الداعي ابن الوليد

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

عن سيدنا المؤيد قدس الله روحه ، أنه لما حضرته الوفاة دمعت عينه ، ف قيل له : ألم تكن تتمنى النقلة ، قال بلى ، ولكن بكائي على (بيت)^(١) عرفت فيه الله ، متى يكون لحوقه ، وأما كون النفس على صورة الجسد ، فذلك صحيح لأن صورة الإنسان هي أحسن صورة ، وهي أيضا صورة عقول عالم الإبداع وصورة الإنسان ، التي هي على صورته بالحقيقة هي الصورة التي للعقول وللنفس وإن كانت على شكل الجسد فهي نور كلها ، لا سبيل للأبصار الحسية إلى إدراكها ولا يدركها إلا العقول الصافية ، التي هي من جنسها والمؤمن وإن كان جزءا من الصورة القائمة ، فإنه من حيث صورة نفسه كامل على مثال الجسد كما إن إنسان العين مع صغره ، قد جمع صورة شخص الإنسان بكمالها فاعلم ذلك"^(٢).

علي بن محمد الأنف العيشي (ت: ٦١٢ هـ / ١٢١٥م)، تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، ط٢، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٢م)، ص ١٦٣.

أما الداعي حاتم فيؤكد بأن المعاد روحاني، وأن النفس عند النقلة تجرد عن الجسم كما يتجرد المولود لدار الدنيا عن المشيمة التي ربي فيها وأن الجسم غلاف لا حقيقة فيه ومثله كالإنسان إذا نزع ثوبه لم يكن على الثوب عقاب ولا حساب وأما النفس هي من تلحق بعالمها الذي كانت منه ويستدل في ذلك بقول نبي الله عيسى ما كان من السماء عاد إلى السماء، وما كان من الأرض عاد إلى الأرض كما يضيف ويؤكد بهذا المعنى بقوله: "بأن النفس إذا تعلمت وعلمت وعرفت أمام الزمان، وعملت عمل الصالحين من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وولاية كانت عند نفلتها تلحق بعالمها التي كانت منه لأنها من غير هذا العالم". نقلاً عن يوسف، مضر غالب، الفكر الإسماعيلي (الطبيي) في مصنفات الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م) (دراسة تحليلية)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٤م)، ص ٢٥١.

ومما تقدم يتضح أن المعاد الروحاني الجسماني يشمل فقط الإنسان المؤمن.

^(١) لم ترد كلمة بيت في النص وإنما جاءت على شكل حروف، وعلامات سرية ومن خلال ترجمتها توضح أنها تعني بيت. مؤلف مجهول، مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار، ص ٩.

^(٢) نفس المصدر، صص ٢٦-٢٧.

المبحث الثاني

نماذج من تأويل التكاليف^(١) العبادية الشرعية

أولاً: توطئة

أن العقيدة الإسماعيلية تركز في ترسيخ، وتأسيس عقيدتها على مجموعة من الحقائق الثابتة والتي تتمثل في علم الظاهر، أو ما يماثل العبادة العملية، من صوم، وصلاة، وزكاة وبقيّة الفرائض الأخرى؛ والعبادة الحقيقية العلمية أو ما تُعرف بجوهر العبادة والذي يتمثل في علم الباطن، من تأويل ومثل عليا، ولا بد من إقامة هذين المرتكزين معاً لتحقيق جوهر العبادة^(٢).

والى ذلك يشير الداعي حميد الدين الكرمانى (ت ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م)^(٣) إلى أن الحكمة تنقسم على قسمين: وهما العلم، والعمل، إذ يمثل العمل الظاهر، أما الباطن فيمثل العلم" والحكمة تنقسم قسمين: أحدهما العلم، والآخر عمل فالعمل هو الظاهر، والعلم هو الباطن"

وكانت الفرائض، والأحكام الشرعية قد أنزلت على الرسول (صلى الله عليه واله)، لغرض تبليغها بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وكان يجمعهم في المجالس ومنها مجالس الجمع، والأعياد ليشرحها، ويبينها لهم " وبعد هجرة النبي (صلى الله عليه واله)، أنزل الله الأحكام الشرعية، والفرائض، والقصص، ومن بينها خطب الجمعة، والعيد، فكان (صلى الله

(١) التكليف هو العلم، والعمل للبالغ الرشيد الصحيح العقل، ويعد العقل مع البلوغ شرطاً أساسياً عند الإسماعيلية للوصول إلى حد التكليف، ومن دون العقل يسقط التكليف حتى مع البلوغ، والتكليف يأتي على نوعين هما التكليف العقلي والذي يحتاج فيه إلى الفكرة، والروية؛ والتكليف البدني والذي يكون ناظراً للحركات الظاهرية. الداعي ابن الوليد، تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٧م)، ص ١٠٣-١٠٤؛ ويستشهد الداعي المؤيد الشيرازي بحديث الرسول (صلى الله عليه واله) في أثبات وجوب قيام الشريعة وما فيها من تكاليف من صلاة، وصوم وغيرها على وجود العقل والذي ينص على " أول ما خلق الله العقل فقال له: اقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أجمل منك. بك اثيب، وبك أعاقب" حيث يستدل من خلال ذلك أنه لو كانت الشرائع في موضوعها قائمة على غير العقل، عندها يكون لا ثواب عليها، ولا عقاب على وفق القاعدة التي وضعها نص الحديث " بك اثيب، وبك أعاقب". الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية، ص ٢٢.

(٢) غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٣٩.

(٣) مخطوط الرسالة الوضعية، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلاني.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

عليه واله)، يجتمع بالمسلمين بمجالس في هذه المناسبات، وغيرها لتبيين هذه الأحكام، وشرحها للعمل بها^(١).

وتأتي أهمية الأعمال الشرعية، والتي وردت عن الرسول (صلى الله عليه واله)، إلى الأمة الإسلامية كما يذهب الإسماعيلية من كونها مترابطة مع بعضها كالجسم الواحد فلا انفكاك بينها، ولا يجوز العمل بأحدها دون الآخر، إذ يذهبون إلى أن الرسول (صلى الله عليه واله) يمثل الرأس، أما خليفته فهو بمثابة القلب، والأصحاب في مقام الحواس، والآلات، أما عمله الظاهر فهو سائر الأعمال العبادية من صلاة، وصوم، وحج، وغيرها؛ أما علمه الباطن فهو العلم الذي لم يطلع عليه إلا الباري سبحانه، ومن ارتضاهم لكشف هذا السر، وإن الحق يكون فيهم، والشخص المطيع هو الشخص الذي يرشده الله إلى موافقة نبيه، والالتزام بكلامه والتي من خلالها يتهيأ لمعرفة عدد من الحقائق من ضمنها: أنه بالعقل فهو واحد، وبالنفس هو واحدة، وبالفلك هو واحد وهكذا..^(٢) ويعتقد: أن الأعمال الشرعية الواردة عن الرسول (صلى الله عليه واله) إلى أمته كالجسم الواحد؛ وذلك أن الرسول رأسه، وخليفته فيهم قلبه، وأصحابه حواسه، وآلاته، وعمله، وعلمه الظاهر، وحركاته في عبادته من طهارة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد، وسائر الأعمال الظاهرة المأمورة بها أمته، وعلمه الباطن الذي لم يطلع عليه أحد إلا باريه سبحانه، ومن ارتضاه منه لنفسه وروحه، ويكون الحق فيهم، والطائع هو الذي أرشده الله إلى موافقة رسوله، واستماع كلامه ومعرفة وحيه إلى رسوله؛ وذلك ليتهيأ أنه بالعقل واحد، وبالنفس أنها واحدة، وبالفلك أنه واحد، وبالإنسان أنه واحد، وبالدين أنه واحد، وبالرب أنه واحد، لا ضد له، ولا ند، ولا معبود سواه، ولا مفر إلا إليه، ولا معول إلا عليه، ولا مذهب إلا إليه، ولا مطلوب إلا منه، ولا ملك إلا له، ولا ملك إلا هو، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولد، ولم يكن له شريك في الملك، فمن كان في زمن ذلك الرسول، وشريعته طائعاً لربه، منقاداً لطاعة رسوله، عالماً بما جاء به من ربه، مقراً بحقائقه، متبعاً لخلفائه الراشدين من بعده، فهو ذو جسم ظاهر فاضل بما يظهره من طهارته، وصلواته، وصيامه، وغير ذلك من التزام فرائضه وسننه، وذو روح حية فاضلة شريفة تكسب بإعمالها ما تترقى به إلى درجات الجنان^(٣).

(١) الحامدي، المجلس الأزهر في فضل صاحب الكوثر وذكر العيد الأزهر في يوم النص الأشهر، تحقيق: الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي، ط ١، (بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية، ٢٠٢٠م)، ص ٤٧.

(٢) الداعي ابن الوليد، تاج العقائد ومعدن الفوائد، ص ١٠٧-١٠٨.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ويذهب الإسماعيلية إلى أن دعائم الإسلام هي سبعة كما يشير إلى ذلك القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)، مستندا في ذلك على حديث للأمام الباقر (عليه السلام) ^(١)، والذي ينص على: " بُنى الإسلام على سبع دعائم: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد" ^(٢).

ويرى الإسماعيلية أن من يقبل على أداء الأمور، والأعمال الحقيقية وغيرها من الآراء العقلية قولاً دون عمل، أي أنه يؤمن بالباطن دون الأيمان بالظاهر، فيتغافل عن إقامة الظواهر، أو العبادات الشرعية، لذلك فهو يمثل الشخص الذي روحه قد تركت بدنه، وفارقت الكسوة التي تسترها، وتصونها، وهي في خاتمة أمرها يسلط عليها أشياء تهبط من مكانتها، ومنزلتها " ومن كان مقبلاً على الأمور الحقيقية، والآراء العقلية بالقول دون العمل، وهو متغافل عن إقامة الظواهر الشرعية، والفرائض التكليفية، والسنن الحسنة المرضية، فهو ذو روح قد نفرت عن بدنها، وفارقت كسوتها التي تستتر بها، وتصون عورتها، فيوشك أن يسلط عليها من يحبط منزلتها" ^(٣). وهذا أنما يدل على أهمية الالتزام بإقامة الأعمال والفرائض الشرعية جنباً إلى جنب مع الأمور، والحقائق الباطنية على اعتبار أنها بمثابة المقدمات للوصول إلى لب الحقيقة، والثبات عليها.

ولقد أبدع الإسماعيلية في رسم الصور التأويلية للتكاليف العبادية على نحو اخرج هذه العبادات من كونها مجرد ممارسات شكلية إلى حالة روحية جديدة ترتبط بالدعوة، وأركانها عن طريق مستوى جديد من الفهم التأويلي وعلى النحو الآتي:

ثانياً: تأويل الطهارة

تعد الطهارة، والوضوء من أول الأعمال في الشريعة، ومن معاني الوضوء في التأويل عند الداعي أبي يعقوب السجستاني (ت ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م)، هو البراءة من كل الأضداد الذين

^(١) وهذا ما سار عليه الداعي المؤيد (ت: ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م)، في أثبات أن الدعائم سبعة إذ استند إلى نفس حديث الإمام الباقر (عليه السلام). تأويل الدعائم، ج ١، القاضي النعمان، ص ٥١.

^(٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢.

^(٣) الداعي ابن الوليد، تاج العقائد ومعدن الفوائد، ص ١٠٨؛ مؤلف مجهول، مخطوط الإباء والأمهات، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلائي.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

قاموا بالادعاء بمنصب الإمامة " وابتدئ أولاً بالوضوء، والطهارة، إذ الوضوء أول أعمال الشريعة. فأقول أنا قلنا إن الوضوء هو البراءة من الأضداد الذين ادعوا الإمامة" (١)

أما الطهارة فهي تعني عنده في التأويل إزالة كل النجاسات المادية، وهي في التأويل تدل على العلم، والذي يكون به الطهارة للأنفس من كل الشكوك، أو الاختلافات " وإذا جننا إلى الماء الذي به الطهارة، وإزالة النجاسات، وقلنا انه مثل العلم الذي يكون به طهارة الأنفس من الشكوك، والاختلافات" (٢)

كما أن الطهارة تأتي عنده أيضاً بمعنى التولي لإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، واهل البيت من ذريته، واجتناب الرجس الذي يقصد به في التأويل كل من ادعى منصب الإمامة من دون أهل البيت (عليهم السلام) " فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وصيه بغدير خم جهاراً نهاراً، من الله تعالى ذكره على المؤمنين به فقال: {إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} (٣)، ومعناه قد غشاكم الحد الذي كنتم تنتظرونه متولاً عن شريعتكم، وتنزيلكم ليكون به الأمن، والأمان من الجهل، والحيرة. {وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} (٤)، يعني وينزل عليكم من الرسول العلم الذي به طهارتكم. {وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} (٥)، يعني ويذهب عنكم به اختلافات الأضداد الذين غيروا الدين، وافسدوه بآرائهم، وقياساتهم. {وَلْيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} (٦)، يعني وليكن العلم الذي استفدتم نه رباطاً على قلوبكم من دخول الشك والشبهة فيها" (٧)

وبنفس الطريقة يؤول الداعي ابن الوليد، (ت: ٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، الطهارة فيرى أنها تعني طهارة القلب الروحية مما يلحق به من هذه الطبيعة ذات الرذائل الشهوانية، وهذه الرذائل أنما هي عبارة عن جوهر شيطاني يحول بين قلب الإنسان، وبين نفسه، وهو المقصود به بمصطلح الرجس، ولذلك يجب تطهير هذا القلب المنجس بالكدورات، والاعتقادات الخاطئة عن طريق ما يصطلح عليه (بالماء العلمي)، والذي يقصد به كلام أهل البيت (عليهم السلام)، ورجال المذهب الذين استفادوا وورثوا هذا الكلام من اصل الهداة، والذي هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه

(١) الافتخار، تحقيق: إسماعيل قربان حسين بونا والا، ط ١، (بيروت: دار الغرب، ٢٠٠٠م)، ص ٢٣١.

(٢) الافتخار، ص ٢٣٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية ١١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ١١.

(٥) سورة الأنفال، الآية ١١.

(٦) سورة الأنفال، الآية ١١.

(٧) السجستاني، الافتخار، ص ٢٣١.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

السلام)، ثم الأئمة من ذريته من بعده " وطهارة الباطن الروحانية في مقابلتها، هي طهارة القلب مما يعلق به من دنس الطبيعة الشهوانية الشريرة ذات الرذائل المغلفة بالسوء التي مستقرها في الكبد، وهي الجوهر الشيطاني الذي جعله الله في قلب الآدمي، والمركب بينه، وبين النفس، والمركب بينه، وبين النفس فكلما أوحى النفس إلى القلب شيئاً، الحقت تلك الطبيعة بشهوات الدنيا، فاضلم ذلك، واللطخ هو الذي سماه الله رجساً، وهذا يجده كل عاقل من ولد آدم من نفسه لا يحتاج إلى ذلك أكثر من مشاهدته، وليس ألا بالمشقة الزائدة، والتكليف الصعب، وجميع ما ذكرته من النجاسات الجسمانية اسمه رجس، ونجس، فإذا المتلطح به متلطح، فقد وجب عليه الغسل بالماء المطلق، وكذلك القلب إذا تلطح بالشكوك، والمعاصي، وتلطح الحواس بما حظر عليها عمله، وجب على النفس أن تغسل ذلك جميعه بالماء العلمي، وانها هي المطالبة بذلك اذا كان البدن، وجميع الجوارح مطاوعين لها، وهي المسطرة عليها، وتحت هذه الطهارة بالماء، والباطنة بالعلم تكلم رجال هذا المذهب بما استفادوه من الهادي الأصلي الذي هو علي بن أبي طالب، والأئمة من نسله"^(١)

كما يرى أن الماء المستخدم في الطهارة على نوعين: فالأول هو الماء الطبيعي الذي ينزل من السماء، أو ينبع من الأرض أما الماء في الباطن فيعني به أحكام الشريعة الحقة، والعبادات التي يطهر الإنسان بها عقله، ويتعبد بها كما يتعبد بالماء ويسمي هذا الماء (بالماء العقلي)، وهو نفسه الماء العلمي، والذي يقصد به العلم الخالص، والذي لا يأتيه التشويه أو التحريف " ويعتقد أن الماء الموضوع للطهارة ضربين: الأول الماء النازل من السماء، أو النابع من الأرض الواجب به الطهارة، للصلاة، والنطق، والضرب الثاني ما خاطه ماء أفسده، أو بما وقع فيه، أو ما أضيف إليه، وكلاهما لا يجب فيه وضوء، ولا إزالة حدث، وقد جعل الله ذلك لطهارة الأجسام، وأحكام العبادات الموصوفة في الشريعة، وتثبيتها على الأمور المعقولات التي تعبد بها الآدمي من حيث عقله، كما تعبد بالماء، وأحكامه من حيث جسده، ليكون عاملاً بجسده، منقاداً بعقله، ولتشمل الطهارة جسده، وعقله؛ وذلك أن الماء العقلي هو العلم الخالص الذي لا يشوبه تحريف"^(٢).

حيث انه يذهب في تأويله أن الماء كما تصيبه النجاسات فلا يصح للطهارة، فكذلك العقل قد يصيبه التلوث، والاشتباه من جراء المعلومات الخاطئة لأهل الزيف، والأهواء، ولذلك يرى وجوب تطهيرها بكلام أهل البيت (عليهم السلام).

(١) تاج العقائد، ص ١٣٤.

(٢) تاج العقائد، ص ١٣٥.

ثالثاً: تأويل الصلاة

يرى الإسماعيلية أن الصلاة في حقيقتها ليست مجرد عبادة نمطية شكلية، وإنما لها معنى روحي يمثل حقيقتها وقد برع دعاة الإسماعيلية في توضيح ذلك عن طريق سلسلة من التأويلات الباطنية فالصلاة التي تمثل الدعامة الثالثة للإسلام، وهي تمثل الدعوة الإسماعيلية، وأركانها تمثل أركان الدعوة، فمن تأويلات الصلاة ما جاء على لسان الداعي السجستاني (ت ٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، يؤول الصلاة على أنها تدل على ولاية أولياء الله الواجب على الخلائق الاقتداء بهم، وطاعتهم، إذ أن الصلاة تقترب بالجماعة، وإن عقد الجماعة يكون المقدمة على عقد الولاية، إذ أنه من غير الممكن عقد الولاية من غير عقد الجماعة والتي لا يمكن حصولها إلا من خلال الدعوة الظاهرة، والأذان بمثابة الدعوة الظاهر، وهو مقدم على الصلاة، وبذلك يكون الأذان هو مقدمة لعقد الجماعة، وأما عقد الجماعة فيكون مقدمة لعقد الولاية، وهذا الأمر يدل على أن الصلاة إنما تدل على الولاية للأولياء "الصلاة عندنا على ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم، والاقتداء بهم. وإنما قلنا بهم لأن الصلاة مقرونة بالجماعات، وعقد الجماعة مقدمة لعقد الولاية، فلا يمكن عقد ولاية إلا بعقد جماعة، وعقد الجماعة غير ممكن إلا بالدعوة الظاهرة، فلما قدم الأذان على الصلاة، والأذان هو دعوة ظاهرة، علم أن الأذان مقدمة على عقد الجماعة، وعقد الجماعة مقدمة على عقد الولاية، فمن هذه الجهة قلنا إن الصلاة على ولاية الأولياء"^(١).

وبنفس المفهوم في تأويل مقدمة الصلاة، والتي تتمثل بالأذان يرى القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، أن سماع صوت الأذان، هو بمثابة الإعلان عنها، أو الدعاء إليها، ولذلك يروون أن من المستحبات عند سماع صوت الأذان أن يقول المكلف لبيك، داعي الله، ألا أنهم يذهبون إلى القول في أنه ليس كل من رفع الأذان للصلاة المفروضة هو الداعي الحقيقي، إنما يقصد بالداعي إلى الله، والذي يمثله شخص الرسول في وقته؛ ومن بعده كل أمام في زمانه وهم يمثلون الداعي الذي يدعو، وينادي لدعوته التي أمر بتبليغها عن الله تعالى، فالصلاة التي يدعو لها المؤذن هي تماثل في الباطن دعوة النبي، وهي واجبة كما أن الصلاة واجبة الأداء " الصلاة في التأويل مثلها مثل الدعوة ولذلك جاء فيما يؤثر من الدعاء عند سماع الأذان الذي هو مثل الدعاء إليها أن يقول من سمع المؤذن : لبيك يا داعي الله وليس كل مؤذن يؤذن للصلاة داعي الله وإنما الداعي إلى الله الرسول في عصره وكل إمام من بعده في زمنه ومن أقامه الرسول

(١) الاقتصار، ص ٢٤٠-٢٤١.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

والإمام إلى الدعاء إلى ما أتى به عن الله ومن ذلك قوله تعالى: « يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ » حكاية عن أمر قومه بأن يجيبوا دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: « ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض » وقال: « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأولياء الله هم الدعاة والهداة والمنذرون وإلى صاحب الزمان منهم كانت الإشارة عند سماع الأذان يقول من سمع ذلك: لبيك داعي الله لأن الصلاة التي دعا ذلك المؤذن إليها هي ظاهر باطن الدعوة إليه وهي واجبة كوجوب الصلاة على جميع أهل الشريعة وعلى كل من بلغته الدعوة ظاهرة وباطنة^(١).

وأما الصلاة عند الداعي جعفر (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)، فلا تختلف في تأويلها عما سبقه من تأويلات الدعاة إذ هي تمثل الدعوة إلى الناطق، والإمام في كل عصر والذي رمز إليه بصاحب الحق " والصلاة أيضاً في نفسها فهي مثل العين المعين مشربها التي لا تغيرها الإغصار، وهي الدعوة إلى صاحب الحق في كل عصر، وزمان (صلى الله عليه واله)"^(٢).

أو كما قال تصريحاً بأنها تدل على دعوة الناطق (صلى الله عليه واله)، وربط بين حديث الرسول (صلى الله عليه واله)، الذي في نصه جاء: "بين الكفر والأيمان ترك الصلاة"^(٣)، إذ جعل من الاستجابة لدعوة الناطق، علامة للأيمان؛ وعدم إجابة دعوة الناطق، علامة على الكفر، ثم بين أن المؤمنين المشار إليهم بصفة الأيمان، والمخاطبين بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}^(٤)، أنما هي إشارة لمن شايع الإمام علي (عليه السلام)، واعلن قبول الولاية التي كان قد دعى إليها وأوجبها الرسول الناطق (صلى الله عليه واله) " فالصلاة على دعوة الناطق (صلى الله عليه وعلى اله)، إذ كانت الصلاة على الطاعة، وإذا كانت نهاية طاعة أهل النجدين إليه ظاهراً، أو باطناً فقد قال (صلى الله عليه واله): بين الكفر، والأيمان ترك الصلاة يعني أو بين أن يعد المسلم في أعداد المسلمين إلى أن يعد في أعداد المشركين ترك طاعة الرسول الناطق، والقيام بشريعته، وقبول فرائضه، وسننه، واتباع أمره، ونهيه، والمراد في قوله تعالى بحقيقته يا أيها الذين امنوا أقيموا الصلاة: أنما خاطب به أولياء أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه)، إذ هو أميرهم، وهم أولياؤه، واتباعه، وشيعته، وإنما خوطبوا باسم الأيمان لانهم امنوا بالرسول

(١) تأويل دعائم، ج ١، ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) الكشف، ص ٥٥-٥٦.

(٣) الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ج ٤، ص ١٢٥.

(٤) سورة النور، الآية ٥٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

وقبلوا شريعته، فأمرهم بإقامة الصلاة، والصلاة على دعوة الناطق التي أوجبت اسم الولاية فقال: أقيموا الدعوة للوصي أساس الرسول، وصاحب التأويل، فإذا أقمتم الدعوة كما أمرتم، وثابرتم عليها قيل لكم كنتم المؤمنين حقاً وعددتم من الأولياء"^(١).

كما يستنتج من هذا النص أن الداعي جعفر يشير في طيات كلامه تلميحاً، لا تصريحاً أن الدعوة الإسلامية التي دعا لها الرسول (صلى الله عليه واله)، ذات بعدين: إذ يتمثل الأول بما يسمى بالدعوة العامة، والتي تشمل تبليغ فرائض الدين، وأحكامه، وشرائعه، وسننه، وغيرها من أمور؛ أما البعد الآخر فيتمثل بالدعوة الخاصة والتي تتمثل في مسألة الدعوة لولاية الإمام علي (عليه السلام)، والتي بلغها نص عليها وجعلها أعظم الأعياد؛ وذلك في يوم الغدير المعروف.

وبنفس التفسير يذهب الداعي المؤيد (ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م)، فيرى أن الصلاة بكافة أركانها، والتي مثلها بالسور الذي يحيط بمدينة كثيرة البركات، والخيرات هي في باطنها تمثل الدعوة الحقّة " فالصلاة كالسور المسور على مدينة فيها الخيرات، والبركات، ولها افتتاح يسمى تكبيرة الأحرام، واختتام يسمى التسليم، وبينهما ركوع، وسجود، وتشهد، وبمجموع هذه الأحوال كلها تسمى الصلاة صلاة، وباطنها دعوة الحق"^(٢).

وأما عدد الصلوات الخمس فهي تشير في تأويلها إلى الدعوات الخمسة لأولي العزم، وكل واحدة منها تمثل أحد الرسل من أولي العزم، فصلاة الظهر هي مثل دعوة نوح، والعصر هي مثل دعوة إبراهيم، أما المغرب فهي مثل دعوة موسى، والعشاء مثل دعوة عيسى، أما صلاة الفجر فهي مثل دعوة النبي محمد (صلى الله عليه واله)، وهو الخامس من أولي العزم "تأويل ذلك أن الخمس الصلوات في الليل والنهار في كل يوم وليلة مثلها في الباطن مثل الخمس الدعوات لأولى العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا إليه... فلما كانت الصلاة كما ذكرنا في الجملة مثلاً لدعوة الحق جعلت الصلاة في كل يوم وليلة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولي العزم الذين قدمنا ذكرهم فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثل لدعوة نوح صلى الله عليه وسلم وهي الدعوة الأولى وهو أول أولي العزم من الرسل والعصر مثل لدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو ثاني أولي العزم وهي الصلاة الثانية والمغرب وهي الصلاة الثالثة مثل لدعوة

(١) الداعي جعفر، تأويل الزكاة، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف.

(٢) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي، ص ١٧٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

موسى صلى الله عليه وسلم وهي الدعوة الثالثة وهو ثالث أولى العزم والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى صلى الله عليه وسلم وهي الدعوة الرابعة وهو الرابع من أولى العزم وهي الصلاة الرابعة والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي الدعوة الخامسة وهو خامس أولى العزم فأمره الله بأن يقيم الصلاة ظاهراً وباطناً بقوله أقم الصلاة ، فأقام الصلاة الظاهرة وأقام الدعوة الباطنة^(١).

رابعاً: تأويل الزكاة^(٢)

يرى الإسماعيلية أن الأصل في الزكاة مأخوذ من التزكية، والتي تعني التطهير مستنديين في ذلك على قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}^(٣)، والزكاة في التأويل الإسماعيلي كما يذهب الداعي السجستاني (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م)، أنها تمثل الحدود للهداة، وأمناء الدين فالرسول (صلى الله عليه واله) يمثل الزكاة للحدود العلوية الروحانية، والوصي هو الزكاة للرسول، والأئمة هم زكاة للوصي، أما اللواحق فهم زكاة للأمام، وكان الأجنحة زكاة للوفاق، ويرى أن بإقامة الأمناء تستفيد الأنفس من علومهم، وتكون لهم هذه العلوم بمثابة الصفوة، والطهارة لبلوغ الدرجات التي تقدر لهم، ولأن المراتب للأمناء، والوكلاء تختلف فإنه كان لكل منهما زكاة تماثل درجته، ومرتبته، وبذلك يكون التأويل مطابقاً، وحقيقياً له، ولما كانت الأموال تخرج على أربع وجوه هي: الزكاة، والصدقة، والأعشار، والخمس فأضيف لكل وجه منها أصل من الأصول الأربعة، فأضيفت الزكاة إلى السابق، والصدقة إلى التالي، وأما الأعشار فأضيفت إلى الناطق، والخمس أضيفت للأساس "ولما كان المال الذي يُخرجه صاحب الزكاة شيئاً يرى في الوقت الذي يُخرجه، والعلم بنفسه لا يظهر ولا يرى دون العلماء الذين هم حَمَلَتُهُ، كان إخراج زكاة العلم إقامة الأمناء والهداة ليكون كل واحدٍ منهم زكاةً مَنْ فَوْقَهُ على مَنْ دُونَهُ. فصار الرسول (صلى الله عليه وعلى إله) زكاة الحدود الروحانية العلوية، والوصي زكاة الرسول، والأئمة زكاة الوصي، واللواحق زكاة الإمام، والأجنحة زكاة اللاحق، وأصل الزكاة من التزكية، وهي التطهير. قال

(١) القاضي النعمان، تأويل الدعائم، ج ١، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) وفي تأويل قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}. سورة فصلت، الآية ٦-٧؛ يذهب الإسماعيلية إلى أن الزكاة قد فرضت على المؤمنين من المصلين، ولم تفرض على المشركين، وهنا المقصود بهم من أشرك في ولاية الإمام علي (عليه السلام)، وقام بأداء زكاته إلى غير مستحقها، وإن كل من تولى غير الشخص الذي نصيه الله فإنما هو يتولى من نصبه الشيطان كأمام باطل في مقابل إمام الحق " الداعي جعفر، الكشف، ص ٢٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الله جل ذكره {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ}، كذلك الأنفس يكون لها بإقامة الأمان وباستفادة علومهم طهارة وصفوة للبلوغ إلى الدرجات المُقدَّرة لها. ولما اختلفت مراتب الأمان والوكلاء أضيف إلى كل منصوب من الزكاة ما يليق به ويُماثله ليكون التأويل محققاً له. وجملة ما يخرج من الأموال على أربعة أوجه: كالزكاة، والصدقات، والأعشار، والأخماس. أضيف كل واحد منها إلى أصل من الأصول الأربعة. فالزكاة مضافة إلى السابق، إذ هو منصوب أمر الله لإفادة مَنْ دُونَهُ. والصدقات على التالي الذي هو صدقة يُصدَّقُ بها السابق على الجسمانيين، ويجري ذلك في الحيوان على أن قوى النفس منبئة في الحيوان. والأعشار على الناطق ويُخرج ذلك من الحبوب التي تنبت في الأرض التي بها قوام الحيوان، على أن بشرية الناطق وبملته قوام الخلق ومصلحتهم. والأخماس على الأساس وأكثرها تجري في المعادن والركاز، وهو الكنوز، لأن دعوة الأساس مستخرجة من ظواهر التنزيل والشريعة، مكنونة فيهما^(١).

أما القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)، فيذهب إلى أن الزكاة في إحدى تأويلاتها تمثل الأساس في كل دور، والحجج الأوصياء للائمة، كما يربط بين الطهارة، والزكاة إذ يوافق ما قاله الداعية السجستاني من أن الزكاة بمثابة الطهارة في الباطن، إذ من خلالها يتطهر الناس، وتنصلح أمورهم "ومثل الزكاة مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل بما توجبه أعمالهم فيكون على هذا قوله لا صلاة إلا بزكاة يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين. والحجج الذين هم أوصياء الأئمة فهذه جملة من القول في تأويل الزكاة"^(٢).

أما الزكاة عند داعي جعفر (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)، فأنها تمثل الأساس أيضاً، فيرى انه كما الأموال تطهر من خلال إعطاء الزكاة، فكذلك تطهر الأرواح بحبة الأساس، وولايته، والإقرار بتأويلاته، والعمل على اتباعه فيما جاء به وهو يمثل كمال الطهارة، لأن الزكاة تقوم على الطهارة، إذ أن المقصود من قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}^(٣)، أي عمل على تطهير نفسه بقبول ولاية الوصي "واسم الزكاة أيضاً واقع على الأساس عليه افضل التحية والسلام، إذ بالزكاة طهارة الأموال الظاهرة، كذلك بولاية الأساس، ومحبة طهارة الأرواح فبالإقرار

(١) الاقتراح، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) تأويل الدعائم، ج ٢، ص ٨٨.

(٣) سورة الشمس، الآية ٩.

بالتأويل الذي هو النهاية، والعمل به، واتباع الوصي وما جاء به يكمل الطهارة لأن الزكاة على الطهارة، يقول الله جل من قائل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي طهر نفسه بولاية الأساس^(١).

خامساً: تأويل الصوم

من تأويلات الصوم عند الإسماعيلية انه يرمز إلى الكتمان، والستر للعلم الباطن، في مقابل الإفطار الذي يدل على الإطلاق، والكشف، فكما أن النهار هو وقت الصوم، فكذلك وجب كتمان العلم على أهل الظاهر الذين يؤولون بالنهار، وبذلك اعتبر علم التأويل مكتوماً، ومستوراً عنهم، في حين أن أهل الباطن يكون العلم مباحاً، ومكتشوفاً لهم، وهم يرمز لهم بوقت الليل في التأويل كما يذهب إلى ذلك القاضي النعمان "أن تأويل الصوم الستر والكتمان للتأويل الباطن لمن استكتمه. والفطر تأويله إطلاق ذلك لمن أذن له فيه وأن النهار الذي يجب فيه الصوم إذا وجب مثله مثل الظاهر وأهله، والباطن مثله مثل الليل الذي لا صوم فيه، كذلك يكون ذكر التأويل مباحاً لأهله وفي وقته لمن أذن له أن يفتح به، فهذه جملة القول في الصوم والفطر"^(٢).

كما يؤول شهر رمضان على وجهين: يمثل الوجه الأول في التأويل الأساس الذي يعد أول الحجج من الأئمة؛ أما الوجه الآخر فيمثل القائم الذي هو آخر الحجج "وتأويل ذلك في الباطن ما قد تقدم القول به من أن مثل شهر رمضان مثل القائم عليه السلام في وجه من التأويل وفي وجه آخر مثله مثل الأساس علي^(٣) وقد بينا معنى الوجهين في تأويل الصوم وحجة على (ص) أول حجج الأئمة وفي حجة القائم عليه السلام آخر الحجج، ولكل واحد منهما فضل وكذلك زيادتهما والاتصال بهما"^(٤).

(١) الداعي جعفر، تأويل الزكاة، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف.

(٢) تأويل الدعائم، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) وفي شرح آية وردت في كتاب تفسير العياشي يذهب السيد الطباطبائي إلى أن المراد بتأويل الصوم، والصلاة هو الرسول (صلى الله عليه واله)، والإمام علي^(عليه السلام): "عن أبي الحسن عليه السلام: في الآية قال: الصبر الصوم، إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة فليصم، إن الله يقول: واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. والخاشع الذليل في صلاته المقبل عليها، يعني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام. أقول: قد استفاد عليه السلام استحباب الصوم والصلاة عند نزول الملمات والشدائد، وكذا التوسل بالنبي والولي عندها، وهو تأويل الصوم والصلاة برسول الله وأمير المؤمنين".

تفسير الميزان، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) تأويل الدعائم، ج ٣، ص ٢٦٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ويمثل الداعية والفيلسوف حميد الدين الكرمانى (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م)، بين الصوم، والسكون؛ وبين الإفطار، والكلام، إذ يجعل الدعوة الباطنة لها وقتان في الكتمان والسكوت والذي تأويله الصوم في حالة وجود الدعوة الظاهرة، أما الكشف عنها والذي يعني في التأويل الإفطار فتتم عند حلول الليل، وذهاب النهار، أي بمعنى بعد انتهاء مرحلة الدعوة العلنية " وقد علمنا أن الصوم هو السكون، والإفطار هو الكلام، ولا يكون الليل يحل فيه الإفطار الذي هو الكلام، والمفاتيح على الدعوة الباطنة التي فيها يجري البيان والنطق، فهو أولى من أن يكون على الدعوة الظاهرة التي هي على اليوم الذي فيه يجب الصوم الذي هو الإمساك عن الكلام" (١).

ثم يوضح في تأويله أن الهلال الذي هو إحدى حالات القمر إنما يمثل الأساس، والذي لا يظهر أمره إلا بعد غياب الشمس، والتي ترمز في التأويل إلى الناطق، بمعنى أن الأساس لا يظهر علمه الباطني في التأويل إلا بعد غياب الناطق، وبعد النص عليه من قبل الناطق، والذي يمثل الهلال في التأويل " ومنها إهلاله، وإظهاره، عند حصول الشمس في مغربها حتى يراه الصغير، والكبير؛ وذلك كظهور امر الأساس بما كان من امر الناطق (صلى الله عليه واله) بالنص عليه، وافتراض طاعته، عندما حان انتقاله من العالم حتى عرف الصغير، والكبير، ومنها انه لا يكون له ضوء بالنهار لحصول قرص الشمس فوق الأرض ألا بعد غيوبتها؛ وذلك كالأساس الذي لا يكون له امر في حياة الناطق (عليهما السلام)، ألا بعد انتقاله من العالم، ومنها أن يكون في بدء ظهوره ضعيفاً لا يراه إلا من كان قوي البصر، ويقع الخلاف في رؤيته بين الناس؛ وذلك كضعف امر الأساس في بدء وقته، وحدث الاختلاف في إمامته" (٢).

سادساً: تأويل الحج

أن فريضة الحج عند الإسماعيلية لها في التأويل الباطني معانٍ أخرى غير المعاني الظاهرية، فمثلاً يراد من الحج في التأويل عند الداعية السجستاني (ت ٣٦١هـ/٩٧٢م)، يدل على أن معناه صاحب، وأمام كل زمان إذ يكون بمثابة البيت لمعرفة الله، وفيه يكون مسكن حقيقة توحيد الله تعالى، والحج أول من قام به الرسول (صلى الله عليه واله)، لكي يجعل الناس

(١) الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار، نشرت ضمن كتاب مجموعة الرسائل، ط ٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧م)، ص ١٠٦.

(٢) الكرمانى، الرسالة الموسومة باللازمة لصوم شهر رمضان، نشرت ضمن كتاب مجموعة الرسائل، تحقيق: مصطفى غالب، ط ٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧)، ص ٦٧-٧٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

تقتدي به، إذ انه كان يريد من ذلك في الإطار التأويلي أن يتوصل الناس إلى معرفة القائمين في دوره، وعدد الأئمة الذين يؤتم بهم من بعده، كما أن في عدد مرات الطواف والتي سبع مرات إشارة إلى عدد الأئمة السبعة الذين يكونون من ضمن دوره، وهم كلهم من نسل وصيه، وأساسه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) " ولا خلاف بيننا، وبين من خالفنا أن الله تعالى ذكره لم يسكن هذا البيت المقصود اليه للحج. فلما بطل سكناه هذا البيت، وجئنا إلى صاحب كل زمان فوجدناه بيت معرفة الله، وفيه يسكن حقيقة التوحيد لله، لم تنكر أضافته إلى انه بيت الله بالحقيقة، صح أن قصد الحج إنما هو تعريف النبي (صلى الله عليه وعلى إله) الأمة مجاري دوره، وكمية عدد من يؤتم به فيه من الأئمة، إذ النبي (صلى الله عليه وعلى إله)، أول من حج البيت ليقنتدي به. فابتدأه بالطواف من الركن اليماني أعلامه الأمة انه أحد ركني إسماعيل (عليه السلام)، ووضع الحجر فيه أعلامه الأمة أن مرتبة الأساسية مستجنة في نفسه كاستجنان الحجر في كوة الركن، وعدد الطواف سبع من هذا الحجر أعلامه أن عدد الأئمة سبعة في دوره، وهم من نسل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى إله" (١)

أما عند قاضي الدولة الفاطمية النعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م)، فيقصد من تأويله التوجه لإمام الزمان، الذي هو يمثل إمام الحق، وتوليده، والاعتراف بإمامته، أما الأحرام فيدل على العهد الذي يؤخذ على الشخص لإمام الزمان، والذي لم يؤذن له في معرفة باطن الشريعة، وكشفها له، فكما أن المحرم محرم عليه قسم من الأعمال حتى يتم كافة مناسكه؛ كذلك الشخص الذي يؤخذ عليه العهد يمنع من معرفة علوم، وبواطن الشريعة حتى مرحلة البلوغ، أي حتى المرحلة التي يكون فيها مؤهلاً لاستقبال هذه المعارف، ويرمز الطيب إلى احد الحدود في علم التأويل، ومنع الحاج من التطيب معناه في الباطن منع المبتدأ، والذي اخذ عليه العهد من مفاتيحه بالتأويل الباطن، أما قميص المحرم، وسرواله فيمثل تأويلات أهل الباطل "أن مثل الحج في التأويل القصد إلى إمام الزمان إمام الحق لتوليده والدخول في جملته والتدين بإمامته ، وأن مثل من أحرم بالحج في الظاهر مثل من أخذ عليه العهد لإمام زمانه ، ولم يؤذن له بعد في المفاتيح بما فوَّتح به من علم باطن الشريعة ، وقد بينا فيما تقدم معنى الإحرام وأنه المنع ، فالمعاهد يدعى محرماً منذ أخذ العهد عليه إلى أن يوقف على معالم باطن الشريعة التي ينبغي أن يوقف عليها من أخذ العهد عليه وينتهي إلى حد البلوغ ، وتوجب له أحواله وأعماله الإطلاق فتطلق له المفاتيح بما سمعه من علم باطن الشريعة كما يكون كذلك المحرم في الظاهر بالحج ممنوعاً مما يمنع منه المحرم إلى أن يقضى الحج ويقف على مشاهدته ومعالمه

(١) الاقتدار، ص ٢٥٨-٢٥٩.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ومناسكه فإذا فعل ذلك حل من إحرامه ، وتأويل ما قاله الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه أن المحرم لا يمس طيبا ولا يلبس قميصا ولا سراويل ما قد تقدم القول به من أن مثل الطيب مثل حد من حدود علم التأويل ، ليس مما ينبغي أن يفتح المحرم به وأن مثل القميص والسراويل مثل ظاهر أهل الباطل وتأويلهم لأنه ملفق ، من آرائهم وأهوائهم كما يلفق القميص ، وهو مثل لظاهرهم والسراويل وهو مثل باطنهم ، وهو تأويلهم الذي يتأولونه^(١).

أما عند الداعي المؤيد الشيرازي (ت: ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م)، ففي تأويله يماثل بين الحج الذي يقع في ختام السنة، وبين النبي محمد (صلى الله عليه واله)، والذي يجعله ممثل الحج لأنه يعد صاحب الدور الذي يقع فيه ختام النبوة فيقول: "سياقتهم إلى الحج الذي هو ختام الأعمال الشرعية، والتكاليف الوضعية، والحج يقع في شهر هو ختام السنة، وهو مثل على صاحب دور به ختام النبوة"^(٢). إذ انه يمثل بذلك مرحلة ما قبل الظهور؛ وذلك ضمن مفهوم الدعوة الإسماعيلية إذ انه يتوجب على الداخلين في الدعوة التوجه إلى صاحب الدور بوصفه نقطة النهاية في مسار الدعوة^(٣).

كما انه يماثل بين بيت الله، وهو المكان الذي يتوجه اليه لأداء فريضة الحج، والذي هو عبارة عن حجر، وبين جسم الإنسان الذي هو من تراب من الناحية المادية؛ أما من الناحية الروحية فيربط بين النفس الإنسانية كجوهر، والتي تتلقى آثار الكتاب، والنبوة من هذا المكان الذي هو بيت الله الحرام، إذ يجعل من السجود والتوجه لبيت الله الحرام ذو بعدين: مادي يقابله سجود الإنسان كجسم خلق من تراب؛ وروحي باعتباره جوهر يستمد من هذا المكان طاقة الكتاب، والنبوة " والبيت المحجوج الذي هو قبة المصلين الذي عظم الله قدره، وأمرهم بالتوجه نحوه في صلواتهم، فقال سبحانه: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} ^(٤)، ولتوجه الإنسان بحياته، ونطقه، إلى بيت جماد لا يحس، ولا يعقل خطب، هو مكان الذكرى لمن كان له قلب؛ وذلك أن المصلي من حيث جسمه تراب ينحل إلى تراب فاقتضى أن يكون قبلة ما ينحل إليه، وهو التراب. ومن حيث نفسه هو جوهر قابل لآثار النبوة، والكتاب، فاقتضى أن

(١) تأويل الدعائم، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) المجالس المؤيدية، ص ٢٩.

(٣) كباشي، غنية ياسر، التأويل الباطني من مؤلفات داعي الدعوة الإسماعيلية المؤيد في الدين الشيرازي، ط١، (دمشق: تموز ديموزي للطباعة والنشر، ١٩٢٣م)، ص ١١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

تكون قبلتها ما تنحل اليه، وهو النبوة، والكتاب، فهو إذا استقبل القبلة فكأنما استقبل الكثيف بكثيفه، واللطيف بلطيفه"^(١).

سابعاً: تأويل الجهاد

أما في مسألة تأويل الجهاد فيذهب القاضي النعمان إلى أن الجهاد في الباطن هو ممثل القائم سابع النطقاء، وسابع الأسابيع، وهو المشار اليه بصاحب القيامة "فلم يبق بعد الحج من دعائم الإسلام غير الجهاد وهو مثل سابع الأئمة الذي يكون سابع أسبوعهم الأخير الذي هو صاحب القيامة وهو كما تقدم القول فيما سمعتموه يعد سابعاً للنطقاء إذ قد يجمع الله الناس كلهم على أمره فلا يدع أحداً خالف دين الإسلام وحدود الإيمان إلا قتله وهو أحد أئمة محمد صلى الله عليه وسلم وآخر إمام من ذريته ودعوته ودعوة جميع الأئمة إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ففضله الله بذلك على سائر من تقدمه من المرسلين"^(٢)

كما يذهب أيضاً في تأويل آخر للجهاد على أنه إقامة للحجة على اتباع الباطل، ويرى أنه مثلما هناك في الجهاد الظاهري خمس، وفي؛ كذلك في الجهاد الباطني عند الانتصار علمياً على العدو الذي يمثله أنصار الباطل فإن للطرف المنتصر خمساً من العلم أن كان قائد أهل الحق إمام، ويمد الله فيه من السماء؛ أما إذا كان القائد في المناظرة العلمية أميراً ولكن ليس بأمام، ونجح في دحض حجة الباطل فله خمس من العلم الذي يحصل عليه من الإمام؛ أما الأربعة أخماس المتبقية من هذا العلم فتقسم بين أهل الحق، والعدل الذين حضروا هذه المناظرة، ولأهل الباطل، والبغي حصة من هذه الأربعة أخماس بشرط أن يتوبوا ويرجعوا عن خطأهم، أما إذا لم يعودوا ويتوبوا فيحبس عنهم العلم "تأويل الجهاد في الباطن إقامة الحجة على أهل الباطل فإذا اجتمع أهل الحق وأهل الباطل ممن ينتحل الإسلام على الاحتجاج على المشركين في ظاهر علم الشريعة فقطعواهم وغلبوا بالحجة عليهم فلأمير أهل العدل مثل خمس ما لجميع من ولى ذلك من العلم، إن كان إماماً أمده الله عز وجل به وإن كان أميراً أمده به ولى أمره وكان أربعة أخماس ذلك من العلم والفضل بين من شهد من أهل العدل وأهل البغي، فإن فاء

(١) المجالس المؤيدية، ص ٢٩-٣٠.

(٢) تأويل الدعائم، ج ١، ص ٥٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

أهل البغى وأصلحوا أعطوا ذلك وإلا حبس عنهم إلى أن يفيء من يفيء منهم كما جاء في الظاهر أنه يحبس عنهم أموالهم إذا كانت في أهل البغى حتى يفئوا^(١).

ويذهب الداعي المؤيد إلى أن الجهاد في التأويل هو ممثل للإمام القائم (عليه السلام)، كما يرى أن كل إمام في وقته هو بمثابة القائم للزمان، وهو بذلك يكون ممثل للجهاد، وأن القائم الأخير هو من ينتظر دوره للجهاد، كما يرى أن الجهاد نوعان: جهاد الأبدان، وهو ما يسمى بالجاد الأصغر؛ وجهاد الأنفس، وهو ما يسمى بالجهاد الأكبر "الجهاد الذي هو ممثل القائم على ذكره السلام غاية القصد، والمراد. والجهاد جهادان، جهاد أصغر وهو جهاد الأبدان، وجهاد أكبر وهو جهاد النفوس، كما أن كل إمام هو قائم زمانه، وقائمه الأخير على ذكره السلام ينتظر حين أوانه"^(٢).

أما الداعي ابن الوليد فيرى أيضاً أن الجهاد نوعان: هما الجهاد الأصغر، والنوع الثاني هو الجهاد الأكبر، والذي يطلق عليه (الجهاد الحسي، أو الجهاد العقلي)، ويرى أن هذا النوع إنما يقوم على مجاهدة النفس، ومغالبة الهوى، وإجبارها على منع شهوتها المائلة عن الشريعة، ومجاهدة القوى الغضبية، والتي من مصادقها تسلط قوة الشيطان "والجهاد عن طريق العقل هو جهاد النفس عن هواها، وإكراهها، ومنع شهوتها الحائدة عن الشرع، وإقامة العدل على الجوارح في تأدية ما يجب عليها، ومجاهدة القوة الغضبية، وروع القوة الشيطانية، والتي جهادها أشد من جهاد بني آدم، ودليلنا على ذلك ما ورد عن النبي (صلى الله عليه واله)، حيث قال لما رجع من بعض غزواته (رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر)، يعني مجاهدة النفس عن هواها، وجذبها إلى طاعة الله تعالى"^(٣).

المبحث الثالث

(١) تأويل الدعائم، ج ٣، ص ٣١٨.

(٢) المجالس المستنصرية (منسوب)، ص ٧٩.

(٣) تاج العقائد، ص ١٤٣.

المقاصد التأويلية الأصولية، والعامّة عند الفرقة الإسماعيلية الفاطمية

أولاً: التأويل في الأصول

لقد تنوعت المقاصد التأويلية للمباني العقديّة، والأصولية لدى الطائفة الإسماعيلية إذ لم يقتصر الجانب التأويلي على جزئية معينة منها، وإنما شمل جميع النواحي، سواء أكان ذلك في مفهوم التوحيد، أو النبوة، أو الوصاية، أو الإمامة، وغيرها من الأمور العقديّة، إذ قدموا رؤية جديدة ممتزجة بالجانب التأويلية الفلسفية، وقدموها وفق نطاق عقلي علمي، وعلى النحو الآتي:

١- التوحيد^(١):

أن العقيدة الإسماعيلية الفاطمية لها فكرتها المستقلة في التوحيد، والتي اختلفت فيها عن كل المسلمين؛ وذلك من ناحية تقديس الله تعالى، وتنزيهه عن كل شيء من الصفات، والنعوت، والرسوم، والأعداد، وكل ما ينطبق على المخلوقين، إذ هو لا يشبهه شيء. يقول الداعي السجستاني (ت: ٣٦١هـ / ٩٧٢م): " فسبحان المتعالي عن درك الصفات، وإحاطة تصاريّف أهل اللغات، لا تلحقه أحكام التبديل، ولا اختلاف التحويل، ولا تعتوره همم الإعلام، ولا حضور روايات الأفهام، ولا جولان خواطر الأوهام، ولا ينال بحسٍّ، ولا ينعت بجنسٍ، ولا يخطر في الظنون، ولا تراه العيون، ولا يوصف بالحواس، ولا يدرك بالقياس، ولا يشبه الناس، المنزه عن ضد مناف، أو ند مكاف، أو شبه شيء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير"^(٢).

ويرى الإسماعيلية أن الله واحد أحد، لكن بلا تأويل في العدد، كما أنه صمد من دون تثبيت جسد، وهو (جل وعلا) باطن من دون أن يكون له استتار، وهو ظاهر من دون أن يكون له إظهار، فهو يتجلى من دون رؤية، يبعد بلا مسافة ويقرب بلا مدانة، وهو (جل وعلا)

(١) يأتي معنى التوحيد لغة على أنه مصدر لوجد يوحد توحيد إي الحكم بأن الشيء واحد مع العلم بأنه واحد ولا يكون إلا بنفي وأثبتات وهما ركنا لكلمة التوحيد لا إله (نفي) وإلا (إثبات) إي بمعنى أن لا إله معبود بحق إلا الله تعالى الجرجاني، التعريفات، ص ٦٩؛ الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، ص ٩٢. أما في الاصطلاح فيأتي على أنه تجريد للذات الإلهية عن كل ما يتصور في الإفهام أو يتخيل بالأوهام والأذهان وهو ينقسم على ثلاثة أقسام وهي: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة. الجرجاني، التعريفات، ص ٦٩. وورد أيضاً بان التوحيد أفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والإلهية والأسماء والصفات. سعدي، أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط ٢، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨م)، ص ٣٧٤.

(٢) أثبتات النبوءات، ص ٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

موجود بلا عدم، وهو بصير من غير أداة " وهو أحد بلا تأويل عدد، صمد لا بتثبيت جسد، باطن لا باستتار، ظاهر لا بأسفار، متجل لا باستهلال رؤية، مباين لا بمسافة، مريد لا بهمة، فاعل لا باضطرار، قريب لا بمدانة، بعيد لا بمسافة، مقدر لا بجول فكرة، غني لا باستفادة، مدبر لا بحركة، موجود لا بعد عدم، بصير لا بأداة"^(١). فالله تعالى في شأنه ليس له شبه بخلقه، لا من حيث ظهورهم، أو استتارهم؛ أو قربهم، أو بعدهم، إذ هو ليس بجسم، وليس بمتغير، إذ ليس كمثله شيء.

كما يرى الإسماعيلية أن كل صفة مرتبطة بموصوفها تابعة له، مقترنة معه وفق نظام الزوج، والله تعالى منزّه عن الازدواج، أو الاحتياج، وفي ذلك يقول الخليفة المعز (ت: ٣٦٥ هـ/ ٩٧٦م)، في أحد ادعيته الموسومة بدعاء يوم الثلاثاء " جعل نظام توحيده نفي الصفات عن هويته، إذ كل صفة، وموصوف مقرون بالازدواج، منوط بالضعف، والاحتياج"^(٢).

كما انه سبحانه وتعالى لا يكيف بكيف، ولا باين، ومنزه عن الماهية، والمثال، كما انه منزّه عن النفي، أو الأثبات كما في قول الخليفة المعز في دعاء يوم الأربعاء " الحمد لله المتعالي عن الكيفية، المتجل عن الماهية، المرتفع عن الاينية، المتقدس عن الحيثية، المتمجد عن المثلية، المتسامي عن أن يجنس بجنس، أو يكون بكون، أو يرى بعضه، أو يومى اليه، تعالى عن التشبيه، المنزه عن أن يضاف اليه شيء يوجد في البرية من النفي، والأثبات، والأسماء، والصفات، فهو كما قال باب الرحمة الربانية، وينبوع الحكمة الإلهية علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من ولده: لا يعبر عن الله بتعبير المخلوقين، كما لا يحد بتحديد المحدودين"^(٣).

كما أن الأسماء الحسنى لله، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي تأويل لصفات، وأسماء العقل الأول، والذي هو أقرب الحدود للمقام الإلهي " أما أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم فلها تأويل لديهم على أنها أسماء، وصفات (العقل الفعال)، الذي يعتبر أقرب الحدود الروحانية إلى الله، واسبقها إلى معرفته، وتوحيده"^(٤).

(١) القاضي النعمان، كتاب التوحيد، تحقيق: محمد مهدي غفوري، ط، ١، (قم، حكمت فراز، ١٤٠٠م)، ص ٨٩.

(٢) أبو تميم المعز لدين الله الفاطمي، أدعية الأيام السبع، تحقيق: إسماعيل قربان حسين بوناوالا، ط، ١، (بيروت: دار الغرب، ٢٠٠٦م)، ص ٣٥.

(٣) الخليفة المعز، أدعية الأيام السبع، ص ٤٧.

(٤) النيسابوري، أحمد بن إبراهيم (ت: في القرن الخامس الهجري)، أثبات الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٩٦م)، ص ١٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

وأيضاً يتوضح ذلك في قول الداعي الحامدي (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م) الذي مما جاء فيه: "فتوحيده معرفة حدوده، وسلب الإلهية عنهم له تجريده، وسلب الأسماء، والصفات عنه لهم تنزيهه، فهو تعالى لا ينفي، ولا يعطل، ولا يقال عليه ما يقال على مخترعاته، ولا يبطل"^(١)

ويرى الإسماعيلية أن معرفة الله تعالى عسيرة، وممتنعة على أن يدركها الإنسان بنفسه؛ وذلك لأنه أن قام الإنسان بالبحث، والتقصي لمعرفة الله تعالى وقع في مسائل العجز، والأشراك؛ وإن قعد، وترك هذه المعرفة فسوف يقع في شرك التعطيل؛ ولذلك يرون أن لا سبيل لمعرفة الله تعالى إلا من خلاله (جل وعلا)، والاعتصام به، للخلاص من شرك التعطيل "ونشهد أن لا إله إلا الذي تاهت العقول في أودية مسالكها عن أدراكه، فأن نهضت طالبة له وقعت في حبال العجز وإشراكه، وغشيها ظلام القصور بمحيطات أفلاكه، وإن قعدت عن البحث والإيجاب رمتها قسي التعطيل بسهام هلاكه، وهوت بها في أمواج بحره في أسفل أدراكه. فلا ملجأ لها سوى الاعتصام بذروة الاعتراف بالعجز عن الإدراك، ولا جنة غيره تستلام بها من شوارع أسنة التعطيل، والأشراك"^(٢).

ويذهب الإسماعيلية في مسألة التوحيد إلى أن الله تعالى قد جعل بينه، وبين خلقه حجاب من خلقه، وهو ما يُعرف بالحدود مثل: السابق، والتالي، وغيرها من الحدود، كما أنه كان ظهوره لخلق أي معرفته كانت عن طريق هذه الحدود أيضاً، ومن ذلك ما جاء على لسان الداعي أبي فراس، (ت ٨٨٣هـ/١٤٧٩م)، بقوله: "الحمد لله الذي ظهر لخلق بخلق، وأبدع بأمره الكريم، وسره العظيم السابق الأول ثم اخترع منه التالي"^(٣).

ويرى الإسماعيلية أن المتعالي جل، وعلا لا تقع عليه العبارة لا بالحققة، ولا المجاز، وذلك لأن العبارات بالحروف تقع على الجسمانيات حقيقة؛ أما على الروحانيات فتقع مجازاً "فالعبرة بالحروف كما قيل تقع على الجسماني حقيقة، وعلى الروحانيات مجازاً، فأما المتعالي فلا يقع عليه لا حقيقة، ولا مجازاً"^(٤).

(١) كنز الولد، ص ١١-١٢.

(٢) الداعي ابن الوليد، جلال العقول وزبدة المحصول، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلائي؛ جلال العقول وزبدة المحصول، نشر ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، تحقيق: عادل العوا، ط ١، (بيروت: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨م)، ص ٨٩.

(٣) مطالع الشموس في معرفة النفوس، نشر ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية، ص ١١.

(٤) مؤلف مجهول، مخطوط صندوق اللآلئ من أقوال الموالى، نسخة خطية مصورة من مكتبة التراث الإسماعيلي.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

كما انهم يرون أن هناك خمسة نشآت، أو أصول، وهي بمثابة الفاصلة بين الله تعالى، والأنسان، وتسمى بمراتب الوجود، وهي على التوالي: (العقل الكلي، والنفس الكلية، والهيولي، والمكان أو الملاء، والزمان أو الخلاء)، فالله تعالى في المرتبة الأولى، ثم هذه المراتب الخمسة، وبعدها الأنسان، وهذه هي طبقات الوجود أو مراتب الوجود السبعة^(١).

ويرى الإسماعيلية أن في المجال العاشر، أي مجال الأرض فإن الأنسان يكون فيها أعلى المخلوقات، إذ وهب له العقل لكي يتمكن من خلاله بلوغ المعارف، ولكي يصل الأنسان إلى حقيقة علم التوحيد، والذي يعد أعلى ما يمكن أن يبلغه الأنسان، وهو أصعب المعارف، ولذلك أعطيت للإنسان هذه المعرفة بالتدريج، خطوة بعد خطوة، فكما أن الأنسان يحتاج في مرحلة الولادة إلى أن يمر بسبع مراحل كما أشار إليها القرآن الكريم، فلذلك لابد له من أجل الوصول إلى معرفة الله، ووحدانيته أن يولد روحياً، ولا بد أن تمر هذه الولادة الروحية بسبع مراحل، أو أدوار، وهذه الأدوار هي على التوالي: (دور ادم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وقائم القيامة الكبرى الذي سينهي هذه المعرفة، وهذه هي الدورة الأخيرة)^(٢).

٢- النبوة:

أن رتبة، ومقام النبوة من المسائل المهمة لدى الإسماعيلية، والتي أولاهها علمائهم، ومفكرهم غاية الاهتمام، إذ يعدونها من الرئاسات الروحية، إذ تتسم نفوس، وأرواح حاملي الشرائع، وأصحابها بالإحسان، والعدل، ويحفظون من خلالها الشرائع، والملل من خلال إقامة السنة بالعبادة، والتأله، والإخلاص، وغيرها من الصفات العالية "وأما الرئاسة الروحانية فمثل رئاسة أصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والأرواح بالعدل والإحسان، ويستخدمونها في الملل والشرائع لحفظ الشرائع وإقامة السنن والتعبّد بالإخلاص والتأله برقة القلوب، واليقين بنيل الثواب، والفوز والنجاة والسعادة في المعاد"^(٣).

كما انهم يشترطون أن من مميزات الأنبياء واضعي الشرائع أن يحمل اثني عشر من الخصال التي تؤهله ليحمل الرسالة، وهي ليست فضائل تتحقق بالاكتمال، وإنما هي ميزات فطرية تكون مجبولة فيه "واعلم يا أخي بأنه من تمام فضيلة واضع الشريعة أن تكون فيه

(١) جمال الدين، دولة الإسماعيلية في إيران، ص ٣٣.

(٢) Abu firas, shihab ad-din, ash-shafiya, translated and investigation: sami nassib makarem, (berut: amerirn university, 1966), p21

(٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ٤، ص ١٢٨.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

اثنًا عشرة خصلة قد فطر عليها، إحداها أن يكون تامّ الأعضاء، قويّة قوائمه على الأعمال التي من شأنها أن تكون بها ومنها، ومتى همّ أن يقضي عملاً أتى عليه بسهولة. والثاني أن يكون جيّد الفهم سريع التصوّر لكل ما يقال له ويلقاه لفهمه على ما يقصد القائل به على حسب الأمر في نفسه. والثالث أن يكون جيّد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره، وبالجملّة لا يكاد ينسى شيئاً منها. والرابع أن يكون فطناً ذكياً ذا رأي يكفيه لتبيّن أدنى دليل، حتى إذا رأى على شيء أدنى الدليل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل. والخامس أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الألفاظ. والسادس أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكدّ الذي يلحقه. والسابع أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لأهله. والثامن أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح، متجنباً لعيب، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه. والتاسع أن يكون كبير النفس عالي الهمة محباً للكرامة، تكبر نفسه الطبع عن كل ما يشين من الأمور ويشنع، وتسمو همة نفسه إلى أرفع لأمر رتبة وأعلاها درجة. والعاشر أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هيّنة عنده، زاهداً فيها. والحادي عشر أن يكون محباً للعدل وأهله، مبغضاً للجور والظلم وأهله، يعطي النّصف لأهلها، ويرثي لمن حل به الجور، ويكون مؤاتياً لكل ما يرى حسناً جميلاً عدلاً، غير صعب القياد ولا جموح، وإن دعي إلى الجور والقبیح لا يجيب. والثاني عشر أن يكون قويّ العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً مقداماً، غير خائف ولا ضعيف النفس^(١).

ويعتقد الإسماعيلية أن النبوة لا يمكن أن تحدث فجأة في قلب الأنبياء، وإنما هي عملية منظمة متكونة جزءاً مع عمل بعده عمل، وزيادة بعد زيادة إلى أن تكتمل وتتشكل بصورة محلاة، ولا تزال ترتفع حتى تبلغ ذروتها في الرفعة "كذلك كون النبوة لا تحدث بغتة في قلب النبي بل جزءاً، وعملاً بعد عمل، وزيادة بعد نقصان، ونقصاناً بعد زيادة، إلى أن يكتمل كونها فتظهر مصورة محلاة فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ منتهاها في الرفعة"^(٢).

ومما يعتقد الإسماعيلية في الأنبياء أنهم وإن كانوا مختلفين في الأمور الظاهرية ألا أنهم يتفقون في الحقائق، وأنهم وإن اختلفوا في أوضاعهم ألا أنهم جميعاً من معدن واحد^(٣).

(١) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وعلان الوفاء ج ٤، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) السجستاني، أثبات النبوءات، ص ١١١.

(٣) للاطلاع أكثر مراجعة نفس المصدر، ص ١٤٥.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ويؤمن الإسماعيلية أن لكل نبي من أولي العزم هناك حدود أو أصول لشريعته هما: أصل ظاهر، وأصل باطن، فمثلاً أصل نوح السفينة، والدعوة إلى ركوبها؛ وأما أصل شريعة النبي إبراهيم فهي الكعبة، ودعوة الناس للحج إليها؛ أما أصل شريعة النبي موسى فهي عصاه، والتي ألقاها فابتلعت من نصب له العداوة؛ وأصل الشريعة لنبي الله عيسى فهي الصليب، ولذلك دعى إلى حمل الصليب؛ وفي شريعة النبي محمد (صلى الله عليه واله) كان الأصل فيها هي ذكر الشهادة، ودعوة الناس إليها، وقتال من لم يؤمن بها" أن لكل واحد من أولي العزم من الرسل (صلوات الله عليهم) أصلان لشريعته، أصل في الظاهر، وأصل في الباطن يجمع حدودهما، أي حدود الشريعة، فأصل نوح(عليه السلام) السفينة، ودعى من آمن به لركوبها، فمن لم يركبها معه غرق، وهلك؛ وأصل إبراهيم(عليه السلام) الكعبة، وأذن في الناس بالحج إليها، ودعاهم إلى الطواف بها، وسن معالمها، وأصل موسى(عليه السلام) العصا، فألقاها لمن كذب به فتلقفت من ناصبه؛ وأصل عيسى الصليب، فقال لمن آمن به، وصدق به (من أراد أن يتبعني فليأخذ معه صليباً)؛ وأصل محمد (عليه السلام) شهادة أن لا إله إلا الله، ودعى الناس إليها، وإلى التصديق بها، فقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا معي لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)"^(١).

ويرى الإسماعيلية أن لفظ النبوة لا يُطلق إلا على الشخص الذي تتصل به المواد العلوية مباشرة من دون توسط لأي حد سفلي "لم يطلق حد النبوة إلا لمن اتصلت به المادة العلوية من غير توسط حد سفلي بينه، وبينها"^(٢)

كما أن رسالة الأنبياء عندهم على نوعين: خاصة والتي تعني بأنه رسول مبعوث إلى البشر كافة؛ وعامة والتي يقصد بها العقل الغريزي، والذي يعد كآلة لقبول أوامر الرسول "والرسالة عند الإسماعيلية عامة؛ وخاصة، فأما العامة، وهي العقل الغريزي، ويدعونه الرسول الأول المعد لقبول امر الرسالة، وخاصة وهي القائلة بأن الرسول هو المبعوث للناس كافة"^(٣)

٣- الوصاية:

(١) القاضي النعمان، أساس التأويل، ص ٣٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٢.

(٣) الكربلائي، حيدر محمد عبد الله، المشرع الإسماعيلي أبو حنيفة القاضي النعمان القيرواني المغربي (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، عصره دوره في الدولة الفاطمية - كتبه ومؤلفاته، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧م)، ص ٦٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

يُعرف الوصي في الاصطلاح الإسماعيلي على أنه: "هو الذي يوصيه النبي بأمر امته ليقوم به بعد وفاته، كما أقام موسى هارون وصياً له حين غاب عنهم لمناجاة ربه، واعلم أنه لابد لكل نبي من وصي يوصيه بأمر امته ويفوض إليه علم الباطن، ويقوم هو أي الوصي مقامه بعد وفاته، كما أن من يخلف نبياً يقال له وصي كذلك من يخلف وصياً يقال له إمام"^(١).

ويذهب الإسماعيلية إلى أن الوصي من مختصاته هي علم التأويل، كما أن الرسول من مختصاته علم التنزيل^(٢) والرسول لا ينطق بالتأويل، ولا يظهره إنما يعمل نقيب الأول الذي هو حجته ووصيه"^(٣).

ويرى الإسماعيلية أن الوصاية هي إحدى المراتب الثلاثة الكلية، وهي تأتي بعد النبوة مباشرة، ويرون أنها عبارة عن بركة مفاضة من الله تعالى على من يختار من عباده، وأنه يتولى أمور التنزيل خلفاً عن الرسول (صلى الله عليه واله)، بالإضافة إلى أعباء التأويل أي أمور الباطن من الشريعة، أو ما تُعرف بالعبادة العملية "أن المراتب العشر ثلاث منها كلية، وسبع منها تابعة، فالثلاث الكلية هي الرسالة التي هي إفاضة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة التي هي أشياء كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود وتنال الكمال الأول، ثم الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها والقيام بها بجميع التنزيل وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة بها تتصور الأنفس بالصورة الأبدية وتنال كمالها الثاني. ثم الإمامة التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً. وجذب الأنفس إلى الوجود وبذلك سماهم الله تعالى (أُولِي الْأَمْرِ)"^(٣).

ويطلق الإسماعيلية اسم الأسس على الأوصياء، ويرون أن فضلهم يأتي بعد الأنبياء الذين أقاموهم ليكونوا خلفاء لهم حتى ينتهي دور الناطق، ويقوم مقامه ناطق آخر، ويكونون هم أئمة وحجة على أنفسهم، ولأجل أن لا تخلو الأرض من حجة وقائم للأرض "وكان النطقاء أعلامهم درجة وهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، وسابعهم قائم الزمان، ثم يليهم في الفضل الأسس الذين أقامهم من أقامهم منهم في حياته لتأدية الباطن، والأساس يقوم بعد الناطق ويخلفه من بعده فيكون إماماً، ويقيم حجة لنفسه ليقوم مقامه، كذلك حتى يدور دور

(١) علي، زاهد، تبیین المعانی فی شرح دیوان ابن هانی الأندلسی المغربي، ط ١، (مصر: مطبعة المعارف، ١٣٥٢هـ)، المقدمة ص ٥٤.

(٢) ابن حوشب، الرشد والهداية، ص ٨.

(٣) القاضي النعمان، تأويل الدعائم، ج ١، ص ٤٠.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ذلك الناطق، ويأتي بعده ناطق آخر بشريعة جديدة، ويجري كذلك كما جرى أولاً لأنه لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته طرفة عين"^(١).

ويرى الإسماعيلية أن قيام الوصي بإظهار أمره وطلب حقه مرهون بوجود الأنصار المحدد عددهم ب (أربعين رجلاً)، فأن لم يجد فيجب عليه كتمان أمره، وإقامة دعوته السرية "وقد روى من تقدم من شيوخ الدعوة وملاكها، وحدودها، وأربابها المتصلين بالأسباب العلوية، والمواد الحكمية، أن ادم لما نصب أساسه، وسلم إليه سر الله، وحكمته تخلق عن الدعوة، وانقطعت عنه المادة، وغاب بعد أن أوصى إلى أساسه أن اتبعك الناس من بعدي، ورضوا بك، واثروا أوامر الله فاهداهم إلى سبيلي، ومناهجي ظاهراً، واحملهم على سبيلك ومنهاجك باطناً، وافتح عليهم أبواب العلوم، وان عصوك، ولم يطيعوك، وتظاهروا عليك ولم يتبعوك، ومنعوا أنفسهم حظها منك، وكذلك يفعلون، فاغلق دونهم بابك، والى عليهم حجابك، واقم لسر دعوتك الباطنة نقبانك، ودعاتك... وكذلك ما قاله رسول الله (صلى الله عليه واله)، لأساسه، وحجته، ووصيه، وخليفته عند أوان نقلته، وحضور أجله، أن قام معك أربعون رجلاً فاطلب حقك، والا فاستر امر، والزم بيتك إلى حين أوان قوتك، وأعوانك"^(٢).

ويذهب الإسماعيلية إلى أن نفس الأوصياء في المقام هي تشابه نفس الأنبياء؛ وذلك لان الأنبياء هم من يقومون بتعليم الأوصياء، وكذلك من ناحية عملهم، فصارت نفوسهم متشابهة، ومتطابقة، ومن هذه الناحية نجد أن النبي (صلى الله عليه واله) قد شبه نفسه بنفس الوصي في يوم المباهلة "وكون نفس الوصي أولاً لا كنفس النبي (صلى الله عليه واله) وبتعليمها، وعملها صارت مشابهة له فكانتا شبيهين، ولذلك شبه النبي (صلى الله عليه واله) نفسه بنفسه فقال عنه الله لما امر بالمباهلة {وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}"^(٣)^(٤).

كما يعتقدون أن مرتبة، أو درجة الوصاية وهي تلي لمرتبة النبوة، كما انه لا يوجد الفرق الكبير في هذين المرتبتين، بينما يرى قسم من المتقدمين أن مرتبة الوصاية أفضل من مرتبة النبوة، ألا أن القسم الآخر يرى إلى المساواة بينهما من دون التفضيل بينهما^(٥).

(١) القاضي النعمان، أساس التأويل، ص ٥١.

(٢) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ص ٥١-٥٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٤) الكرمانى، راحة العقل، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد حلمي، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٢م)، ص ٤٨٣.

(٥) ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص ٣٤٩.

٤- الإمامة:

تعد الإمامة هي المحور الأساس الذي تقوم عليه العقائد الشيعية باختلاف فرقهم، فهي تمثل أحد الدعائم الدينية، إذ لا يوجد دين لمن ليس عنده اعتقاد بالإمامة لأهل البيت (عليهم السلام)، إذ يرون أن الله لا يتقبل أي عمل لمسلم أن لم يكن عنده أيمان بالولاية للأئمة، ذاك أن طاعتهم واجبة كما هي طاعة الرسول (صلى الله عليه واله)، مستنديين في ذلك على رواية للإمام الصادق (عليه السلام)، في تأويل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، إذ أولها الإمام الصادق (عليه السلام)، بنفسه وبالأئمة الأطهار " تعد الإمامة المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم، فهي بنظرهم إحدى دعائم الدين، فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة من أهل بيت الرسول (صلى الله عليه واله)، ويضيفون قولهم: أن الله تعالى لا يقبل عمل مسلم إذا لم يكن يؤمن بولاية الأئمة ويطيعهم كطاعته للرسول، لان الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، ويروي علماء الشيعة عن الإمام الصادق أن سائلاً سأله عن تأويل هذه الآية فكان جوابه: إيانا عني بهذا، بنا يعبد الله، وبنا يطاع الله، وبنا يعصى الله، فمن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله" ^(٣).

ويذهب الإسماعيلية إلى أن الإمامة لا يمكن أن تقوم ألا من خلال النص، والتوقيف من نبي إلى إمام؛ أو من إمام إلى آخر، إذ يؤدي الأئمة إلى بعضهم البعض، ومن ذلك ما فعلى الرسول (صلى الله عليه واله)، في تقرير إمامة الإمام علي (عليه السلام)، وما فعله الأئمة (عليهم السلام)، واحداً بعد آخر بنفس الطريقة في تنصيب الإمام "وإن هم لو سألونا: كيف يكون عقد الإمامة؟ قلنا لهم، بما لا يدفعه أحد منكم ولا من غيركم: إنها بالنص والتوقيف الذي لا تدخل على القائل به حجة، ولا تلزمه معه لخصمه علة. وقد ذكرنا توقيف رسول الله (صلى الله عليه واله) الناس على إمامة على صلوات الله عليه ونصبه إياه، وكذلك فعل عليّ بالحسن، والحسن بالحسين، والحسين بعلي بن الحسين، وعلي بن الحسين بمحمد بن علي، ومحمد بن علي بجعفر بن محمد، وكذلك من بعدهم من الأئمة إماما إماما بعده، فيما رويناه عن قبلنا، ورأينا فيمن شاهدناه من أنمتنا، وهذا من أقطع الحجج وأبين البراهين، وما ليس لقائل فيه مقال ولا لمعتل عليه اعتلال" ^(٤).

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) النيسابوري، أثبات الإمامة، ص ٨.

(٤) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٤٢-٤٣؛ المشرع الإسماعيلي أبو حنيفة القاضي النعمان القيرواني المغرب (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، ص ٧٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

ويرى الإسماعيلية أن مقام الإمامة دون مقام النبوة، ألا انهما متساويان في وجوب طاعتهم، وان طاعتهم مقترنة بطاعته سبحانه وتعالى "فحد الإمامة دون حد النبوة، وان كانت طاعتهم في الوجوب متساوية، كما أنها مقرونة بطاعة الله"^(١).

كما أن الإمام يقوم بمقام الرسول في زمانه، ووقته، فالرسول قبل توليه أعباء النبوة، والشريعة كان إماماً من جملة الأئمة، وتسلم أمره من إمام آخر، وعندما يقوم بمهام شريعته كاملة فإنه يسلم هذا الأمر إلى إمام أيضاً. فالعالم لا يخلو من إمام، وهو يعمل بشريعة النبي (صلى الله عليه واله)، في زمان دوره، إذ لا يمكن الوصول إلى منزلة النبي، وشريعته ألا من خلال الإمام "فالإمام يقوم مقام الرسول في وقته، وزمانه، لان الرسول قبل قيامه بوضع الشريعة، يكون من جملة الأئمة، ويتسلم الأمر من الإمام، وبعد فراغه من الشريعة يسلم الأمر إلى الإمام القائم في العالم في كل وقت، وزمان الذي لا يخلو منه العالم، والإمام يحفظ الشريعة، وحقائقها كما ذكرنا، إذاً قد صح، وتبين أن مدار الدين على الإمام، وان الإمام يعمل في شريعة النبي في دوره، فلا يصل إلى النبي، ومنزلته والى الشريعة الصحيحة التي لم تتغير، ولم تتبدل ألا من جهة الإمام"^(٢).

ويتضح من ذلك أن لا اختلاف بين المناصب الإلهية الثلاث والتي هي: النبوة، والوصاية، والإمامة من ناحية اشتراط كونهم من الأئمة حصراً، ألا أن الاختلاف هي في وظائف كل منصب منها، ودوره في أداء الشريعة وفق منصبه، ومسماه.

ويذهب الإسماعيلية إلى وجوب كون الإمام معصوماً؛ وذلك لأنه يكون قائماً مقام الرسول (صلى الله عليه واله)، في أمور الشريعة، ولو كان غير معصوم فإنه لا يمكن أن يرشد الأمة إلى معالم دينها الصحيح كما امر بذلك الرسول "أن الحاجة إلى الإمام إنما كانت لان يكون قائماً مقام الرسول (صلى الله عليه واله)، فيما يتعلق به من امر الدين، وحفظ نظامه. ولما كانت الحاجة إلى القائم مقام الرسول (صلى الله عليه واله)، لذلك، وكان لو جاز أن يكون غير معصوم لا يقع ألا من أن يسلك بالأمة سبيل غير سبيل النبي (صلى الله عليه واله)، في بعض أحكامه، أو كلها، وكان ذلك مؤدياً إلى الظلم، وحمل الناس على شق العصا، ومفارقة

(١) القاضي النعمان، أساس التأويل، ص ٥٢.

(٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٢٨.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

الجماعة، وجب أن يكون الإمام معصوماً، فتكون عصمته سبب انتلاف الجماعة على الطاعة إذاً الإمام معصوم" ^(١).

كما يعتقد الإسماعلية أن من شروط الإخلاص في الدين هو حسن الاتباع لمن وضعهم الله تعالى أمناً على دينه، والذين هم محمد وال محمد (صلى الله عليهم)، والذين يكونون مصداق لأبواب الجنة؛ وان يتبرؤوا من أعدائهم الذين يكونون مصداقاً لأبواب جهنم " اعلم أيها الأخ أن من أراد أن يكون في دينه الله تعالى مخلصاً، وفي عبادته له متخصصاً، فيحتاج إلى أن يوالي من أقامه الله تعالى الذي هو باب الجنة، ويتبرأ من عدوه الذي هو باب النار" ^(٢).

كما أن الإمامة من شروطها أن تكون مخصوصة في آل بيت الرسول (صلى الله عليه واله)، ومن ذرية، وأولاد الإمام علي، وفاطمة (عليهما السلام) حصراً، وهي فرض من الله، وبها يكون كمال الدين، إذ لا يتم دين، ولا يصلح أيمن بالله، ولا بالرسالة ألا من خلال الأيمان بالأئمة " أن الإمامة في آل بيت رسول الله (صلى الله عليه واله)، من نسل علي، وفاطمة فرض من الله سبحانه، أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصلح الأيمان بالله، والرسول إلا بالأيمان بالإمام، والحجة" ^(٣).

٥- روح القدس:

ويقصد بالقدس العقل الأول، أما الروح فيقصد به العلم الجاري، أو كلمة الله " واتصل به العلم الجاري، والنور الساري، والذي هو كلمة الله تعالى، ولذلك قيل: أن الكلمة فوق العقل، ودون المبدع تعالى إشارة إلى هذا العلم الجاري، والنور الساري، ويسمى أيضاً بالأمر، وبه نص الكتاب الكريم {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} ^(٤)، وهو المسمى بروح القدس، إذ القدس هو العقل الأول، وهذا العلم الجاري هو روح له" ^(٥).

٦- الوحي:

^(١) الداعي الكرمانى، المصابيح في إثبات الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار المنتظر، ١٩٩٦م)، ص ٧٤.

^(٢) الكرمانى، مخطوط الهادي والمهتدي، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلائي.

^(٣) الداعي ابن الوليد، تاج العقائد ومعدن الفوائد، ص ٦٥.

^(٤) سورة غافر، الآية ١٥.

^(٥) الحارثي، الأنوار اللطيفة في حقيقة الفلسفة الفاطمية، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط١، (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٠م)، ص ٨٤.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

أن الوحي على ثلاث درجات، أو أنواع كما يذهب الإسماعيلية، وهذه المراتب الثلاثة هي: الجد والذي يقصد به كلامه سبحانه وحياً، وهو الذي يسري من روح القدس من دون واسطة، وهو يتصل بالمبعوث الذي يختاره الله في كل الأوقات، والأحيان، ويعد أعلى المراتب؛ أما الثاني فهي مرتبة الفتح، والذي يكون من وراء الحجب، أي الإدراك للأشياء من خلال الفكرة الصافية، والمثل المضروب، والثالث هي مرتبة الخيال ويعني الملك الذي يرسل لغرض أن يلقي ما يوحى بالأذن بما يشاء، وهو الذي يتمثل بشراً سوياً، من خلال القوة التي تتصل به من روح القدس^(١).

والجد في العالم الروحاني هو إسرائيل، أما ميكائيل فهو يمثل الفتح، أما الخيال فيقصد به جبرائيل؛ أما في العالم الجسماني فيقصد بالجد الداعي، أما الفتح فهو المأذون، أما الخيال فيقصد به المكاسر^(٢) وأفضى السابق إلى تاليه بالمادة الإرادية، والمشينة المقضية، وأفضى التالي إلى الجد، وهو إسرائيل بما يجري في العالم الروحاني، فأفضى به إسرائيل إلى الفتح وهو ميكائيل، الذي ابغى إلى الخيال جبرائيل، فبلغه جبرائيل إلى الناطق الحي، الذي يمثل في دوره السابق كما يمثل الحجة أي الأساس دور التالي، ويمثل الداعي الجد، والمأذون الفتح، والمكاسر الخيال^(٣).

ثانياً: التأويلات العامة

من الأمور التي يدركها الباحثون في التراث الفكري الإسماعيلي، أن التأويل لم يقتصر على القرآن، أو السنة، أو الحديث، أو الأمور الأصولية، وإنما يجدهم قد قاموا بتأويل كل شيء، ألا أنهم قاموا بربطه بنطاق عقائدي، دعوي بما يخدم مذهبهم، ويعزز من أهمية أئمتهم، ودعاتهم، وبما يدل على تفوقهم الفكري، الفلسفي، ومن التأويلات العامة ارتأينا أن نتناول نماذج معينة لتتضح الصورة وهي على النحو التالي:

١- مفهوم إبليس في التأويل:

يذهب إخوان الصفا إلى أن إبليس نوعان هما: إبليس الروحاني، والذي يمثل نفس الإنسان الغضبية، أما النوع الثاني فهو إبليس الجسماني، والذي يمثل كل شخص لم يمتثل للحق، وادعى

(١) الحارثي، الأنوار اللطيفة في حقيقة الفلسفة الفاطمية، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) الشاذلي، أبو منصور اليماني (مجهول - الوفاة)، البيان لمذاهب الإخوان، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: بلا، ١٩٥٦م)، ص ٢٣.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

مرتبة ليست له " اعلم أيها الأخ أيذك الله وإيانا بروح منه أن النفس الغضبية هي إبليس الروحاني، وأما إبليس الجسماني فهو الذي أنكر الحق وادعى بغير مرتبته"^(١)

كما انهم يذهبون إلى أن الإنسان إذا اتبع العترة الطاهرة، وسار على هداهم متبعاً وأوامرهم، ومتجنباً نواهيهم صار من الملائكة بالقوة ببقاء روحه في جسده، فإذا ما مات وفارقت النفس الجسد أصبح من الملائكة بالفعل؛ أما من يغفل عن الدعوة للأنبياء، ولا يستجيب لهم، ويتبع أضدادهم من الشياطين، من الفراعنة في زمانه، فإنه يصبح شيطانياً جسمانياً، فإذا ما فارقت روحه جسده يصبح شيطانياً روحانياً من الغواة أصحاب الوسوسة " وانهم خلفاء الله في الأرض، وخزان علمه المحض، فمن عرفهم، واتبع سلفهم، واهتدى بهداهم، فقد اخلص العباد، ونجى من الأبالسة، ومن الجن، والأنس الظاهرين بالعداوة، والباطنين الذين معه في جسمه الذين يجرون منه مجرى الدم، فإذا نجا منهم، وتخلص من شباكهم كان ملكاً من الملائكة بالقوة ما دام الجسد، فإذا فارقت نفسه جسده صار ملكاً بالفعل، ومن غفل عن دعوة الأنبياء، ولم يستجب اليهم، واتبع شياطين زمانه، وفراعنة وقته، وأوانه، وانهمك في شهوات نفسه الدنية الرزلة، فاتته الفوائد العقلية، وخرج من جملة الذرية الطاهرة، وصار في حملة حزب الشياطين الجسمانيين بالقوة، فإذا مات صار شيطانياً روحانياً غوياً مغوياً بالفعل رئيساً في ضلالته يغوي من قدر عليه على قدر وسوسته"^(٢)

أما إبليس عند الداعي جعفر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، فهو أحد الدعاة لدى صاحب زمانه، وكان اسمه الحارث، وأنه كان في أحد الجزائر مع ادم (عليه السلام)، وقد اختلفا في مسألة من المسائل الدعوية فرفعا الأمر، وأرجعاه إلى صاحب الوقت، فأعجب برأي ادم فقربه، واصطفاه، وامر إبليس بطاعته، لكن إبليس رفض لأنه كان يرى في نفسه أكثر قابلية لتلقي العلوم لأن طبيعته روحانية نورانية، لأنه خلق من نار بخلاف ادم الذي كان يرى أن طبيعته جسمانية، ظلمانية لأنه خلق من طين، وبسبب عدم استجابته بالامتثال لأمر صاحب زمانه قطع عنه مواد الدعوة، وأسقطه من الجنة أي الدعوة، وجعل فيها ادم " وهو في وجه آخر من التأويل كان قد وقع في دعوة إبليس، وهو الحارث، وكان الحارث من احد دعاة صاحب الوقت أكثرهم بياناً، وان إبليس وادم تنازعا في الخطاب حتى ترافعا إلى أمام الزمان، وهو ملك الجزيرة، وان الملك لما سمع كلام ادم وبيانه استحسنه، وقبله احسن قبول، واستخلصه لنفسه واصطفاه، وامر الحارث الذي هو إبليس بالسمع له، والطاعة، والقبول منه، فامتنع إبليس عن ذلك تكبراً

(١) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ١٧٣.

(٢) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ١٧٤.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

عليه، وقال: أنا خير منه خلقتني من نار، أي أنا أعلى منزلة منه، لأنك ملكتني من العلوم ما لم تملكه، لأنني نوراني روحاني، وهو جسماني، ظلماني، وهو قوله: وخلقته من طين، فعند ذلك سخط عليه، وابلسه، أي قطع عنه مواد الدعوة المتصلة به، وأسقطه من دعوته، التي هي جنته التي اسكنها آدم^(١).

أما تأويله عند الداعي إدريس (ت ٨٧٢ هـ/ ٤٦٤ م)، فهو الذي لم يستطع معرفة الله تعالى من خلال مقامه، وحجابه " فمن لم يعرف الله من حجابه، ومقامه فهو إبليس لتحيره عن معرفته"^(٢).

٢-البحر، والسفينة:

البحر في التأويل الباطني عند الإسماعيلية يعد بمثابة علم الأئمة الحقيقي، أما السفينة فهي تمثل دعوة الأئمة، سواء كانت الدعوة ظاهرة، أو مخفية، أما ركاب السفينة فيمثلون أهل الدعوة " البحر في التأويل الإسماعيلية الباطني هو العلم الإمامي الحقيقي، والسفينة هي الدعوة الإمامية، سواء أكانت ظاهرة، أو مستورة، وركاب السفينة هم أهل هذه الدعوة"^(٣).

٣-جزيرة صاغون:

تعد ما يُعرف بجزيرة صاغون بمثابة المدينة الفاضلة لأهل الخير، وتمثل هي مكان اجتماع الفرق الثلاثة والسبعون في آخر الزمان، وتمثل هذه الجزيرة بمثابة المكان الذي تحدث فيه المحاكمة بين الفرق الضالة، وبين فرقة أهل الحق، والتي تمثل الفرقة الناجية، ويبدو أن جماعة إخوان الصفا قد رمزوا إلى المكان الذي تحدث فيه القيامة بجزيرة صاغون، ورمزوا إلى ملك الجزيرة الفاضلة، (بملك الجن)، والذي هو يمثل زعيم إخوان الصفا " صاغون، وهي مدينة أهل الخير، أو البلدة الفاضلة فوجدوا فيها على حد تعبيرهم كل شيء على ما يرام، وان أهل هذه الجزيرة نفروا منهم، لأنهم مؤمنون وهم ضالون، وذهبوا إلى ملك الجن، وملك الجن، هو رئيس مدينتهم، وسيد إخوان الصفا فعرضوا الأمر عليه، وطلبوا إخراج أصحاب السفينة الضالة، الذين افسدوا عليهم، وتحكموا فيهم، فطلبهم رئيس المدينة، وعندما جاءوا إليه لم يسمح لهم بالدخول إلا بعد ثلاثة أيام، ومعنى ذلك أنه لم يسمح لهم بالدخول إلا بعد أن

(١) سرائر وأسرار النطقاء، ص ٣٣.

(٢) الداعي إدريس، عماد الدين بن الحسن بن عبد الله القرشي، زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، ط ١، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٩١م)، ص ١٦٧.

(٣) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ٥٥-٥٦.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

انضمت اليهم للفرق الثلاث والسبعون تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور^(١)، وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم، وبين المؤمنين أصحاب مدينة أهل الخير، أي الفرقة الناجية^(٢).

٤-تأويل الذهب، والفضة:

الذهب في التأويل يقصد به الأنبياء، والأئمة؛ أما الفضة فهي ترمز إلى مقام الأوصياء "الذهب مثل الرسل، والأئمة؛ والفضة مثل الأوصياء، والحجج"^(٣)

٥-حد العلم:

أن للعلم ثلاثة حدود هي علم الظاهر، وعلم الباطن، وعلم باطن الباطن، وعلى أساس هذه الحدود تحدد منزلة الأنسان، فمن كان علمه ظاهراً فقط كان بمنزلة البهائم عندهم، ومن كان علمه الظاهر مع الباطن كان بمرتبة الأدميين، ومن كان علمه باطن الباطن كان بمثابة الملائكة وكان شخصاً روحانياً بهيكل جسماني وهم الذين يختارون ليكون أنبياء مبعوثين لهداية البشر "فالظاهر من العلم حد البهائم، ومن علمه بلا باطن كان من البهائم، وعلم الباطن علم بني آدم وحدهم، ومن علمه كان مؤمناً وكان بمنزلة الأدميين، وعلم باطن الباطن علم الملائكة، فمن علمه كان روحاني العالم جسماني البدن، وكان نبياً مبعوثاً يستخلفه الله في أرضه ويحتج به على خلقه، فهو حجاب الملائكة، وهو رموز الوحي وترجمانه لبني آدم، معه مفاتيح الجنان، لا يدخلها إلا من أطاعه"^(٤).

٦-تأويل القلادة، والطوق:

أن القلادة، أو الطوق في عنق المرأة ترمز في التأويل الإسماعيلي إلى العهد الذي يؤخذ على المستجيبين للدعوة، أما المرأة فهي ترمز للحجة "قال رسول الله (صلى الله عليه واله): لا يجوز للمرأة أن تصلي إلا وفي عنقها طوق، أو قلادة، ولو من يسير، والطوق هو العهد،

(١) "ستتقسم امتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة: اثنين وسبعين هالكة، وواحدة ناجية" إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ٥٦-٥٥.

(٢) إخوان الصفا، جامعة الجامعة، ص ٥٦-٥٥.

(٣) الداعي جعفر، الكشف، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، ص ٣٢.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

والمرأة هي الحجة، أي لا يجوز للحجة أن يطلق داعياً، لأقامت الدعوة حتى يأخذ عليه عهد الله^(١).

٧-تأويل التراب:

التراب عند الإسماعيلية يرمز للأيمان، ومن خلال هذا التراب تتشكل الأشكال للآخرة، والدنيا " والتراب رمز على الأيمان الذي منه تشكل أشكال الآخرة، كما من التراب تشكل أشكال الدنيا"^(٢).

٨-مفهوم القلة، والكثرة:

يرتبط مفهوم الكثرة، والقلة عند الإسماعيليين بموضوع الندرة، إذ يذهب الإسماعيلية انه أن كان المقياس العقل فسيكون الناس ذوي الفضائل قلة، أما الأشخاص ذوي الرذائل فهم يمثلون الكثرة؛ أما في مثل ذلك من العالم الجرماني فيكون في السماء النجوم المدبرات هي القلة، على خلاف ما تُعرف بالنجوم الأذئاب والتي هي تمثل الكثرة، أما ن كان المثل في الناس فيمثل الأنبياء، والصلحاء القلة، أما الأشخاص الهمج فهم الكثرة؛ وكذا الحال في أحجار الأرض إذ أن كل معدن شريف فهو نادر مثل الجواهر، أما المعادن الرخيصة من أحجار الأرض فهي تمثل الكثرة، ولذلك يرمز للكثرة بأصحاب العقائد الفاسدة، من أهل الضلال، بخلاف أهل الحق والاعتقاد الصحيح، الذين اتبعوا أهل البيت (عليهم السلام)، وهم القلة القليلة^(٣).

(١) الداعي جعفر، سرائر وأسرار النطقاء، ص ٩٦.

(٢) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي، ص ٨٨.

(٣) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية، ٩٣-٩٤.

٩- تأويل الطوفان:

ويقصد به بحار الشبهات التي تكثر بين الناس، والتي تؤدي إلى تحرير الأنفس، وغرقهم في بحر الفتن، والشبهات " الطوفان في الديانات بتكاثر البدع المحيرة للأنفس، المغرقة في لجة بحار الشبهات، في سائر أركان الدين"^(١).

١٠- تأويل الملكان: مبشر وبشير؛ ومنكر ونكير:

يرى الإسماعيلية أن تأويل الملائكة المعروفة بمبشر، وبشير هو كلاً من الناطق، والوصي إذ يظهران للمؤمنين بصورة الملكيين لكي يُبشراهم؛ أما الأضداد من المنافقين فيظهران لهم في صورة منكر، ونكير " لأن كل ناطق، ووصيه هما الملكان المشار اليهما بمبشر، وبشير للأولياء، ومنكر، ونكير للأضداد اللعناء"^(٢)، وفي نحو هذا يقول الإمام علي (عليه السلام)^(٣):

يا حارِ همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق عجلاً
يعرفني شخصه، واعرفه	ثم أجازيه بالذي فعلاً
أقول للنار حين تبرز للعبد	على أثرها دعي الرجل
دعيه لا تقربيه أن له	حبلاً بحبل الولاء متصلاً

١١- تأويل الأيام النحسات، والأيام المشرفات:

ويقصد بالأيام المشرقة هم الأئمة الهداة الذين يخرجون الناس من الظلام إلى النور؛ أما الأيام النحسة فهم أضدادهم ممن حادوا عن الحق، واتبعوا الباطل واخرجوا الناس من نور الأيمان إلى ظلمات الجهل "فكُنَى عن بعضها بأيام الله المشرفات، وعن بعضها بالأيام النحسات، وإن في ذلك دلالة جلية وبراهين عن هداة الله تعالى من البرية صفوة من الأنام هم المعنيون بالتشريف والتعظيم ولهم أضداد بخسوا حظهم لأعراضهم عن خيرة الله العزيز الحكيم قنعوا بظلمات الجهل، فحجبوا عن أنوار العقل، ووقفوا على المحسوسات، فانفسهم

(١) الداعي المؤيد، المجالس المؤيدية، ص ٩٣.

(٢) الداعي ابن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، ص ١٤٤.

(٣) الداعي ابن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، ص ١٤٤.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

سادرة في غيها وجهلها، وقلوبهم محجوبة من العقليات لأعراضهم عن أهلها؛ يظنون لمعان السراب هو الشراب، ويحسبون الخطأ وهو عين الصواب، تطلع عليهم من الأنبياء شمس الحقائق وهم بالجهل مظلومون، وتمر بهم آيات الله وهم عنها معرضون عمون، لم يهنوا المعرفة ما اشكل عليهم فكرا، ولم يذكروا فتنفعهم الذكرى، ولو اتبعوا الدليل وسلكوا السبيل لاستبان لهم المعالم، ووضحت لهم المجاهل باتباع الوصي والولي العالم، وقابلتهم شمس الإمامة بالإشراق وأضاءت لنفوسهم الآفاق، وخرجوا من الخلاف إلى الوفاق، واستدلوا بالمحسوس على المعقول، وعرفوا العلة والمعلول، وبانت لهم أيام الله المشرفة المعظمة من أوليائه فاتبعوها وأنارت لهم نفوسهم بضياء كلمة الحكمة لما استمعوها فخرجوا من ظلمات الجهالة إلى ضياء اليقين، وكانوا فائزين مع أولياء الله المتقين^(١).

١٢-تأويل اللحم

واللحم في التأويل هو إشارة إلى العلم، ومن ذلك ما قاله المسيح لحواريه عندما قال لهم كلوا لحمي، أي تعلموا من علمي "اللحم الذي قال المسيح (عليه السلام)، لحواريه الذين اتبعوه: هذا لحمي فكلوه، وهذا دمي فاشربوه، إشارة بلحمه إلى ما ينيلهم من علمه الذي هو أشرف العلم الممكنون^(٢).

١٣-تأويل أم داود:

ويذهب الإسماعيلية إلى أن تأويل أم داود الواردة في دعاء النصف من شهر رجب هي إحدى الحجج للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) "وهذه أم داود كناية عن أحد حجج الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)"^(٣).

١٤-تأويل الملح:

يرمز الملح في التأويل إلى علم الحقيقة، إذ أن هذا العلم الخالص والذي يشفي من كل اعتقادات الفرق الضالة، كما أن الملح يشفي من السموم، والأغذية الفاسدة " عن قول النبي

(١) الداعي أدریس، عماد الدین بن الحسن بن عبد الله القرشي (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٤م)، رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف شهر رجب، تحقيق: الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي، ط١، (بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠٢٤م)، ص ٩٩.

(٢) نفس المصدر، ص ١٦٠.

(٣) نفس المصدر، ص ١٢٧.

الفصل الرابع: نماذج من التأويلات الباطنية في الفكر الإسماعيلي

صلى الله عليه وعلى إله (الملح شفاء من اثنين وسبعين داء أسهلها الجذام، والجنون، والبرص)، الجواب في ذلك: انه صلى الله عليه وعلى إله رمز بالملح إلى علم^(١) الحقيقة، لكون الملح يذهب مما يدخل فيه من الطعام النتن بطيب الطعام، وهو من جملة الترقيات النافعة من المسمومات، وقوله: (شفاء من اثنين، وسبعين داء)، يعني بالاثنتين والسبعين فرق المخالفين^(٢)، لأن اعتقاداتهم أدواء قاتلة للنفوس^(٣).

١٥- تأويل الجنة والنار:

تمثل الجنة بمثابة العالم للأرواح عند الإسماعيلية، أما جهنم فهي عبارة عن العالم للأجساد، وهذا معناه أن العالم العلوي، هو الجنة وهو المكان الذي تنتقل فيه الروح إلى موطنها الأول، أما جهنم فهي تمثل عالم الدنيا، أو عالم الهبوط بعد الخطيئة، والذي تكون فيه الروح مكبلة بالجسد " الجنة عالم الأرواح، ومعدن اللذات؛ جهنم هي عالم الأجساد، ومعدن الإلام"^(٤).

١٦- تأويل البعث، والقيامة:

أن البعث في مفهوم التأويل الإسماعيلي هو الانتباه واليقظة للنفوس من غفلتها، أما القيامة فهي المرحلة التي تقوم فيها النفوس من الجسد، أي أنها مرحلة انفصال النفوس عن الأجساد " البعث هو انتباه النفوس من نوم الغفلة؛ القيامة قيام النفوس من قبرها الذي هو الجسد"^(٥).

(١) لم ترد كلمة علم في الأصل، وإنما وردت رموز بالكتابة السرية تم ترجمتها بموجب معاني الرموز الواردة في مقدمة الكتاب. شتروطمان، أربع كتب إسماعيلية "مسائل ورسائل"، ط ١، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م)، ص ٩.

(٢) لم ترد كلمة علم في الأصل، وإنما وردت رموز بالكتابة السرية تم ترجمتها بموجب معاني الرموز الواردة في مقدمة الكتاب. شتروطمان، أربع كتب إسماعيلية، ص ٩.

(٣) مؤلف مجهول، مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار، نشر منها كتاب أربع كتب إسماعيلية، ص ٧٤-٧٥.

(٤) مؤلف مجهول: صندوق اللآلئ في أقوال الموالى، نسخة خطية مصورة من مكتبة التراث الإسماعيلي.

(٥) نفس المصدر، ص ٦١.

الخلاصة

الخلاصة

وفي النهايات مسك الختام... إذ لابد لكل عمل من نهاية، وبعد هذه المسيرة العلمية المكلفة بالجهد، والبحث، والتنقيب في المعلومة، تكلفت هذه الدراسة القيمة التي عرضنا فيها موضوع التأويل الباطني، وأهميته، ومكانته، وتأثيره، وتأثره على وجه العموم باعتباره أصلاً قرآنياً، وعلى وجه الخصوص لدى الطائفة الإسماعيلية لكونه ركناً واجباً، بطريقة مفصلة بعيدة عن الإسهاب، فيها دقة المعلومة، مع شموليتها، ولعل أبرز ما توصلت إليه الدراسة مجموعة من النتائج تمثلت بما يأتي:

- كشفت الدراسة أن للتأويل الباطني الأثر البالغ في تدعيم المذهب الإسماعيلي الفاطمي، وتقويته كما انهم اتخذوا منه هدفاً لضرب بقية المذاهب الأخرى التي لا تدين به. إذ جعلوا التأويل الباطني شرطاً أساسياً واجباً في المذهب، بعد الإيمان بالرسول، والشرائع جعل له تأثيراً واضحاً على جميع النواحي، والأصعدة.

- أوضحت الدراسة القيمة العليا التي أضافها التأويل إلى طريقة الفهم الإسماعيلي الفاطمي لحركة التاريخ، وأحداثه، وأيدولوجيته، إذ لم يكتفوا بالفهم الظاهري، وإنما تعمقوا في تأويل، وتحليل هذه الحوادث للوصول إلى الفهم العميق، إذ أن الحدث التاريخي ليس ما رآه العين فقط أي الجزء الظاهري، إنما هو عملية تتداخل فيها الكثير من العوامل الخفية التي لا تظهر عياناً، وإنما تحتاج إلى دراسة، وتفكر، وتحليل لبواطن الأمور، وهذا يعد من صلب عمل التأويل، ولذلك يتوضح أهمية الدراسات التأويلية في تطوير، وتعزيز عملية البحث التاريخي.

- بينت الدراسة كيف انهم عززوا الأهمية الاستثنائية لانتميتهم، وأحقيتهم في الخلافة من خلال حصر التأويل الباطني فيهم على اعتبار انهم ورثة الرسول (صلى الله عليه واله)، وحاملي علمه، ومعارفه.

- وضحت الدراسة أن للتنظيم الدقيق الدعوة، الأثر الكبير، والذي قد منحها مركزية، وقوة؛ كما سهّل إدارة شؤونها وفق متطلبات كل اختصاص باختصاصه.

- أوجدت الدراسة الدور الفاعل للتأويل الباطني في الإسهام بعملية تطور التدوين التاريخي، وانتقاله من مجرد عملية تدوين فارغة إلى مرحلة جديدة من الفهم، والتدقيق، والتمحيص لبواطن الأمور ومن ذلك يفهم دقة الكتابات الإسماعيلية.

-بيّنت الدراسة فاعلية المذهب الإسماعيلي في تعزيز الدراسات التاريخية، والعقدية عن طريق ربط الحركة التاريخية، بالأنبياء، وشرائعهم إذ قسّموا التاريخ إلى أدوار، أو أكوار، بمعنى قسّموه إلى فترات زمنية، وجعلوا عدد هذه الأكوار سبعة بحسب الأنبياء ذوي الشرائع العامة، فاسموا هذه الأدوار بأسماء الأنبياء حاملِي الشرائع مثل "دور ادم، دور نوح، دور إبراهيم، دور موسى، دور عيسى، دور النبي محمد (صلى الله عليه واله)، ثم الدور الأخير جعلوه دور القائم، ورغم انه الخاتم من الأئمة، ألا انه يعد مكملاً لدور الأنبياء كونه يأتي بشريعة ناسخة"، ومن خلال هذا التقسيم المتناغم بين الحدث التاريخي، وبين الشرائع، وحاملها من الأنبياء أضافوا منجزاً جديداً للدراسات التاريخية لم يسبقهم اليه احد، وهذا أنما يدل على فكرهم المتوقد.

- كشفت الدراسة عن وجود تنوع في المقاصد التأويلية عند الطائفة الإسماعيلية الفاطمية في للمباني العقدية، والأصولية، وكذلك للمباني الأخرى العامة لدى الطائفة الإسماعيلية؛ إذ لم يقتصر الجانب التأويلي على جزئية، أو مفردة معينة منها، وإنما اشتمل جميع النواحي، سواء أكانت في العقائد، ومفاهيمها مثل مفهوم التوحيد، أو النبوة، أو الوصاية، أو الإمامة، وغيرها من الأمور العقدية، أو في النواحي الأخرى مثل الطبيعة، والفلك، والأنسان، والنبات، والجماد، وكل شيء له وجود، أو ماهية، إذ قدموا رؤية جديدة ممتزجة بالجانب التأويلية الفلسفية.

-أوضحت الدراسة أن للعقيدة الإسماعيلية الفاطمية فكرتها المستقلة في التوحيد، والتي صاغتها بطابعها الفكري العلمي الفلسفي، إذ أنها اختلفت مع كل الفرق، وانفردت في تقديس الله تعالى، وتنزيهه عن كل شيء حتى أنها نفت الصفات، أو النعوت، أو الرسوم، أو الأعداد، وكل ما يمكن أن ينطبق على المخلوقين، إذ انه سبحانه لا يشبهه شيء

-بيّنت الدراسة أن بين الله تعالى، وبين الأنسان خمس نشآت، أو أصول، وهي تعد بمثابة الفاصلة أو الحدود، والتي تدعى بمراتب الوجود، وهي على التوالي "العقل الكلي، النفس الكلية، الهولي، المكان، الزمان).

-وأشارت الدراسة إلى أن في الكون عشر مجالات، وتقع الأرض في حدود المجال العاشر، ويكون الأنسان فيها اعلى المخلوقات، إذ وهب له العقل لكي يتمكن به من بلوغ المعارف، وحتى يصل إلى حقيقة علم التوحيد، الذي يعد من اعلى ما يمكن أن يبلغه الأنسان، وهو من أصعب المعارف، ولذلك منح للإنسان هذه المعرفة على نحو التدريج، خطوة تلي خطوة، وهو ما يسمى بمراحل الولادة الروحية.

-يعد مقام النبوة أحد المقامات العالية، والتي أولاها علماء، ومفكرو الإسماعلية الاهتمام الكبير، إذ أنها تعد من الرئاسات الروحية، والتي ينبغي للشخص الذي يحملها أن يكون مؤهلاً لحملها عن طريق وجود عدد من المؤهلات، والصفات التي يجب أن تتوفر فيه، ومنها: العدل، والإحسان، والإخلاص وغيرها من الصفات الروحية الأخرى.

-بيّنت الدراسة أن مقام الوصاية، والإمامة من المسائل المهمة إذ يعدونها من المراتب العليا الكلية، والتي تأتي بعد مرتبة النبوة، وأنها تختص بأشخاص محددين، إذ أن الوصاية في الدور المحمدي هي من مختصات الإمام علي (عليه السلام)، والذي يكون دوره في إكمال الرسالة الإسلامية عن طريق حمله لراية التأويل، ويكون الأئمة من بعده حاملين لهذه العلوم، وهم الراسخون في العلم، وان طاعتهم واجبة مثل طاعة الرسول (صلى الله عليه واله)

-أشارت الدراسة إلى عدد من النماذج التأويلية المختلفة، والتي تبين دقة الفهم، والفكر الفلسفي الذي يحمله علماء، ومفكرو هذه الطائفة، إذ انهم أوجدوا نسق معين لتشكيل معاني جديدة من المعاني الأصلية، وهذا معناه انهم قاموا بعملية توليد، وتكاثر لمعاني الكلمات فشكّلوها بقلب جديد أثرى المنظومة الاصطلاحية لمعاني الكلمات.

-بيّنت الدراسة تأثير، وامتداد المذهب الإسماعيلي، إذ انهم لم يتركوا جزءاً من الأرض ألا وقاموا بنشر عقيدتهم فيه عن طريق سلسلة من الدعاة وفق الترتيب، والتنظيم المتبع في الدعوة، إذ قسموا الأرض إلى جزر، ووضعوا عليها دعاة، ونقباء يتولون امر الدعوة، وهذا ساعد كثيراً في انتشار المذهب الإسماعيلي، وهذا الأمر في حد ذاته يدحض الرأي القائل بأن المذهب الإسماعيلي مذهب مغلق، إذ أن اهتمامهم بنشر دعوتهم في الأفق سراً، أو علناً، وكذلك تفاعلهم، وانفتاحهم على الأديان، والحضارات المختلفة خير دليل على انهم جماعة غير مغلقة، ألا أن هناك ظروف سياسية تجبرهم أحياناً على التكتم، والتقية خوفاً على انفسهم من تعسف، وبطش الحكومات.

-أوضحت الدراسة طبيعة التوحيد، وكيف ينظر الإسماعلية إلى الله (جل وعلا)، فهم نفوا عنه الصفات، والنعوت تنزيهاً له ألا أن هذا النفي كان قد أوقعهم في الكثير من الخط، والوهم في كتاباتهم وشمل هذا الأمر حتى كبار دعائهم، وكتابهم، واستتبع ذلك كل من كتب في الشأن الإسماعيلي، إذ أن نفي الصفات عن الله تعالى، وإسباغها على العقل الأول معناه أن كل صفة، أو نعت يرد في القرآن، أو السنة، أو روايات أهل البيت (عليهم السلام)، أو كلام دعائهم، ومفكريهم مفترض الحال انه لا يختص بالله تعالى، وإنما هو من خصوصيات العقل الأول، ألا

أنا نلاحظ أن الإسماعيليين بالرغم من نفهم للصفات، والنعوت عن الله تعالى يضطرون أحياناً كثيرة إلى يطلقوا هذه الصفات، أو النعوت عند الحديث عن الله تعالى، أو شرح مسائل التوحيد، وهذا الأمر استوجب أن يحدث الكثير من الخلط عندهم، وعند من يدرس المذهب الإسماعيلي، فمثلاً صفة المبدع من المفترض أنها صفة، وكل صفة لا تنطبق على الله تعالى تنزيهاً، ألا أننا نرى الإسماعيليون يستخدمونها مرة للدلالة على الله تعالى المنزه عن الصفات، ومرة يطلقونها على العقل الأول صاحب الصفات، والنعوت مثل قولهم البارئ الذي هو صفة فمرة يطلقونها على الله، ومرة يطلقونها على العقل الأول؛ وكذا الحال في المبدع، وغيرها من الصفات.

-بيّنت الدراسة أن النطاق التأويلي للطائفة الإسماعيلية الفاطمية يشمل كل النواحي المختلفة من عقيدة، وفقه، وكلام، وأفعال، وحركات، وأدوار، وغيرها؛ ألا أن هناك نطاق واحد لا يعمل فيه التأويل ولا يجوز استعماله عليه، ألا وهو سبحانه وتعالى، إذ أن الإسماعيلية من ضمن معتقدتهم في التنزيه يذهبون إلى القول بأن كل ما ينطبق على المخلوق أين كان صنفه لا ينطبق على الله (جل وعلا) إذ أنه ليس كمثله شيء، ولذلك فإن مقام الجلالة منزّه عن التأويل بأي شكل من الأشكال.

-كشفت الدراسة عن قدرة الدعاة، والفلاسفة الإسماعيليين على الربط بين العوالم المختلفة، وبين المخلوقات، والأديان بسلسلة من المعاني التأويلية التي تجعل من هذه العوالم مترابطة مع بعضها البعض في حركة دورية متتابعة، ومنظمة، إذ أوجدوا الأواصر التي تربط هذه العوالم، والحركات الدورية، التاريخية، الدينية، أو العقيدة من خلال جملة من التحليلات التأويلية المتميزة؛ مستندين في تأويلاتهم هذه على نصوص من القرآن، والسنة، وكلام أهل البيت (عليهم السلام)، وكلام أئمتهم.

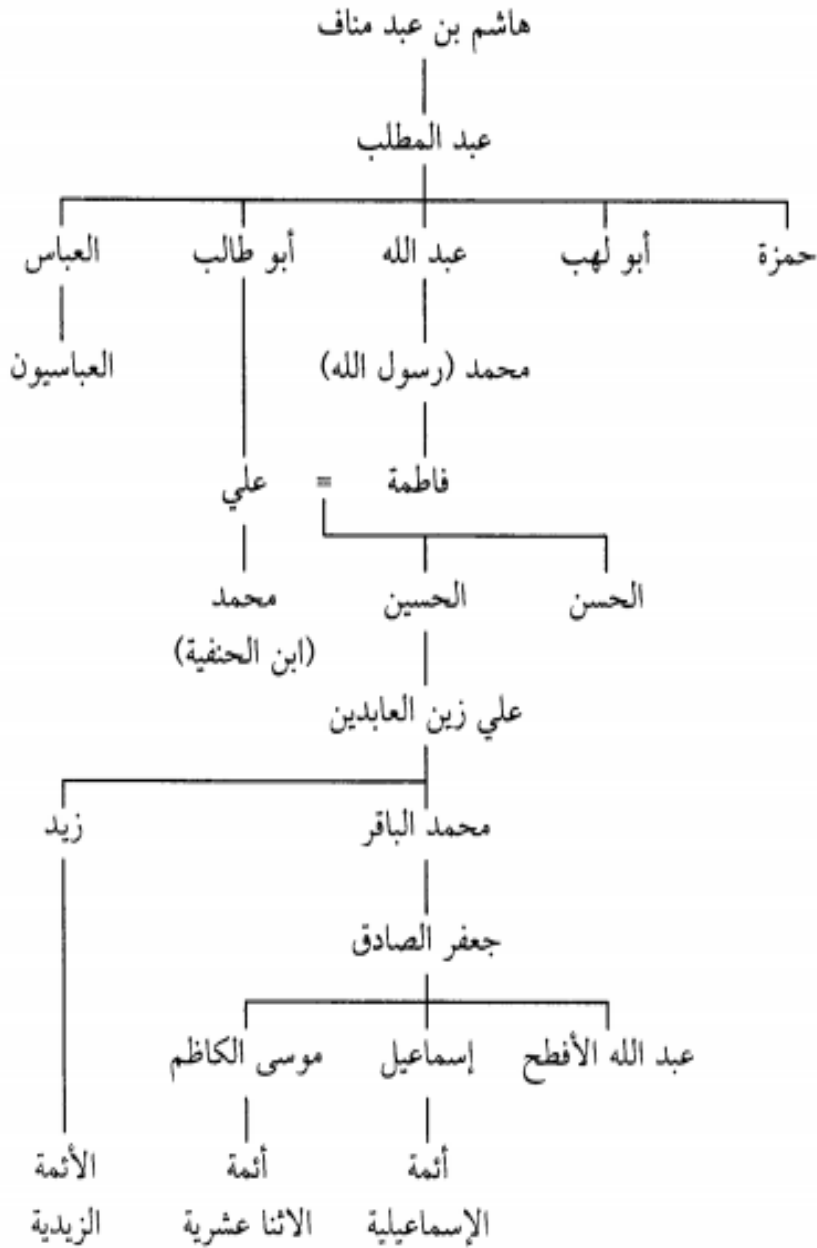
-مازجوا بين النظريات الإسلامية التي انطلقوا في وضع قواعدها العامة، والخاصة، من القرآن، والسنة، وكلام الأئمة (عليهم السلام)، وبين النظريات الفلسفية للحضارات، والأديان الأخرى، وبذلك خلقوا فكراً مائزاً لهم، استطاعوا من خلاله تكوين دولتهم، وخلافتهم التي شملت مناطق واسعة، نافست فيها الخلافة العباسية وكادت أن تحقق الانتصار عليها.

الملاحق

اولاً: الملاحق

ملحق رقم (١) (١)

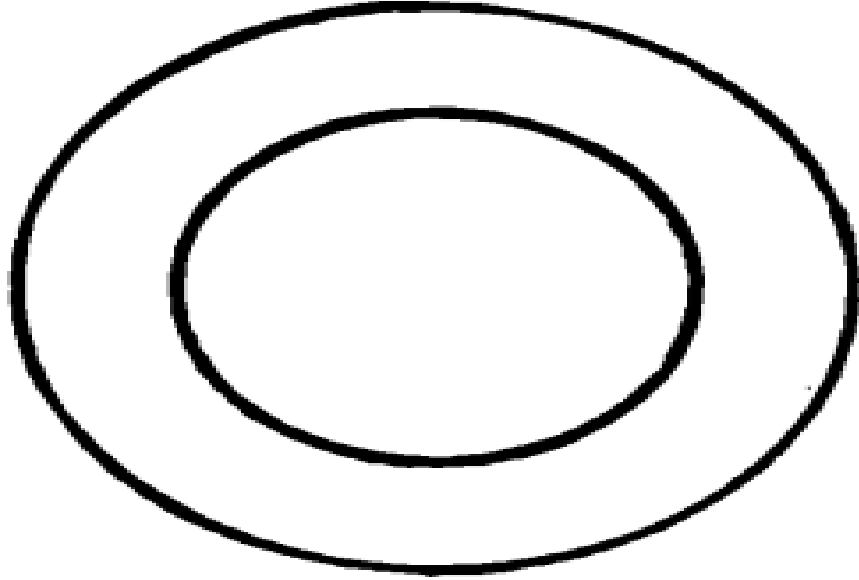
شجرة بني هاشم وأئمة الشيعة الاوائل



(١) الرزينة، ر، لالاني، الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر، ترجمة: سيف الدين قصير، ط١، (بيروت: دار الساقي، ٨ معهد الدراسات الإسماعيلية، ٢٠٠٤م)، ص ١٧

ملحق رقم (٢)

دائرة الظاهر، والباطن



مثل الإمام محمد الباقر الظاهر، والباطن بدائرتين كما في النموذج أعلاه، إذ تمثل الدائرة الخارجية الإسلام، وهي ما تمثل الظاهر، أما الدائرة الداخلية فتمثل الأيمان، وهي ما تمثل الباطن^(١).

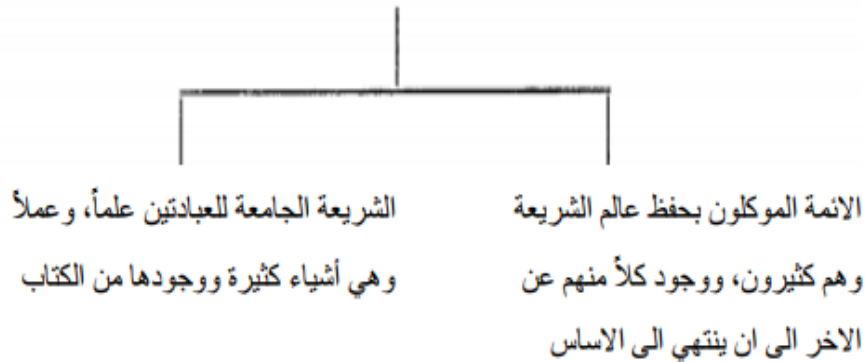
(١) القاضي النعمان، تربية المؤمنين، نشر ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، ص ١٢.

ملحق رقم (٣)

عالم الوحدة من جهة التركيب^(١)^(١) الكرمانلي، راحة العقل، ص ١٦٨.

ملحق رقم (٤)

عالم الدين من جهة التركيب^(١)



(١) الكرمانلي، راحة العقل، ص ١٦٩-١٧٠.

ملحق (٥)

خطبة للأمام عليّ (عليه السلام) في بيان معنى التوحيد^(١)

وهذه توحيد لأُمير المؤمنين عليّ - صلوات الله عليه -

روي عنه ﷺ أَنَّ رجلاً وَقَفَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ، وَإِنِّي تَرَكْتُ بِهَا قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ ثُمَّ يَسْخَطُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ
اللَّهَ يَسْخَطُ عَلَى الْعَبْدِ ثُمَّ يَرْضَى عَنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْبِطُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا.
فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ - صلوات الله عليه -، وَقَالَ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّائِمِ الْقَدِيمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ، وَلَا انْتِهَاءَ لَهُ، وَ﴿لَا
مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢)، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٣)، الَّذِي لَمْ
يَسْبِقْ لَهُ خَالٌ خَالًا، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
بَاطِنًا، الَّذِي ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤)، الْمُحِيطُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَلَا يُحَاطُ بِهِ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي امْتَدَّحَ بِمَا وَصَفَنَاهُ بِهِ مِنْ

(١) القاضي النعمان، كتاب التوحيد، ص ٣٠٢-٣٠٦.

أَنوَاعٍ مَدَحِهِ، وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِمَّا لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيهِ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَمْدَحُ بِهِ إِلَّا هُوَ.

فَكُلُّ مَدْحٍ بِفَضْلِهِ يَمْدَحُ، وَكُلُّ مَحْمُودٍ بِجُودِهِ يَحْمَدُ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مُبْتَهِلٌ ^(١) مُقَرَّرٌ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَكُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ كَثِيرٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ دُونَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ سِوَاهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ ^(٢) عَنِ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ وَتَضَمُّهُ كَبِيرُهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنِ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ جَوَادٍ غَيْرُهُ بَخِيلٌ، وَكُلُّ غَنِيٍّ غَيْرُهُ فَقِيرٌ، وَكُلُّ كَبِيرٍ غَيْرُهُ صَغِيرٌ، وَكُلُّ حَيٍّ غَيْرُهُ مَيِّتٌ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ، وَكُلُّ مَدْرُوكٍ بِالْأَبْصَارِ مَحْدُودٌ.

وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ، وَلَا أَمَدَ لَهُ وَلَا غَايَةَ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ. وَلَوْ كَانَ مَحْدُودًا لَكَانَ مُتَكَلِّفًا لِحُدُودِهِ، مُحْتَاجًا نَاقِصًا تَجَوُّزُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، وَلَوْ جَازَتْ فِيهِ الزِّيَادَةُ لَكَانَ مُحْتَاجًا نَاقِصًا، وَلَوْ جَازَ فِيهِ النُّقْصَانُ لَكَانَ مَنْقُوصًا. فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ فَيَكُونُ لَهُ مِثْلًا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ فَيَكُونُ لَهُ ضِدًّا، فَلَيْسَ إِلَّا هُوَ وَصِفَتُهُ.

ابْتَدَأَ الْخَلِيقَةَ ابْتِدَاءً لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا مِنْ أَصْلٍ يُضَافُ إِلَيْهِ أَوْ يُعْرَفُ لَهُ، فَكَانَ إِنَّمَا صَنَعَهُ هَذَا مُمْتَلِئًا وَاحْتِدَازًا لَهَا عَلَى ذَلِكَ الْمِثَالِ، بَلْ خَلَقَهَا عَلَى مَا أَرَادَ، فَلَمْ يَرُدِّدْ بِخَلْقِهِ إِنِّي هَذَا؛ إِذْ خَلَقَهَا عِلْمًا، وَلَا يَمْلِكُهُ إِنِّي هَذَا؛ إِذْ مَلَكَهَا مِلْكًا.

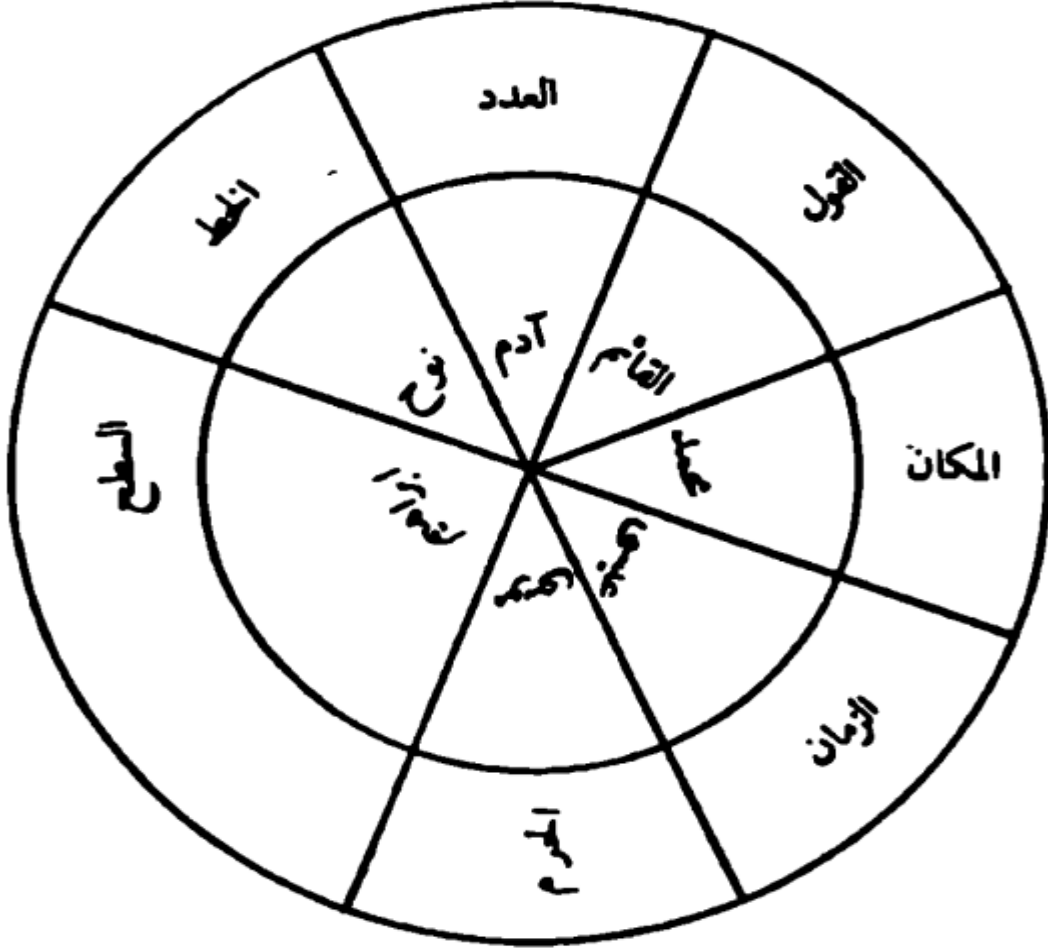
لَمْ يَكُونَهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لَخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى ضِدِّ مُكَابِرٍ، وَلَا
نِدِّ مُبَايِنٍ، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ^(١). لَمْ يَأْذُهُ خَلْقٌ مِنْ ابْتِدَاءٍ، وَلَا
مِنْ عَجْزٍ وَفْتَرَةٍ مِمَّا خَلَقَ اكْتَفَى، وَلَا مِنْ شُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا أَرَادَ وَشَاءَ، بَلْ قَضَاءُ
مُتَقَنٍّ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ. تَوَخَّذَ فِيهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَاخْتَصَّ نَفْسَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالْعِزِّ
وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ.

سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَوَخَّذَ بِالتَّحْمِيدِ، وَعَظَّمَ عَنِ التَّمْثِيلِ، وَجَلَّ عَنِ
التَّشْبِيهِ، وَعَلَا عَنِ اتِّخَاذِ الْأَوْلَادِ، وَظَهَرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ. الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَتَغَيَّرُ
وَلَا يَفْنَى، شَاهِدٌ كُلِّ نَجْوَى، وَعَالِمُ السِّرِّ وَمَا هُوَ أَخْفَى، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى
الشَّيْءِ لَا كُمُشَاهَدَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا
كَإِحَاطَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، لَمْ يَحُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنَأَ عَنْهَا
فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ، وَلَمْ يَخْلُ عَنْهَا فَيُقَالَ لَهُ أَيْنَ.

فَسُبْحَانَ الدَّائِمِ بِلَا مُدَّةٍ، وَالْبَاقِي إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ، ذِي الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، الْمُصْطَفِي مَا
يَشَاءُ بِالْمَشِيئَةِ، مُسْتَوْجِبُ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَمُسْتَحِقُّ الشُّكْرِ بِالْآلَاءِ، الَّذِي عَلَا
بِالنُّورِ وَالْبَهَاءِ، الَّذِي أَحْصَى عَدَدَ قَطْرِ الْمَطَرِ، وَنَبَتَ أَلْوَانَ الشَّجَرِ، لَا تُبْرِمُهُ
الْحَاجَاتُ، وَلَا تَحْجُبُ عَنْهُ الدَّعَوَاتُ، وَلَا يُكَافِئُهُ مَخْلُوقٌ، وَلَا حَيَوَانٌ مَرْزُوقٌ، وَلَا
تَلْمُسُهُ أَيْدِي اللَّامِسِينَ، وَلَا تُدْرِكُهُ أَعْيُنُ النَّاطِرِينَ. تَعَالَى بِالْجَلَالِ، وَتَفَرَّدَ
بِالْكِبَرِيَاءِ، ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

ملحق (٦)

دائرة خط تأليف الشريعة^(١)



العدد من أقسام الكمية وهو ينقسم إلى سبعة أقسام:

١- الخط

٢- السطح

٣- الجسم

٤- الزمان

٥- المكان: وهذه الأقسام الخمسة تكون متصلة

٦- العدد

(١) السجستاني، أثبات النبوءات، ص ١٣٠-١٣١.

٧-القول: وهذان الاثنان يكونان متصلين

وهذه الأقسام تماثل الرسالة التي تكون مشتركة بين سبعة من النطقاء هم:

١-ادم

٢-نوح

٣-إبراهيم

٤-موسى

٥-عيسى

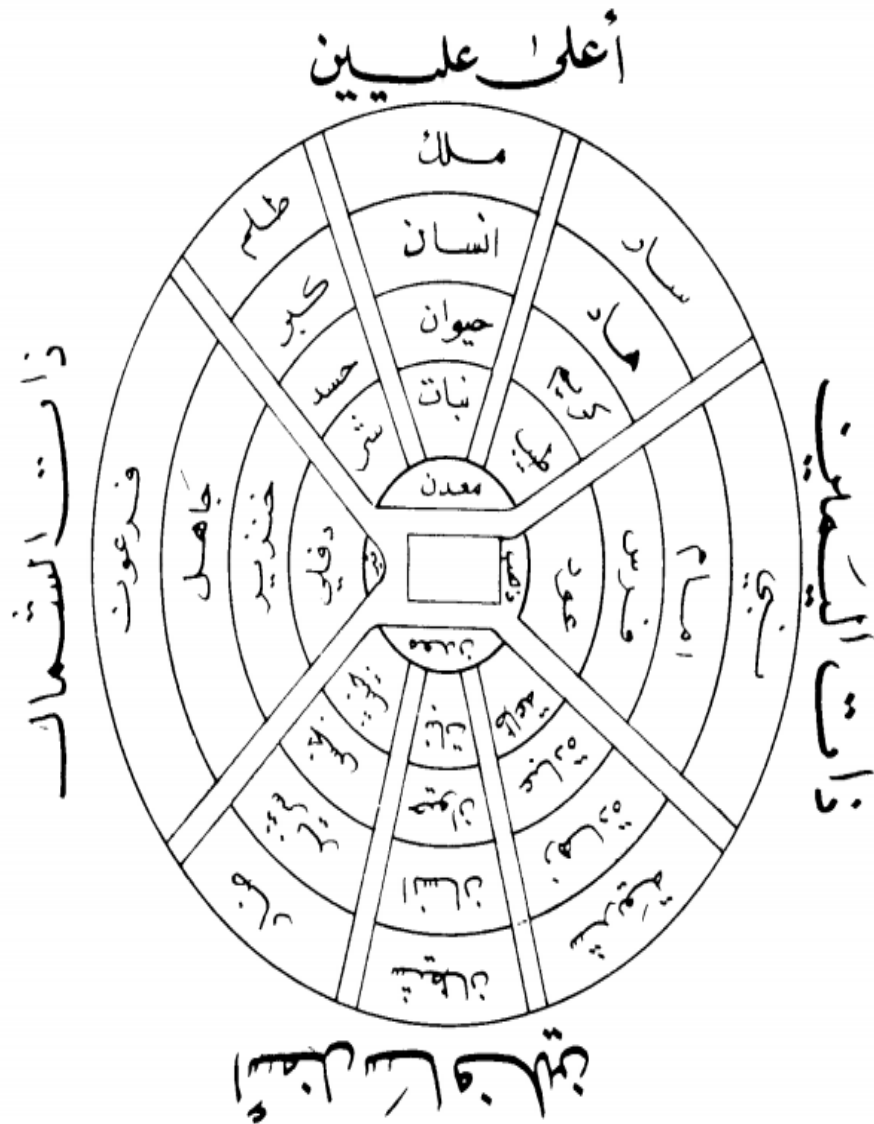
٦-محمد

٧-القائم

ووفق هذه الدائرة فأن كل حد من الحدود يمثل الناطق الذي يقابله كما موضح في الدائرة.

ملحق (٧)

دائرة الأيمان، والكفر^(١)



(١) الإمام المستور، الرسالة الجامعة، ص ٢٢٢.

ملحق رقم (٨)

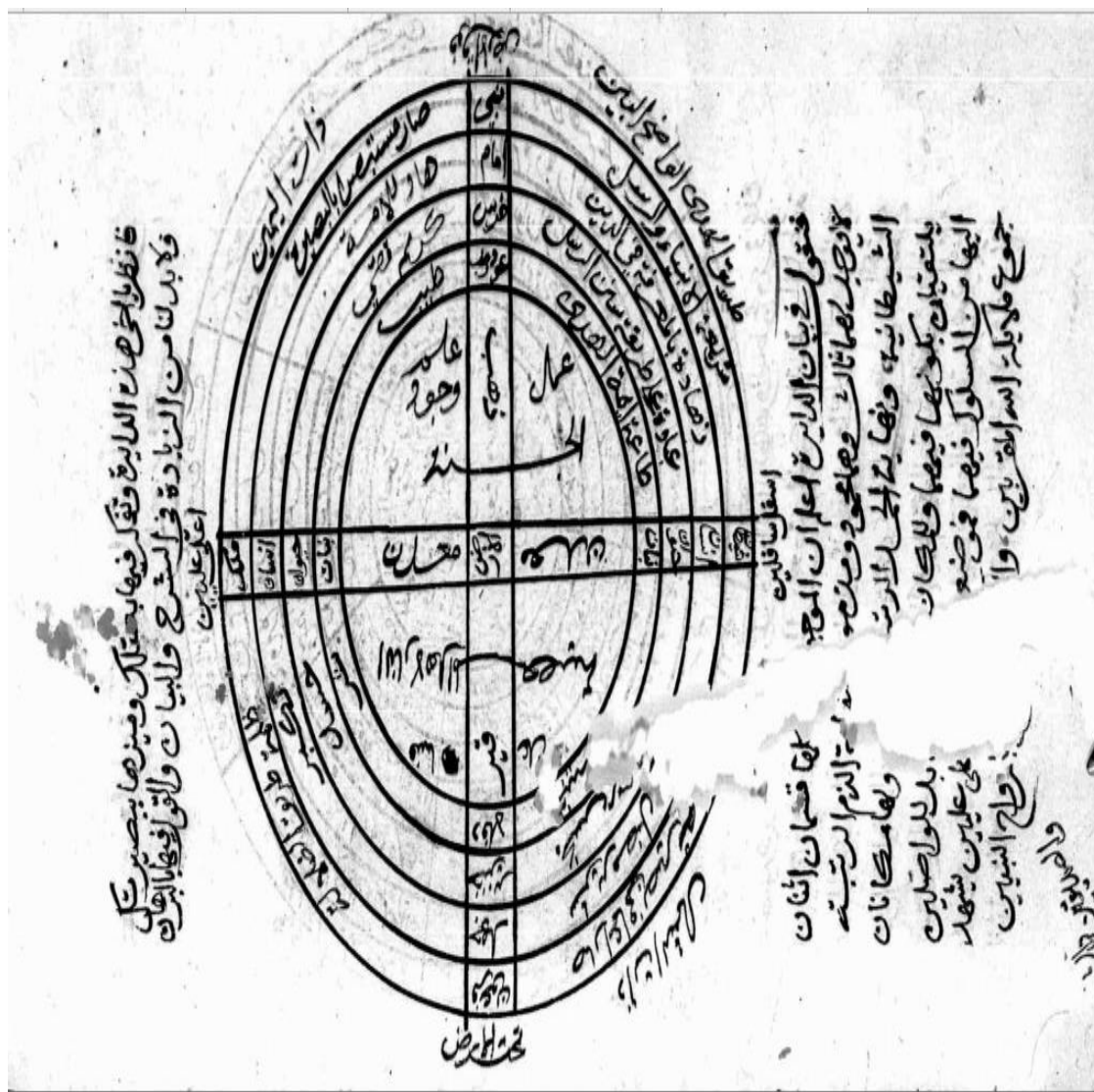
مراتب الوجود عند إخوان الصفا^(١)

- ١- الله
- ٢- العقل الفعال: وهو جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس، وأشرف منها قابل لتأييد الباري، علام بالفعل
- ٣- النفس الكلية، جوهر بسيطة روحانية، علامة بالقوة، فعالة بالطبع، قابلة فضائل العقل، بلا زمان، فعالة في الهيولى بالتحريك لها.
- ٤- الهيولى الأولى: وهي جوهر بسيطة روحانية معقولة غير علامة، ولا فعالة، بل قابلة اثار النفس بالزمان منفعة لها.
- ٥- الطبيعة الفاعلة: وهي قوة من قوى النفس الكلية، سارية في جميع الأجسام مدبرة لها، وتسمى النفوس الجزئية، أو الملائكية
- ٦- الجسم المطلق: ذو الطول، والعرض، والعمق، وهو الهيولى الثانية
- ٧- عالم الأفلاك
- ٨- العناصر السفلى كالنار، والهواء، والماء، والأرض
- ٩- المعادن، والنبات، والحيوان.

(١) الشاذلي، البيان لمباحث الإخوان، ص ٢٠-٢١.

ملحق رقم (٩)

دائرة العالم العلوي، والعالم السفلي^(١)

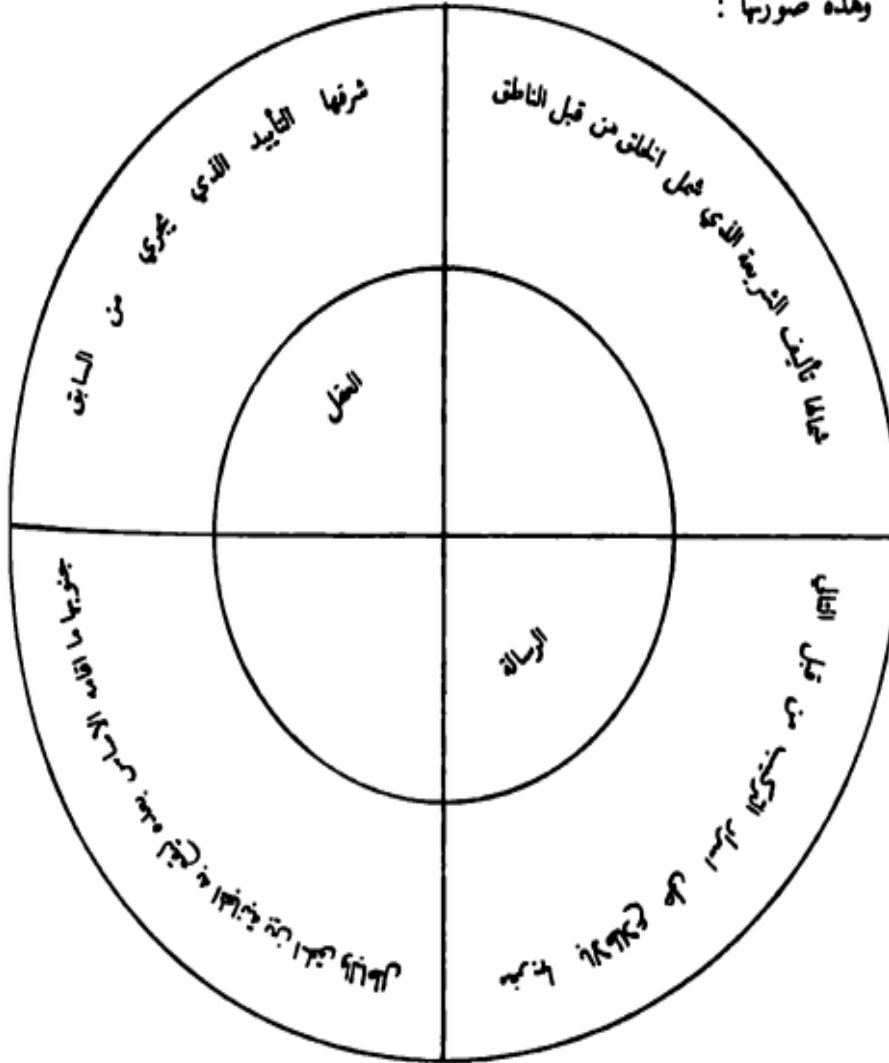


(١) مؤلف مجهول، مخطوط صندوق اللآلئ من أقوال الموالى، نسخة مصورة، ص ٣٥

ملحق (١٠)

دائرة تبين أن أفضل الرسالة أصلها عقل^(١)

ولندير لما وصفناه دائرة مشتملة على هذه الصورة لتظهر ذلك ونبين ان افضل
الرسالة اصلها عقل وقد سلك هذا الطريق المستقيم ثم استقر على التأويل ولم يتعداه.
وهذه صورتها :



(١) السجستاني، أثبات النبوءات، ص ١٢٦.

ملحق (١١)

نموذج لتأويل معنى الجن، ومعادهم، ومساكنهم، واخرتهم^(١)

آخرة الجن

ثم ان مسكن الجن الذين هم تصور الأضداد أهل الخلافات لأئمة
الادوار والعناد لا يكون الا في الآبار^(١) والحمامات والسواقي والمزابل
والكنائس وكل موضع موصغ رجس مذموم مكروه مشوم لان
مغناطيس الاخس يجذبهم الى هذه المواضع النجسة والاماكن الكدرة
النجسة ولا بد لكل امام زمان ان يعرض عليهم الولاية ويدعوهم الى
الطاعة ويعددهم ان تابوا وانا بوا منه بقبول الشفاعة فمن اقر منهم وتاب
واناب واخلص فان ذلك قد استوى العذاب الادنى واستكملة وجوزي
على حسب ما كان اقترفه وفعله فحينئذ يسلم على يد ذلك الامام ويرجع
ويتوب عما كان عليه أولا ويقلع ويحركه ذلك المقام للصعود الى خدمة
الشمس بوساطة القمر بمواصلة عمود النور لذلك الامام بالتأييد والامداد
والنظر وصار حينئذ من الجن المحمودين الحافظين لريحيات الحدود
والمؤمنين في صعودها وهبوطها ووقوفها من الجن المذمومين وهي الرموز
عليها بانها في الشمس مقيمة وان عدتها مائة الف صورة واربعون الف
صورة وانها عدة صحيحة مستقيمة واذا وفّت ما عليها من الخدمة واكملت
وتحركت للعبور الى القامة الالفية واستأنفت الدرج في المعدن والنبات
لتصل الى ذلك واستقبلت حصلت حينئذ في شيء من المأكول والمشروب
وبلغت بالحصول في القامة الالفية لتوحيد بارئها غاية الغرض المطلوب

(١) الداعي ابن الوليد، الذخيرة في الحقيقة، ص ١٤٧-١٤٨.

ويصير من حصل منهم في القامة ذا رتبة عالية ومنزلة شريفة سامية لا يخطيء بعد ذلك ولا يزل ولا يتغير ولا يضل لانه قد وفى ما وجب عليه من الخدمة واستوفى منه عما جناه في سالف الدهر من جحد نعمة ارباب النعمة وكل من دخل منهم في الاسلام واستجاب لدعوة كل ناطق ووصى وامام فانه يقيم في خدمة الشمس الى أن يحصل الوقت الذي انكر فيه صاحب الرتبة الذي كان صاحب ذلك الاوان من ناطق او وصي وامام زمان فلا خلاص له الا على يد صاحبه الذي انكره بعد معرفته برتبته وبعد ان يكشف عن ظلام الجهل بصره وذلك ان فضلات الحدود والمؤمنين التي في ذلك الوقت الذي انكر فيه ذلك المنكر ناطق ذلك للوقت او وصية امام زمانه تأتي في مثل وقته وذلك ويكونون هم صاحب تلك الرتبة فيكون خلاص ذلك الشخص في وقته ذلك وحينه لا يزيد ولا ينقص ولا يأتي في وقت غير وقته ولا ينفك مما هو فيه الا في وقته ولا يخلص فاما التصور الخبيث الذي لم يتب ، فانه نهاية شر مقابلة لنهاية^(١) الخير، وهي التي ترمي العالم بكل مكروه وضر ، وهي التي يستعاذ منها ويخاف شرها وتعمل العوذ والأدعية لأجلها .

ملحق (١٢)

قصيدة الداعي المؤيد في الدين الشيرازي إلى الخليفة المستنصر

كان الشعر، ولا يزال يمثل سجلاً مهماً لقراءة الحدث التاريخي، وتعد هذه القصيدة، واحدة من القصائد المهمة التي توضح لنا مكانة الداعي ومنزلته في العلم، ونشر الدعوة من جهة؛ وتبين أحوال الناس، والخلافة في عهد الخليفة المستنصر، مما دفع به إلى توجيه الأمر لداعي الدعاة لكي يتابع أوضاع الناس، وينشر علومهم في الأفاق.

القصيدة الستون

وقال قدس الله روحه لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين :

أقسم لو أنك توجّعتني	بناج كسرى ملك المشرق
ونلتني كل أمور الوري	من قد مضى منهم ومن قد بقي
وقلت أن لا نلتني ساعة	أجبت يا مولاي أن نلتني
لأن إبعادك لي ساعة	شيب فودى ^(١) مع المفرق

فأجابه المستنصر :

يا حجة مشهورة في الوري	وطود علم أعجز المرتقى
ما غلقت دونك أبوابنا	إلا لأمر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملالا فتق	بودنا وارجع إلى الأليق
خفنا على قلبك من صمعه	فصدنا صدأ أب مشفق
شيعتنا قد عدموا رشدهم	في الغرب يا صاح وفي المشرق
فأنشروا لهم ما شئت من علما	وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت في دعوتنا آخرا	فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس ولا من بقي

قائمة المصادر
والمراجع والدوريات

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية

١-المخطوطات

أ-المخطوطات الإسماعيلية (الفاطمية).

الداعي جعفر بن منصور اليمن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).

١- الفترات والقرانات، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

٢- مخطوط تأويل الزكاة، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• الحارثي، طاهر بن إبراهيم (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٤م).

٣- مجموع التربية، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• الحامدي، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦هـ / ١١٧٩م).

٤- الإحسان في معنى الإنسان، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• الداعي الكرمانلي، أحمد حميد الدين (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م).

٥- الهادي والمهتدي، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

٦- الرسالة الوضعية، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• الداعي ابن الوليد، علي بن محمد الآنف العبشمي (ت: ٦١٢هـ / ١٢١٥م).

٧- مختصر الأصول، نسخة خطية مصورة من مكتبة التراث الإسماعيلي.

٨- جلال العقول وزبدة المحصول، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• مؤلف مجهول

٩- صندوق اللآلئ من أقوال الموالى، نسخة خطية مصورة في مكتبة الدكتور حيدر الكربلائي المشرف على الأطروحة

• مؤلف مجهول

١٠- خطوط الإباء والأمهات، نسخة خطية مصورة في مكتبة الأستاذ المشرف الدكتور حيدر الكربلائي.

ب-المخطوطات العامة

- البياضي، زين الدين بن يونس (ت: ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م)
- ١١- الصرائط المستقيم إلى مستحقى التقديم، نسخة خطية مصورة في مكتبة التراث الشيعي.
- التستري، جعفر (ت: ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)
- ١٢- الحقائق الحسينية، نسخة خطية مصورة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.
- الحميري النجفي، محمد بن فرج (ت: بحدود ق ١١هـ)
- ١٣- أبواب الجنان، والرسائل الثمان، نسخة خطية مصورة في مكتبة التراث الشيعي.
- الحر العاملي، احمد بن الحسن (ت: ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م)
- ١٤- الدر المسلوكة في أحوال الأنبياء والأوصياء والملوك، نسخة خطية مصورة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.

ثانياً: المصادر الأولية المطبوعة

أ-المصادر الإسماعيلية الفاطمية

- الداعي ادريس، عماد الدين بن الحسن بن عبد الله القرشي (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٤م).
- ١٥- رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة في نصف شهر رجب، تحقيق: الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي، ط ١، (بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠٢٤م).
- ١٦- زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، ط ١، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٩١م).
- ١٧- عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: مصطفى غالب، ط ٢ (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م).
- إخوان الصفا (من أعلام القرن الرابع الهجري).
- ١٨- جامعة الجامعة، تحقيق: عارف تامر، ط ٢، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة).
- ١٩- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط ١، (بيروت: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢م).
- ٢٠- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مراجعة خير الدين الزركلي، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨). ج ١، ص ٣٤٢.

- أبو تميم المعز لدين الله الفاطمي المعز (ت: ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م).
- ٢١- أدعية الأيام السبع، تحقيق: إسماعيل قربان حسين بوناوالا، ط١، (بيروت: دار الغرب، ٢٠٠٦ م).
- الداعي جعفر، جعفر بن منصور اليمن الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي، (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م).
- ٢٢- سرائر وأسرار النطقاء، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤ م).
- ٢٣- العالم والغلام، نشر ضمن كتاب أربع كتب حقانية، تحقيق: مصطفى غالب، ط٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧ م).
- ٢٤- الكشف، تحقيق: شتروطمان، ط١، (باريس: دار بيبليون، ٢٠٠٨).
- الحارثي، طاهر بن إبراهيم (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م).
- ٢٥- الأنوار اللطيفة في حقيقة الفلسفة الفاطمية، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط١، (القاهرة: الهيئة المصرية، ١٩٧٠ م).
- الحامدي، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦ هـ / ١١٧٩ م)،
- ٢٦- تحفة القلوب وفرجة المكروب، تحقيق: عباس همداني، ط١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٢ م).
- ٢٧- تنبيه الغافلين، تحقيق: عمرو بن معد يكرب الهمداني، ط١، (اليمن: الدار المحمدية الهمدانية، ٢٠١٣ م).
- ٢٨- المجلس الأزهر في فضل صاحب الكوثر وذكر العيد الأزهر في يوم النص الأشهر، تحقيق: الأستاذ الدكتور حيدر محمد عبد الله الكربلائي، ط١، (بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية، ٢٠٢٠ م).
- الحامدي، إبراهيم بن الحسن (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م).
- ٢٩- كنز الولد، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٤١٦ هـ).
- ابن حوشب، منصور اليمن الحسن بن فرج (ت: ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م).
- ٣٠- الرشد والهدية، نشر محمد كامل حسين (لندن: بلا، د.ت).
- أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان (٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م).
- ٣١- أعلام النبوة، تحقيق: صلاح الصاوي وعلام رضا أعواني، ط٢، مؤسسة حكمت وفلسفه إيران، (طهران، ١٣٨١ هـ).

- السجستاني، أبو يعقوب أسحاق (ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م).
- ٣٢- الاختار، تحقيق: إسماعيل قربان حسين بونا والا، ط١، (بيروت: دار الغرب، ٢٠٠٠م). ص ١٥٦-١٥٧.
- ٣٣- أثبات النبوءات، تحقيق: عارف تامر، ط٢ (بيروت: دار الشرق، ١٩٨٦).
- ٣٤- الينابيع، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٥م).
- ٣٥- رسالة الغريب في معنى الأكسير، تحقيق حيدر محمد عبد الله الكربلائي، نشر ضمن كتابان فلسفيان، ط١، (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٠م).
- ٣٦- تأليف الأرواح، تحقيق حيدر محمد عبد الله الكربلائي، نشر ضمن كتابان فلسفيان، ط١، (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٠م).
- السهر وردي، شهاب الدين يحيى (ت ٥٨٧هـ).
- ٣٧- رسالة هياكل النور، ط١، نشر نقطه، (طهران، ١٣٧٩هـ).
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨هـ / ١٠٢٦م).
- ٣٨- الشفاء، تحقيق: الأب قنواي ومحمود الخضير وفؤاد الإهواني، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٢م).
- الشاذلي، أبو منصور اليماني (مجهول - الوفاة).
- ٣٩- البيان لمذاهب الإخوان، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: بلا، ١٩٥٦م).
- الفارابي، أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت: ٣٣٩).
- ٤٠- فصوص الحكمة (شرح الغازاني وحواشي الداماد). تحقيق: علي اوجبي، ط١، انجمن آثار ومفاخر فرهنگي، (تهران، ١٣٨١هـ).
- الداعي أبو فراس، شهاب الدين نصر بن ذي الجوش (ت ٨٨٣هـ / ٤٧٩م).
- ٤١- مطالع الشموس في معرفة النفوس، نشر ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، (بيروت: دار الحياة، ١٩٧٨م).
- القاضي النعمان المغربي، أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (ت: ٣٦٣هـ / ٩٧٣م).
- ٤٢- المجالس والمسائرات، تحقيق: حبيب الفقي، وآخرون، ط١، دار المنتظر، (بيروت، ١٩٩٦م).
- ٤٣- أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، ط١ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م).
- ٤٤- تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط٢، (القاهرة: دار المعارف).

- ٤٥- المناقب والمثالب، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، (بيروت: منشورات الاعلمي، ٢٠٠٢م).
- ٤٦- افتتاح الدعوة، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).
- ٤٧- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، تحقيق: أصف بن علي فيضي الهمداني، ط١، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م).
- ٤٨- كتاب التوحيد، تحقيق: محمد مهدي غفوري، ط١، (قم، حكمت فراز، ١٤٠٠م).
- ٤٩- شرح الأخبار في معرفة الأئمة الأطهار، ط٢، تحقيق: محمد حسن الجلاي، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٤هـ).
- الداعي الكرمانى، أحمد حميد الدين (ت ٤١١هـ/ ١٠٢٠م).
- ٥٠- راحة العقل، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد حلمي، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٢م).
- ٥١- المصابيح في أثبات الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار المنتظر، ١٩٩٦م).
- ٥٢- الرسالة الموسومة باللازمة لصوم شهر رمضان، نشرت ضمن كتاب مجموعة الرسائل، تحقيق: مصطفى غالب، ط٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٨م).
- ٥٣- رسالة المباسم والبشارات، نشرت ضمن كتاب مجموعة رسائل الكرمانى، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٣م).
- ٥٤- الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار، نشرت ضمن كتاب مجموعة الرسائل، ط٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٧م).
- الإمام المستور، احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت: ١٧٩هـ/ ٧٩٦م).
- ٥٥- الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق: مصطفى غالب، ط٢، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر).
- الداعي المؤيد، أبو نصر هبة الله بن أبي عمران بن موسى بن داود (ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م).
- ٥٦- المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي، تحقيق: محمد عبد القادر عبد الناصر، ط١، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م).
- ٥٧- المجالس المؤيدية، تحقيق: محمد عبد الغافر، ط١، (القاهرة: مطبعة مدبولي، ١٩٩٤م).
- ٥٨- المجالس المؤيدية المائة الأولى، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٥م).

- ٥٩- المجالس المؤيدية المائة الثالثة، تحقيق: مصطفى غالب، ط١، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٥م).
- ٦٠- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، ط١، دار الكاتب المصري، (القاهرة، ١٩٤٩م).
- النيسابوري، أحمد بن إبراهيم (ت: في القرن الخامس الهجري).
- ٦١- أثبتت الإمامة، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٩٦م).
- الداعي ابن الوليد، علي بن محمد الأنف العبشمي (ت: ٦١٢ هـ / ١٢١٥م).
- ٦٢- تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، ط٢، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٢م).
- ٦٣- الذخيرة في الحقيقة، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، ط١، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م).
- ٦٤- جلال العقول وزبدة المحصول، نشر ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، تحقيق: عادل العوا، ط١، (بيروت: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨م).
- مؤلف مجهول،
- ٦٥- رسالة الاسم الأعظم، نشرت ضمن كتاب أربع كتب إسماعيلية، تحقيق: شتر وطمان، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م).
- مؤلف مجهول،
- ٦٦- مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار، نشر منها كتاب أربع كتب إسماعيلية، تحقيق: شتر وطمان، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م).
- مؤلف مجهول،
- ٦٧- رسالة الاسم الأعظم، نشرت ضمن كتاب أربع كتب إسماعيلية، تحقيق: شتر وطمان، (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٩م).
- ب-المصادر الأولية العامة
- ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك، مجد الدين بن محمد الشيباني (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩م).
- ٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م).
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م).

- ٦٩- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٩٧م) ..
- الاسترآبادي، شرف الدين علي (ت: ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م).
٧٠- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، والنشر، (قم: مطبعة أمير للطباعة ١٤٠٧ هـ) ..
 - ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي (١٥١ هـ / ٧٦٨ م).
٧١- سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي). تحقيق: سهيل زكار، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م) ..
 - ابن اعثم الكوفي، احمد أبو محمد عثمان (ت: ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م).
٧٢- الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١، (بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م) ..
 - الأشعري، علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م).
٧٣- مقالات إسلامية واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، ط٣، (المانيا: دار فرانز شتايز، ١٩٨٠م) ..
 - الأزهرى، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠ هـ).
٧٤- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ..
 - أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١ هـ).
٧٥- تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (د. م: دار الثقافة العربية، د. ت) ..
 - ابن إدريس الحلبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م).
٧٦- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، ط١، (النجف الأشرف: مكتبة الروضة الحيدري، ٢٠٠٨م) ..
 - الآملي، حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني (ت: ٧٨٢ هـ) ..
٧٧- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق: محسن موسوي تبريزي، ط٣، (قم: نور على نور، ١٤٢٢ هـ).
• الأربلي، علي بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م).

- ٧٨- كشف الغمة في معرفة الأئمة، (بيروت: دار الأضواء، د. ت).
- الأمدي، علي بن محمد (ت: ٦٣١هـ).
- ٧٩- الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ط٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ).
- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)،
- ٨٠- الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، ط١، (الرياض: دار الراجعية للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).
- البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (٨٤٠هـ - ١٤٣٦م).
- ٨١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط١، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٩٩٩م).
- الإمام الحسين بن علي عليه السلام (ت ٦١هـ / ٦٨١هـ).
- ٨٢- تفسير الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: السيد محمد علي الحلو، ط١، (كربلاء: إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠هـ).
- حسام الدين السُّعْنَاقِي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م).
- ٨٣- الكافي شرح البيروني تحقيق: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه)، ط١، (د. م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م)، ج٣، ص ١٥٦٢
- ٨٤- مجموعة مصنفات في الخيمياء والإكسير الأعظم، تحقيق: بيير لوري، أرك هولميوار، ط١، (بيروت: دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٨م)، ص ٤٠
- أبي حمزة الثمالي، ثابت بن دينار (ت: ١٤٨هـ / ٧١١م).
- ٨٥- تفسير أبي حمزة الثمالي، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط١، (قم: دفتر نشر الهادي، ١٤٢٠هـ).
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ - ٩٣٨م).
- ٨٦- تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم = تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ).
- ابن حنبل، أبو عبد الله هلال بن أسد الشيباني.
- ٨٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط١، (د. م، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).
- ابن حبان، أحمد بن محمد سعيد، (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م).

- ٨٨- فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: حرز الدين وعبد الرزاق محمد حسين، ط١، (قم: دليل ما، ١٤٢٤هـ).
- البرسي، رضي الدين بن رجب (٨١٣هـ / ١٤١١م).
- ٨٩- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: السيد علي عاشور، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٠م).
- البخاري محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ - ٨٦٩م).
- ٩٠- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (مصر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)..
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
- ٩١- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م).
- البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م).
- ٩٢- ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- ٩٣- الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١، (جدة: مكتبة السوادي، ١٩٩٣م).
- البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ - ١١١٦م).
- ٩٤- شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م).
- ٩٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، ط٤، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).
- أبو بصير الأسدي، عبدا الله بن محمد (ت: ١٥٠هـ / ٧٦٧م).
- ٩٦- مسند أبي بصير، تحقيق: مسند أبي بصير، ط١، (قم: دار الحديث، ١٤٢٥هـ).
- البرقي، احمد بن محمد خالد (ت: ٢٧٤هـ / ٨٨٧م).
- ٩٧- المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ).
- بطل الركبي، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان (ت ٦٣٣هـ / ١٢٢٦م).

- ٩٨- النظم المستعذب في تفسير غريب الفاظ المذهب، تحقيق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، مكة المكرمة: المكتبة التجارية، (١٩٨٨ م).
- ابن بأبويه القمي، علي بن الحسين (ت ٣٢٩هـ/٩٤١م).
- ٩٩- الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط١، (قم: مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٤هـ).
- الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م).
- ١٠٠- سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٣م).
- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م).
- ١٠١- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٣، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م).
- التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت: ٢٨٣هـ/٨٤٧م).
- ١٠٢- تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ).
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحق (ت ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م).
- ١٠٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، ط١، (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
- الثعلبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ/١٤٧١م).
- ١٠٤- تفسير الثعلبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦هـ - ٤١٣م).
- ١٠٥- التعريفات، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- الجيلاني، عبد القادر (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م).
- ١٠٦- الفتح الرباني والفيض الرحمانی، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م).
- الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت: ٢٢٧هـ/٨٤٢م).
- ١٠٧- التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ط١، (د. م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨م).
- ١٠٨- العثمانية، عبد السلام محمد هارون، ط١، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
- أبو الجارود، زياد بن المنذر (ت: بعد ١٦٠هـ/٧٧٧م).
- ١٠٩- تفسير أبي الجارود ومسنده، تحقيق: علي شاه علي زاده، ط١، (قم: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٣٤هـ).
- الجوهرى، أبو نصر أسماعيل بن حماد الفارابي (٣٩٣هـ-١٠٠٢م).
- ١١٠- الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ-١٢٠٠م).
- ١١١- غريب الحديث، تح: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
- ابن أبي جمهور الأحسائي، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم (٨٨٠هـ/١٤٧٦م).
- ١١٢- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، (قم: مطبعة سيد الشهداء، ١٩٨٣م).
- الإمام الحسن العسكري، أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد (ت: ٢٦٠هـ-٨٧٤م).
- ١١٣- تفسير الإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع). ط١، (قم: مدرسة الإمام المهدي (ع). ١٤٠٩هـ).
- العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٥م).
- ١١٤- تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام). لأحياء التراث، ط١، (قم: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام). لأحياء التراث، ١٤١٤هـ).
- ١١٥- نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، (قم، ١٤٢٦هـ).
- ١١٦- نهج الحق وكشف الصدق، تحقيق: السيد رضا الصدر والشيخ عين الله الحسني، (قم: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة، ١٤٢١هـ).
- ١١٧- منتهى المطالب في تحقيق المذهب، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٩هـ).
- الحلي، حسن بن سليمان (٨٠٢هـ/١٤٠٠م).

- ١١٨- مختصر بصائر الدرجات، ط١، (النجف الأشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠ م).
- ١١٩- المحتضر، تحقيق: سيد علي أشرف، ط١، (النجف الأشرف: انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ).
- السيد الحميري، إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة (ت: ١٧٣هـ / ٧٨٩م).
- ١٢٠- ديوان السيد الحميري، تحقيق وتصحيح: ضياء حسين أعلمي، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ١٩٩٩م).
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت: ٤٠٥هـ - ١٠١٤م).
- ١٢١- المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي (ت: ٣٥٤هـ - ٩٦٥م).
- ١٢٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨ م).
- ١٢٣- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، (بيروت: الكتب الثقافية، ١٤١٧ هـ).
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م).
- ١٢٤- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ط١، (السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩هـ).
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م).
- ١٢٥- جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (مصر: دار المعارف، ١٩٠٠م).
- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (ت: ١٥٠هـ / ٧٦٧م).
- ١٢٦- الفقه الأكبر، ط١، (الإمارات: مكتبة الفرقان، ١٩٩٩م).
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- ١٢٧- تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: مطبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).
- الخطيب الشربيني: محمد بن أحمد الشافعي (ت: ٩٧٧هـ / ١٥٧١م).
- ١٢٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، د.ت).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت: ٧٤١هـ / ١٣٤١م).

- ١٢٩- تفسير الخازن= لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).
- الديلمي: محمد بن الحسن اليماني (من أعلام القرن الثامن الهجري).
- ١٣٠- غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأطهار (ع). تحقيق: إسماعيل الضيغم، ط١، (قم: منشورات دليل ما، ١٤٢٧ هـ).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م).
- ١٣١- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م).
- ١٣٢- العلو للعلي الغفاري في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥ م).
- ١٣٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢ م).
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م).
- ١٣٤- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩ م).
- الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني (ت: ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م).
- ١٣٥- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عطاردي قوچانی وعزيز الله، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ).
- الرواندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م).
- ١٣٦- الخرائج والجرائح، تحقيق: السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، ط١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م).
- ١٣٧- المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، منشورات ذوي القربى، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢ هـ).
- ابن رستم الطبري، محمد بن جرير (ت: القرن الرابع الهجري).
- ١٣٨- دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة، ط١ (قم: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ).

- ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (المتوفى: ٥٩٥ هـ - 1198 م).
- ١٣٩- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ط١، (بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م).
- فصل المقال، تحقيق: محمد عمار، ط٢، (د. م، دار المعارف، د. ت).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م).
- ١٤٠- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء الكتاب العربي، ١٩٥٧م).
- ١٤١- البحر المحيط في أصول الفقه، ط١، (د. م: دار الكتبي، ١٩٩٤م).
- الإمام زين العابدين بن الحسين عليه السلام (ت: ٩٤ هـ / ٧١٣ م).
- ١٤٢- الصحيفة السجادية، تحقيق: السيد محمد باقر الموحّد الابطحي الأصفهاني، ط١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي (ع) للطباعة والنشر، ١٤١١ هـ).
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م).
- ١٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ م).
- ١٤٤- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).
- زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢ هـ - ٧٤٠ م).
- ١٤٥- مسند زيد بن علي بن الحسين، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة).
- السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م).
- ١٤٦- تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم؛ ط١، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧م).
- ١٤٧- الأنساب، تحقيق: عبد الله بن عمر البارودي، ط١، (بيروت: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م).
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م).
- ١٤٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام السلمي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢ هـ).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م).
- ١٤٩- الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، د. ت).

- ١٥٠- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، ط١، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤ م).
- السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (٩٢٦ هـ = ١٥٢٠ م).
- ١٥١- الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: د. مازن المبارك، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١ هـ).
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: ٤٨٣ هـ/ ٩٩٣ م).
- ١٥٢- أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، ط١، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٩٩٣ م).
- السراج الطوسي، أبو نصر عبد الله بن علي (ت ٣٧٨ هـ/ ٩٨٩ م).
- ١٥٣- اللمع في التصوف، تحقيق: رنولد ألن نيكلسون، (لندن: مطبعة بريل في مدينة لندن، ١٩١٤ م).
- السهروردي، عمر (ت: ٦٣٢ هـ/ ١١٨٢ م).
- ١٥٤- عوارف المعارف، تحقيق: أ. د أحمد عبد الرحيم السايح المستشار وتوفيق على وهبة، ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦ م).
- السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام (ت: ٧٥٦ هـ، ١٣٥٥ م).
- ١٥٥- الإبهاج في شرح المنهاج (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م).
- ابن سيرين، أبو بكر محمد البصري (ت: ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م).
- ١٥٦- منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ط١، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٠ م).
- سبط ابن الجوزي شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزا (ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٤٦ م).
- ١٥٧- ، تذكرة الخواص، ط١، (قم: الشريف الرضي، ١٤١٨ هـ).
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م).
- ١٥٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت).
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م).
- ١٥٩- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م).

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت ٤٥٨ هـ - ١٠٦٥ م).
- ١٦٠ - المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م).
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن أدري بن العباس (ت ٢٠٤ - ٨١٩ م).
- ١٦١ - الأم، بلا، (بيروت: دار المعرفة ١٩٩٠ م).
- ١٦٢ - الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (ت: ٧٩٠ هـ).
- ١٦٣ - الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، (د. م، دار ابن عفان، ١٩٩٧ م).
- الشيباني، محمد بن الحسن (ت: ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م).
- ١٦٤ - نهج البيان عن كشف معاني القرآن، تحقيق: حسين درگاهي، ط ١، (قم: نشر الهادي، ١٤١٩ هـ).
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م).
- ١٦٥ - تفسير الشهرستاني = مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، تحقيق: محمد علي آذرشب، ط ١، (طهران: مركز البحوث والدراسات للتراث، ٢٠٠٨ م).
- ١٦٦ - الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ج ١، ص ١٠٤.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م).
- ١٦٧ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م).
- الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦ هـ - ١٠٧٠ م).
- ١٦٨ - رسائل الشريف المرتضى، الآيات الناسخة والمنسوخة (من رواية النعماني)، ط ١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٤٢١ هـ).
- الشريشي، أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى (ت: ٦١٩ هـ / ١٢٢٣ م).
- ١٦٩ - شرح مقامات التحرير، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م).
- شمس الدين الشهر زوري (ت: بعد القرن 7).
- ١٧٠ - شرح حكمة الإشراق، حسين ضيائي تربتي، ط ١، (طهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگی، ١٣٧٢ م).

- ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ - ١٢٩٢ م). مناقب آل أبي طالب، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ١، (قم: مؤسسة انتشارات علامة، ١٣٧٩ م).
- ابن شاذان، سديد الدين بن جبرئيل القمي (٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م). ١٧١ - الروضة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام). تحقيق: علي الشكرجي، ط ١، (د. م، مركز الأمير، ١٤٢٣ هـ).
- ابن أبي شيبعة، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م). ١٧٢ - المصنف، تحقيق: سعيد اللحام، ط ١، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م).
- ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، (ت: ق ٤ هـ). ١٧٣ - تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ).
- أبي عبد الله الصادق، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٤٨ هـ / ٧٦٦ م). ١٧٤ - الإهليلجة، تحقيق: الشيخ قيس العطار، ط ١، (قم: منشورات دليل ما، ١٣٨٥ هـ).
- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م). ١٧٥ - علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، (النجف الأشرف: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٩٦٦ م).
- ١٧٦ - التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين).
- ١٧٧ - كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥ هـ).
- ١٧٨ - معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٣٨ هـ). ص ٥١؛
- ١٧٩ - عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الاعلمي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، ١٩٨٤ م).
- ١٨٠ - من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين).

- ١٨١- فضائل الشيعة، تحقيق: الشيخ احمد الماحوزي، (مركز أهل الذكر لنشر تراث أهل البيت عليهم السلام). ص ٩٩-١٠٠؛
- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت: ٢٩٠هـ / ٩٠٢ م).
- ١٨٢- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، تحقيق: ميرزا حسن كوجه، (طهران: مؤسسة العلمي للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ).
- ابن أبي نصر البقلي، أبي محمد صدر الدين روزبهان (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).
- ١٨٣- عرائس البيان في حقائق القرآن، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
- صاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني (ت 385هـ \ ٩٩٥م).
- ١٨٤- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط١، (بيروت، ١٤١٤هـ).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م).
- ١٨٥- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، (مؤسسة الرسالة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م).
- ١٨٦- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط٢، (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧ هـ).
- الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ - ٩٧٠م).
- ١٨٧- الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).
- ١٨٨- التفسير الكبير = تفسير القرآن العظيم، ط١، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨م).
- الشيخ الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).
- ١٨٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، (بيروت: منشورات مؤسسة الاعلمي، ١٤١٥هـ).
- ١٩٠- مختصر مجمع البيان، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٣هـ).
- ١٩١- الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، (النجف: دار النعمان للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م).
- الشيخ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ - ١٠٦٧م).

- ١٩٢- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي). تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (د. م، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، د. ت).
- ١٩٣- الأمالى، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، دار الثقافة، (قم: مؤسسة البعثة، ١٤١٤ هـ).
- ١٩٤- التيبان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٩ هـ).
- ابن طاووس، أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد (ت ٦٦٤ هـ - ١٢٦٦ م).
 - ١٩٥- سعد السعود، (قم: منشورات الرضى، ١٣٦٣ هـ).
 - ١٩٦- طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء، تحقيق: الشيخ قيس العطار، ط١، (مشهد: انتشارات تاسوعاء، ١٤٢٠ هـ).
 - ١٩٧- أقبال الأعمال، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، ط١، (مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٦ هـ).
 - الإمام علي بن أبي طالب (٤٠ هـ / ٦٦١ م).
 - ١٩٨- نهج البلاغة، تحقيق: الشريف الرضي، صبحي الصالح، ط١، (بيروت: بلا، ١٩٦٧ م).
 - العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي (ت ٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م).
 - ١٩٩- تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، ط١، (طهران: المكتبة العلمية، ١٣٧٤ هـ).
 - ابن العربي المعافري، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م).
 - ٢٠٠- قانون التأويل، ت: محمد السليمانى، ط١، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٩٨٦ م).
 - العراقي، الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم (٨٠٦ هـ / ١٤٠٤ م).
 - ٢٠١- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ط١، دار ابن حزم، (بيروت: دار العاصمة، ٢٠٠٥ م).
 - أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م).
 - ٢٠٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣ م).
 - ابن العطار علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان (ت: ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م).

- ٢٠٣- الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق: الدكتور سعد بن هليل الز ويهري، ط١، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١١ م).
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ - ١٣٧٣م).
- ٢٠٤- اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ط١، العلمية (بيروت، دار الكتب، ١٩٩٨م).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م).
- ٢٠٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري، ط١، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ).
- ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت ٥٤٢هـ / ١٢٤٢م).
- ٢٠٦- تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).
- ابن عطية: أبو الهيجاء مقاتل (ت ٥٠٥ هـ / ١١٠٨ م).
- ٢٠٧- أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، تحقيق: الشيخ محمد جميل حمود، ط١، للمطبوعات، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٢م).
- العطار، فريد الدين النيسابوري (ت: ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م).
- ٢٠٨- تذكرة الأولياء، تحقيق: محمد أديب الجادر، ط١، (دمشق: دار المكتبي، ١٤٣٠هـ).
- ابن العلامة، محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، (ت: ٧٧٠هـ / ١٣٢٦م).
- ٢٠٩- إيضاح الفوائد، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى وآخرون، ط١، (قم: المطبعة العلمية، ١٣٨٧ هـ).
- أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت: ٤٤٤هـ / ١٠٥٣م).
- ٢١٠- الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، (دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٧ م).
- أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي، (ت: ٣٣٣هـ / ٩٤٥ م).
- ٢١١- المحن، تحقيق: د عمر سليمان العقيلي، ط١، (الرياض: دار العلوم، ١٩٨٤م).
- ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد (ت: ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م).
- ٢١٢- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، (د. م، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ).

- ابن العتائقي الحلبي، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م).
 ٢١٣- مختصر تفسير القمي، تحقيق: حسيني جلالى ومحمد جواد، ط١، (قم: مؤسسه علمي
 فرهنگى دار الحديث، ١٤٣٢هـ).
- عز الدين الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله الحنبلي (٦٦١ هـ / 1262م).
 ٢١٤- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش،
 ط١، (مكة المكرمة: مكتبة الأسد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).
- الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الحنفي (ت: ٥٩٣هـ / ١١٩٧م).
 ٢١٥- أصول الدين، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، ط١، (بيروت: دار البشائر
 الإسلامية، ١٩٩٨).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ / ١١٠٨م).
 ٢١٦- فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ط١، (بيروت: دار المنهاج، ٢٠١٧م).
 ٢١٧- فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية،
 ب.ت).
- ٢١٨- قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، ط٢، (لبنان: عالم الكتب، ١٩٨٥م).
 ٢١٩- المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١، (ب. م، دار الكتب العلمية،
 ١٩٩٣م).
- أبو غالب الزراري، أحمد بن محمد بن محمد (ت: ٩79هـ / 368م).
 ٢٢٠- رسالة في آل أعين، تحقيق: السيد محمد علي الموسوي الموحد الابطحي الاصفهاني،
 (ب. م، بلا، ب.ت).
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ - ١٤١٤م).
 ٢٢١- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، أشراف: محمد نعيم
 العرقسوسي، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م).
- الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري، (ت ٧٧٠هـ / ١٣٧٠م).
 ٢٢٢- المصباح المنير، (بيروت: المكتبة العلمية، ب. ت).
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ - ٧٨٦م).
 ٢٢٣- كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. أبراهيم السامرائي، (ب. م: دار ومكتبة
 الهلال، د.ت).
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢هـ - ١٤٢٩م).

- ٢٢٤- مسند الإمام الرضا، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، ط١، (د. م: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الاسلامي، ١٤١٨هـ).
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١ م).
- ٢٢٥- معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة، بلا، د.ت).
- الفتال النيسابوري، محمد (ت: ٥٠٨هـ / ١١١٥ م).
- ٢٢٦- روضة الواعظين، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، (قم: انتشارات رضى، د.ت).
- الفقيه، يوسف بن الأحمد بن عثمان (٨٣٢هـ / ١٤٢٩ م).
- ٢٢٧- تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، ط١، (صعدة: مكتبة التراث الإسلامي ٢٠٠٢م).
- فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢ / 936م).
- ٢٢٨- تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، (طهران: مؤسسة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٠م).
- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م).
- ٢٢٩- المحصول، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).
- ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م).
- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، تحقيق: محمد علي بيضون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)
- ٢٣٠- مجل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ م).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د. م: دار الفكر، ١٩٧٩م).
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح (ت ٦٧١هـ - ١٢٧٣م).
- ٢٣٢- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤ م).
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم (ت: ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م).

- ٢٣٣- لطائف الإشارات، تحقيق: الدكتور إبراهيم بسيوني، ط٣، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م).
- ابن قدامة المقدسي نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٦٨٩هـ/١٢٩١م).
- ٢٣٤- مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: الأستاذ محمد أحمد دهمان، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٩٧٨م).
- أبين قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)
- ٢٣٥- نم التأويل، تحقيق: بدر بن عبد الله بدر، ط١، (الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ)،
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م).
- ٢٣٦- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ).
- القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت: ٣٢٩هـ/٩٤١م).
- ٢٣٧- تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، ط٣، (قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ).
- قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ/٩٤٨م).
- ٢٣٨- نقد الشعر، ط١، (قسنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ).
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ-٨٨٩م).
- ٢٣٩- تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).
- ٢٤٠- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م).
- ٢٤١- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط١، (د. م، دار الراية، ١٩٩١م).
- الكركي، الشيخ حسين بن حسن (ت: ١٠٠١هـ/١٥٩٣م).
- ٢٤٢- دفع المناوأة عن التفضيل المساواة، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط١، (قم: الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ).
- الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م).
- ٢٤٣- الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٣، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ).

- الكوفي، محمد بن سليمان (ت: ٣٠٠ هـ / ٩١٠ م).
٢٤٤- مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). تحقيق محمد باقر المحمودي، ط١، (قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢م).
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب (ت: ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م).
٢٤٥- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).
- ٢٤٦- التعرف لمذهب أهل التصوف، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
• كراع النمل، علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن، (ت: بعد ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م).
٢٤٧- المنجد في اللغة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ودكتور ضاحي عبد الباقي، ط٢، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨ م).
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمرو (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م).
٢٤٨- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م).
- ٢٤٩- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير). تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦ م).
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: ٤١٨ هـ / ١٠٢٨ م).
٢٥٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، (السعودية: دار طيبة، ٢٠٠٣ م).
- المجلسي، محمد تقي (ت: ١٠٧٠ هـ / ١٦٦٠ م).
٢٥١- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ على پناه الاشتهااردى، ط٢، (قم: مؤسسة فرهنگ اسلامى، ١٤١٣ هـ).
- المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م).
٢٥٢- حلية المتقين في الآداب والسنن والأخلاق، ط١، (قم: ذوي القربى، ١٤٢٤ هـ).
- ٢٥٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، ط٣ مصححة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣ م).
- ٢٥٤- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق: هاشم رسولى محلاتى، ط٢، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، (ت: ٧١١ هـ / ١٣١١ م).

- ٢٥٥- لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).
- الموردي، علي بن محمد (ت: ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م).
- ٢٥٦- النكت والعيون تفسير الموردي، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت).
- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م).
- ٢٥٧- تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٩٨٩ م).
- الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م).
- ٢٥٨- الامالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م).
- ٢٥٩- الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع). لتحقيق التراث، ط٢، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م).
- ٢٦٠- تفسير القرآن المجيد، تحقيق: السيد محمد علي أيازي، ط١، (قم: مؤسسة بوستان كتاب قم مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٤ هـ).
- ٢٦١- الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، ط٢، (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م)..
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م).
- ٢٦٢- أمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م).
- المنافى، محمد عبد الرؤوف، (ت: ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م).
- ٢٦٣- التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، عالم الكتب، (القاهرة، ١٩٩٠ م).
- المنقري، نصر بن مزاحم (ت: ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م).
- ٢٦٤- واقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، ١٩٨٢).
- أبو طالب المكي، محمد بن علي (ت ٣٦٨ هـ / ٩٩٦ م).

- ٢٦٥- علم القلوب، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- ٢٦٦- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: باسل عيون السّود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري (ت ٩٧٥هـ - ١٥٦٧م).
- ٢٦٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م).
- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: نحو ٣٥٥هـ/ نحو ٩٦٦م).
- ٢٦٨- البدء والتاريخ، (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية).
- المشهدي، محمد بن جعفر (ت: ٦١٠هـ/ ١٢١٤م).
- ٢٦٩- المزار، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، (طهران: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ).
- محمد بن طلحة الشافعي، كمال الدين أبو سالم (ت: ٦٥٢هـ/ ١254م).
- ٢٧٠- مطالب السؤل في مناقب آل الرسول (ع). تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، ط١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٩م).
- ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م).
- ٢٧١- شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: مصطفى صادق الرافعي، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ/ ٩٩٤م).
- ٢٧٢- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).
- ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد بن الطيب (ت: ٤٨٣هـ - ١٠٩٠م).
- ٢٧٣- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله، ط١، (صنعاء: دار الآثار، ٢٠٠٣م).
- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٨م).
- ٢٧٤- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ).

- ٢٧٥- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٦م).
- أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، (ت: ٤٧٨هـ/ ١٠٨٦م).
- ٢٧٦- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط١، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٢م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي (ت: ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م).
- ٢٧٧- تفسير النسائي، تحقيق: صبري بن عبد الخالق الشافعي، سيد بن عباس الجليمي، ط١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٠ م).
- ٢٧٨- السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م).
- نشوان الحميري، أبو الحسن بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).
- ٢٧٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩ م).
- النيلي النجفي، السيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم (٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م).
- ٢٨٠- سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان (عج)، تحقيق: قيس العطار، ط١، (قم: دليل ما، ١٤٢٦هـ).
- الهلالي، سليم بن قيس (ت ٧٦هـ- ٦٩٥م).
- ٢٨١- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط١، (قم، الهادي، ١٤٢٠هـ).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ- ١٠٠٥م).
- ٢٨٢- معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ط١، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ١٤١٢هـ).
- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعاقري (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م).
- ٢٨٣- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥ م).
- الواحدي (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م). أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الشافعي،
- ٢٨٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م).

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء (ت ٢٠٧هـ - ٨٢٢م).
- ٢٨٥- المغازي، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، ط٣، (بيروت: دار العلم، ١٩٨٩م
- ٢٨٦- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل (ت: ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م).
- ٢٨٧- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤ م).
- ابن وهب، أبي محمد عبد الله بن محمد الدينوري (ت: ٣٠٨ هـ / ٩٩٠م).
- ٢٨٨- تفسير ابن وهب = الواضح في تفسير القرآن الكريم، تحقيق: أحمد فريد، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م).
- ٢٨٩- تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- يحيى بن سلام، بن أبي ثعلبة الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ / ٨١٥ م).
- ٢٩٠- تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م).
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت: ٤٥٨هـ- ١٠٦٦ م).
- ٢٩١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، ط١، (الكويت: دار إيلاف الدولية، د.ت).
- أبو يعلى الموصلي، إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي (ت ٣٠٧هـ / ٩٢٠م).
- ٢٩٢- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م).

ثالثاً-المراجع الحديثة

١-المراجع العربية، والمعرية

- الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق ١٢هـ).
- ٢٩٣- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- الأصبهاني، شيخ الشريعة فتح الله بن محمد جواد

- ٢٩٤- القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، تحقيق: الشيخ حسين الهرساوي والشيخ جعفر السبحان، ط١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٢هـ).
- الإسترآبادي، محمد أمين،
- ٢٩٥- الفوائد المدنية والشواهد المكية، تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي، ط١، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٢٤هـ).
- الأميني، عبد الحسين احمد (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).
- ٢٩٦- المقاصد العلية في المطالب السنية، تحقيق: محمد الطبطبائي اليزدي، ط١، (قم: دار التفسير، ١٤٣٤هـ).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م).
- ٢٩٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، (دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- أمين، احمد.
- ٢٩٨- كتاب الأخلاق، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦م).
- أيوب، سعيد.
- ٢٩٩- معالم الفتن نظرات في حركة الإسلام وتاريخ المسلمين، ط١، (قم: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٩٣م).
- البروجردي، حسين بن محمد رضا (١٢٧٧هـ / ١٨٦١م).
- ٣٠٠- تفسير الصراط المستقيم، تحقيق: غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، ط١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامي، ١٤١٩هـ).
- البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد (١١٠٧هـ / ١٦٩٦م).
- ٣٠١- حلية الأبرار في أحوال محمد واله الأطهار (ع)، ط١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ).
- ٣٠٢- مدينة المعاجز، لجنة التحقيق بإشراف فارس حسون كريم، تحقيق: ط١، (قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ).
- ٣٠٣- البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (قم: مؤسسة البعثة، د. ت).
- البحراني، عبد الله بن نور الله الأصفهاني (ت: ١١٣٠هـ / ١٧١٨م).

- ٣٠٤ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ط١، (قم: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ١٤١٦هـ).
- البركتي، محمد عميم الإحسان (ت: ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٤ م).
- ٣٠٥ - التعريفات الفقهية، ط١، (د. م: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م).
- ٣٠٦ - البياع، خالدية محمود
- ٣٠٧ - المرشد إلى قواعد اللغة العربية، ط١، (بيروت: دار البحار، ١٩٩٩ م).
- البرديسي، محمد زكريا
- ٣٠٨ - أصول الفقه، ط٢، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت).
- بافيوني، كارملا
- ٣٠٩ - الأبداع والأمر الإلهي والنبوة في رسائل إخوان الصفا، منشور في كتاب قلاع العقل، ط١، (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٤).
- التبريزي، محمد علي بن أحمد
- ٣١٠ - اللمعة البيضاء في شرح خطبة فاطمة الزهراء، تحقيق: هاشم الميلاني، ط١، (قم: مؤسسة الهادي، ١٤١٨هـ).
- التهانوني، محمد بن علي الفارقي (ت: ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م).
- ٣١١ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، م (بيروت: كتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ م).
- التستري، محمد تقي (ت: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ هـ).
- ٣١٢ - تفسير التستري، تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة، ط١، (طهران: مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٦هـ).
- تامر، عارف
- ٣١٣ - تاريخ الإسماعيلية، ط١، (قبرص: مطبعة رياض الرئيس، ١٩٩١ م).
- جعفريان، رسول
- ٣١٤ - الشيعية في إيران "دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري"، ترجمة: علي هاشم الأسدي، ط١، (مشهد: المطبعة الرضوية، ١٤١٦هـ).
- الجزائري، نعمة الله بن محمد الموسوي (ت: ١١١٢ هـ / ١٧٠١ م).

- ٣١٥- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، (قم: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ).
- الجياشي، محمود نعمة
- ٣١٦- الظن. دراسة في حجّيته وأقسامه وأحكامه دروس السيد كمال الحيدري، ط١، (قم، دار فراق، ٢٠٠٨هـ).
- جهامي، جبرار ودغيم، سميح
- ٣١٧- الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد). ط١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٦م).
- جمال الدين، محمد السعيد
- ٣١٨- دولة الإسماعيلية في إيران، ط١، (بيروت: المطبعة العصرية، ١٩٩٩م).
- الجابري، محمد عابد
- ٣١٩- بنية العقل العربي" دراسة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية"، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م).
- الجزائري، هاشم الناجي الموسوي
- ٣٢٠- حقوق الحيوانات في القرآن والحديث، ط١، (قم: ناجي جزائري، ١٣٩١هـ).
- الجزائري، نعمة الله بن محمد الموسوي (ت: ١١١٢هـ / ١٧٠١م).
- ٣٢١- رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار (ع). ط١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م).
- الشيخ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي
- ٣٢٢- تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، (قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ).
- حجازي، محمد محمود
- ٣٢٣- التفسير الواضح، ط١٠، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ).
- حسن، غالب
- ٣٢٤- مداخل جديدة للتفسير، ط١، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
- حسين، محمد كامل
- ٣٢٥- في أدب مصر الفاطمية، ط١، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٠م).

- ٣٢٦- طائفة الإسماعيلية تاريخها - نظمها - عقائدها، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م).
- ٣٢٧- الحياة الفكرية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية، ط١، (القاهرة: مكتبة النهضة، د. ت).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م).
- ٣٢٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م).
- الحسيني، محمد
- ٣٢٩- الدليل الفقهي تطبيقات فقهية لمصطلحات علم الأصول، ط١، (دمشق: مركز ابن إدريس الحلبي للدارسات الفقهية، ٢٠٠٧م).
- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م).
- ٣٣٠- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، تحقيق: مشتاق المظفر، ط١، (قم: دليل ما، ١٤٢٢هـ).
- ٣٣١- اثنا عشرية، تحقيق: السيد مهدي اللازوردي الحسيني والشيخ محمد درودي، (قم: دار الكتب العلمية، د. ت).
- ٣٣٢- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق وتصحيح وتذييل: الشيخ محمد الرازي / تعليق: الشيخ أبي الحسن الشعراني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- ٣٣٣- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ط١، (بيروت: اعلمى، ١٤٢٥هـ).
- حرب، علي
- ٣٣٤- الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، ط١، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م).
- حمداوي، جميل وداود بلال
- ٣٣٥- من التأويل إلى الهيرمنيوطيقا، ط١، (طنجة: المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٢).
- الحنفي، عبد المنعم
- ٣٣٦- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٢، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠م).
- الحيدري، كمال
- ٣٣٧- الرمزية والمثل في النص القرآني، ط١، (بيروت: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، ١٤٣٤هـ).

- ٣٣٨- فلسفة صدر المتألهين (قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية). تحقيق: رزق، خليل، (قم: دار فرقد، ١٤٣٠هـ).
- ٣٣٩- التوحيد عند الشيخ ابن تيمية، ط١، (طهران: دار مشعر، ١٤٣٣هـ).
- ٣٤٠- أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، ط٢، (قم: دار فراق، ٢٠٠٦ م).
- ٣٤١- منطق فهم القرآن (الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي)، ط١، (قم: دار فراق، ١٤٣٣هـ).
- الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- ٣٤٢- صراط النجاة، تحقيق: الميرزا جواد التبريزي، ط١، (قم: مكتب حضرت آية الله العظمى التبريزي، ١٩٩٧م).
- الخوئي، حبيب الله الهاشمي
- ٣٤٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط٤، (طهران: مكتبة الإسلامية بطهران، ١٣٦٤هـ).
- خليفة، حامد عبد الرحمن
- ٣٤٤- المشبهة والمجسمة، ط١، (د. م، المكتبة التخصصية للرد على الوهابية، ١٩٩٩م).
- الخن، مصطفى سعيد
- ٣٤٥- مبادئ العقيدة الإسلامية، ط٩، (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٧م).
- خلف الله، محمد أحمد
- ٣٤٦- الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٤، (لندن: سينا للنشر، ١٩٩٩م).
- أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤هـ).
- ٣٤٧- المعجزة الكبرى القرآن، (د. م، دار الفكر العربي، د. ت).
- دفتري، فرهاد
- ٣٤٨- معجم التاريخ الإسماعيلي، ترجمة: سيف الدين القصير، ط١ (بيروت: دار الساقى، ٢٠١٦م)
- الدرة، محمد علي طه
- ٣٤٩- تفسير القرآن الكريم وأعرابه وبيانه، ط١، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٣٠هـ).
- دوزي، رينهارت بيتر آن (١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٣ م).

- ٣٥٠- تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط١، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠ م).
- الذهبي، محمد السيد حسين
- ٣٥١- التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٠ م).
- الروحاني، محمد صادق
- ٣٥٢- أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، ط١، (قم: دار زين العابدين (ع)، ٢٠١٠ م).
- الروضاتي، أحمد الموسوي
- ٣٥٣- إجماعات فقهاء الإمامية، ط١، (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١١ م).
- رضوان، عمر بن إبراهيم
- ٣٥٤- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ط١، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٣ هـ).
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق
- ٣٥٥- وحي القلم، ط١، (د. م، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م).
- زهرة، احمد علي
- ٣٥٦- الظاهر والباطن فلسفة التأويل في الديانات السماوية، ط١، (دمشق: نينوى للدراسات والنشر، ٢٠٠٥).
- الزركلي، خير الله
- ٣٥٧- الإعلام، ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠).
- الزحيلي، وهبة
- ٣٥٨- التفسير الوسيط، ط٢، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٦ م).
- الزبيدي، محب الدين أبي فياض السيد محمد (ت: ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م).
- ٣٥٩- تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. م: دار الهداية، د.ت).
- أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤ هـ).
- ٣٦٠- المعجزة الكبرى القرآن، (د. م، دار الفكر العربي، د.ت).
- السبحاني، جعفر
- ٣٦١- بحوث في الملل والنحل، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٨ هـ).
- ٣٦٢- بحوث في الملل والنحل، ط٢، (قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤٢٨ هـ).

- ٣٦٣- المذاهب الإسلامية، ط٢، (بيروت: دار الولا للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)..
- ٣٦٤- الأمثال في القرآن الكريم -دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز، ط١، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام). ١٤٢٠هـ).
- ٣٦٥- بحوث في الملل والنحل، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، ط١، (قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام). ١٤٢١هـ).
- آل سيف، فوزي
- ٣٦٦- معارف قرآنية، ط١، (د. م، دار أطياف للنشر والتوزيع ١٤٤٠هـ).
- السند، محمد
- ٣٦٧- بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ط١، (قم: مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢٨هـ).
- ٣٦٨- أسس النظام السياسي عند الإمامية، تحقيق: محمد حسن الرضوي ومصطفى الإسكندري، ط١، (قم: باقيات، ١٤٢٦م).
- السلومي، سليمان عبد الله
- ٣٦٩- أصول الإسماعيلية-دراسة-تحليل-نقد، ط١، (الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠١م).
- الشافعي، محمود
- ٣٧٠- المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط١، (الباكستان: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ١٩٨٩م).
- الشيرازي، ناصر مكارم
- ٣٧١- أجوبة المسائل الشرعية، ط١ (قم: مدرسة علي بن أبي طالب (ع)، ١٢٦٥هـ).
- ٣٧٢- مختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، (قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢٨هـ).
- ٣٧٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (د. م، طبعة جديدة منقحة، د.ت).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م).
- ٣٧٤- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ط١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٦م).
- الشيرازي، حسن الحسيني (ت: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ٣٧٥- موسوعة الكلمة، ط١، (الكويت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).
- شلبي، متولي يوسف

- ٣٧٦- أضواء على المسيحية، ط١، (الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٨م).
- شرف الدين، عبد الحسين العاملي
- ٣٧٧- المراجعات، تحقيق، حسين الراضي، ط١، (بيروت: الجمعية الإسلامية، ١٩٨٢م).
- الشيخلي، بهجت عبد الواحد
- ٣٧٨- أعراب القرآن الكريم، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٧م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ-١٨٣٤م).
- ٣٧٩- التحفة في مذاهب السلف، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ط١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ).
- الشباب، عمر شيخ
- ٣٨٠- التأويل ولغة الترجمة، (بيروت: دار الهجرة للطباعة والنشر، د.ت).
- الصدر، محمد باقر (ت: ١٩٧٩م / ١٤٠٠هـ).
- ٣٨١- المدرسة القرآنية، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره، ط١، (مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر قدس سره، ١٤٣٤هـ).
- الصغير، محمد حسين علي
- ٣٨٢- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ط١، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ١٩٩٩م).
- صليبا، جميل
- ٣٨٣- المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م).
- الصادقي، الشيخ محمد
- ٣٨٤- الفرقان في تفسير القرآن، ط٢، (طهران: انتشارات فرهنگ إسلامي، ١٤١٠هـ).
- الطريحي، فخر الدين (ت: ١٠٨٥هـ / ١٦٧٥م).
- ٣٨٥- مجمع البحرين، تحقيق: السيد احمد الحسيني، ط٢، (المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٦٢هـ).
- الطحان، منيب
- ٣٨٦- الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، ط١، (دمشق: دار سعد الدين، ١٩٩٩م).
- الطباطبائي، محمد حسين

- ٣٨٧- تفسير الميزان، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، د. ت).
- الطبسي، محمد رضا النجفي).
- ٣٨٨- الشيعة والرجعة، تحقيق: عماد الدين طبسي، ط٣، (النجف الأشرف: آداب، ١٣٨٥ هـ).
- الطباطبائي، محمد حسين
- ٣٨٩- الأعجاز والتحدى في القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ قاسم الهاشمي، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢ م).
- الطهراني، السيد محمد حسين
- ٣٩٠- نور ملكوت القرآن من أقسام أنوار الملكوت، تحقيق: صقر، احمد، ط١، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢١ هـ).
- ظهير، إحسان ألهي
- ٣٩١- التّصوّف. المنشأ والمصادر، ط١، (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٨٦ م).
- ٣٩٢- دراسات في التصوف، ط١، (د. م: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م).
- ٣٩٣- الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ط١، (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٨٦ م).
- عبد الرحمن بدوي
- ٣٩٤- أفلوطين عند العرب (أثولوجيا). تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط٣، (قم: انتشارات بيدار، ١٩٧٧ م).
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
- ٣٩٥- شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، ط٦، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ).
- ٣٩٦- أصول في التفسير، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، ط١، (د. م، المكتبة الإسلامية، ٢٠٠١ م).
- عطاردي، عزيز الله
- ٣٩٧- مسند الإمام الصادق (عليه السلام). ط١، (طهران: عطارد، ١٣٨٤ هـ).
- العاملي، جعفر مرتضى
- ٣٩٨- الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه واله)، ط٢، (بيروت: دار الحديث، ١٤٢٨ هـ).
- ٣٩٩- الصحيح من سيرة الإمام علي (ع). ط١، (قم: ولاء المنتظر (عج)، ١٤٣٠ هـ).
- العجم، رفيق

- ٤٠٠- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م).
- ٤٠١- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان الناشرون، ١٩٩٩م).
- عثمان، محمود حامد
- ٤٠٢- القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، ط١، (الرياض: دار الزاحم للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ).
- عاشور، قاسم
- ٤٠٣- ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن الكريم، ط١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢ هـ).
- عثمان، هاشم
- ٤٠٤- الإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٨م).
- الشيخ عزيز الله عطاردي
- ٤٠٥- مسند الإمام الهادي عليه السلام، ط١، (قم: المؤتمر العالم للإمام الرضا عليه السلام، ١٤١٠هـ).
- ابن علان، محمد الصديقي الشافعي الأشعري المكي
- ٤٠٦- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، (مصر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، د. ت).
- عمر، احمد مختار عبد الحميد
- ٤٠٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (د. م، عالم الكتب، ٢٠٠٨م).
- عبد الحميد، صائب
- ٤٠٨- ابن تيمية في صورته الحقيقية، ط١، (بيروت: الغدير للدراسات والنشر، ١٩٩٥م).
- علي، زاهد
- ٤٠٩- تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي، ط١، (مصر: مطبعة المعارف، ١٣٥٢هـ).
- غالب، مصطفى
- ٤١٠- مفاتيح المعرفة، ط١، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٢م).
- ٤١١- تاريخ الدعوة الإسماعيلية من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، تقديم: محمد شاه علي، ط١، (دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٥٣م).

- ٤١٢- أعلام الإسماعيلية، (بيروت: دار اليقظة العربية، ١٩٦٤م).
- الغوري، عبد الماجد
- ٤١٣- معجم المصطلحات الحديثية، ط١، دار ابن كثير، (دمشق، ١٤٢٨هـ).
- فيدوح، عبد القادر
- ٤١٤- نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، ط١، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).
- الفضلي، عبد الهادي
- ٤١٥- أصول البحث، ط١، (قم: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
- الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى (ت: ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م).
- ٤١٦- عين اليقين الملقب بالأنوار والأسرار، تحقيق: فالح عبد الرزاق العبيدي، ط١، (بيروت: دار الحوراء، ١٤٢٨هـ).
- ٤١٧- التفسير الصافي، تحقيق: الشيخ حسين الاعلمي، ط٢، (طهران: مكتبة الصدر، ١٤١٦هـ).
- ٤١٨- الوافي، تحقيق: مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام). ط١، (أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، ١٤١٥هـ).
- ٤١٩- نوادير الأخبار فيما يتعلق بأصول الدين، تحقيق: مهدي الأنصاري القمي، ط١، (طهران: مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگي، ١٣٧١هـ).
- ٤٢٠- الحقائق في محاسن الأخلاق، تحقيق: محسن عقيلي، ط٢، (قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٣هـ).
- القبانجي، السيد حسن
- ٤٢١- مسند الإمام علي (ع). تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، ط١، (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م).
- قاضي سعيد القمي، محمد بن محمد مفيد
- ٤٢٢- شرح توحيد الصدوق، تصحيح وتعليق نجف قلى حبيبي، ط١، (تهران: وزارت فرهنگ وإرشاد إسلامي، ١٤١٥هـ).
- ابن قاسم العاملي، السيد محمد بن محمد بن الحسن (ت: ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٥م).
- ٤٢٣- المواظع العددية أحاديث وحكم ومواظع تبدأ بالآحاد وتنتهي بالاثني عشر، ط١، (قم: طليعة النور، ١٣٨٤هـ).

- قويسم، محمد يوسف
- ٤٢٤- تطور الفكر السياسي الإسماعيلي من خلال فكر القاضي النعمان بن محمد التميمي، ط١، (المسيلة: دار المتنبي للطباعة والنشر، ٢٠٢٢م).
- القرشي، باقر شريف
- ٤٢٥- حياة الإمام الحسن بن علي (ع)، ط١، (بيروت: دار البلاغة، ١٤١٣هـ).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ).
- ٤٢٦- محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- القرشي، الشيخ باقر شريف
- ٤٢٧- موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ط١، (د. م: مؤسسة الكوثر، ١٤٢٣هـ).
- قاسم، محمد أحمد وديب، محيي الدين
- ٤٢٨- علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، ط١، (طرابلس: مؤسسة الحديث للكتاب، ٢٠٠٣م).
- القاسم، أسعد وحيد
- ٤٢٩- أزمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة، ط١، (بيروت: لغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).
- القمي، الشيخ عباس (١٣٥٩هـ / ١٩٤١م).
- ٤٣٠- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، ط١، (قم: دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ).
- ج١، ص ٥٦٩؛
- ٤٣١- مفاتيح الجنان، تحقيق: السيد محمد رضا النوري النجفي، ط٣، (قم: مكتبة العزيزي، ٢٠٠٦م).
- ٤٣٢- منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل صلوات الله وسلامه عليهم، ط٥، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٢٢هـ).
- قمي، محمد بن محمد رضا المشهدي (ت: ١١٢٥هـ / ١٧١٤م).
- ٤٣٣- تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، ط١، (طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩١م).
- الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم

- ٤٣٤- البرهان في وجوه البيان، تحقيق: د. حفي محمد شرف، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٩ م).
- كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين
- ٤٣٥- الفردوس الأعلى، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، ط٣، (قم: مكتبة فيروز آدبي، ١٩٨٢م).
- كباشي، غنية ياسر
- ٤٣٦- التأويل الباطني من مؤلفات داعي الدعاة الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي، ط١، (دمشق: تموز ديموزي للطباعة والنشر، ١٩٢٣م).
- الكثيري، محمد
- ٤٣٧- السلفية بين أهل السنة والإمامية، ط١، (بيروت: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).
- الكربلائي، حيدر محمد عبد الله
- ٤٣٨- كتابان فلسفيان لأبي يعقوب السجستاني، ط١، (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠٢٠م).
- كرم، يوسف وآخرون
- ٤٣٩- المعجم الفلسفي، ط١، (القاهرة: مطابع كوستا تسوماس وشركائه، ١٩٦٦م).
- الكفوي، أيوب بن موسى (١٠٩٤ م - ١٦٨٣ م).
- ٤٤٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨ م).
- الكوراني، علي
- ٤٤١- الإمام علي الهادي (عليه السلام). عمر حافل بالجهاد والمعجزات، ط١، (قم: شبكة الفكر، ٢٠١٣م).
- محمد بن الشيخ عبد الكريم (ت ١٤٤١هـ).
- ٤٤٢- موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ط١، (دمشق: دار المحبة، ٢٠٠٥ م).
- مصطفى، عادل
- ٤٤٣- فهم الفهم، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي، ٢٠١٧).
- مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى وآخرون)
- ٤٤٤- المعجم الوسيط، بلا، (القاهرة: دار الدعوة، د. ت)

- أبو معاش، سعيد
- ٤٤٥- الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). ط١، (قم: دار الاعتصام، ١٣٧٨هـ).
- متولي، عبد الحميد محمود
- ٤٤٦- أضواء على مناهج بعض المفسرين من زوايا علوم القرآن، ط١، (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر، ١٩٩٩م).
- مغنية، محمد جواد
- ٤٤٧- معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوف والكرامات). ط٥، (بيروت: دار الجواد، ١٩٨٦م).
- معرفة، محمد هادي
- ٤٤٨- التفسير الأثرى الجامع، ط١، ٠ قم: مؤسسه فرهنگي انتشاراتي التمهيد، ١٣٨٧هـ).
- ٤٤٩- التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ط١، (طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م).
- مركز المصطفى للدراسات الإسلامية
- ٤٥٠- العقائد الإسلامية، عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة، ط١، (قم: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ١٤١٠هـ).
- المطرفي، عويد بن عياد بن عايد
- ٤٥١- آيات عتاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في ضوء العصمة والاجتهاد، ط٣، (مكة المكرمة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥م).
- معرفة، محمد هادي
- ٤٥٢- التمهيد في علوم القرآن، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٣، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠هـ).
- أبو معاش، سعيد
- ٤٥٣- وصاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). في القرآن والسنة، ط١، (قم: لقاء، ١٤٢٨هـ).
- مجاني، بوبة
- ٤٥٤- دراسات إسماعيلية، (قسنطينية: مطبوعات جامعة منتوري، ٢٠٠٣م).
- مهران، محمد بيومي

- ٤٥٥- الإمامة وأهل البيت، ط٢، (د. م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥م).
- المصطفوي، حسن
- ٤٥٦- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط١، (طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ١٣٨٥هـ).
- مركز نون للتأليف والترجمة
- ٤٥٧- الوجيز في علوم القرآن، ط٣، (د. م، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٠٩م).
- المدرسي، هادي
- ٤٥٨- أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، دراسة في تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق والمعارض المخلص، والحاكم العادل، ط١، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).
- الميرجهاني، حسن الطبطبائي محمد آبادي الجرقوي
- ٤٥٩- مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة)، ط١، (طهران، بلا، ١٣٨٨هـ).
- الميانجي، علي الأحمد
- ٤٦٠- مكاتيب الأئمة (عليهم السلام). تحقيق: مجتبی فرجی، ط١، (قم: دار الحديث، ١٤٢٦هـ).
- المازندراني، مولي محمد صالح (ت: ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠).
- ٤٦١- شرح أصول الكافي، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م).
- منصور، عبد القادر
- ٤٦٢- موسوعة علوم القرآن، ط١، (حلب: دار القلم العربي، ٢٠٠٢م).
- المكرمي، إبراهيم
- ٤٦٣- الإسماعيلية الفكرية النشأة والصراع والبقاء، ط١، (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٨).
- معبد، محمد احمد
- ٤٦٤- نفحات من علوم القرآن، ط٢، (الإسكندرية: دار السلام، ٢٠٠٥م).
- النراقي، محمد مهدي

- ٤٦٥- أنيس المجتهدين في علم الأصول، تحقيق: مركز العلوم والثقافة الإسلامية، ط١، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٣٨٨هـ).
- النمازي، الشيخ علي الشاهرودي (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م)
- ٤٦٦- مستدركات علم رجال الحديث، ط١، (طهران، مطبعة شفق، ١٤١٢هـ).
- النمازي، الشيخ علي الشاهرودي (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م)
- ٤٦٧- مستدرک سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٩هـ).
- النوري، ميرزا حسين (ت: ١٣٢٠ / ١٩٠٨ م).
- ٤٦٨- دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام، ط٢، (بيروت: دار البلاغة، ٢٠٠٧ م).
- هنري، كوربان
- ٤٦٩- تاريخ الفلسفة الإسلامية، تحقيق: الإمام موسى الصدر؛ وعارف تامر، ط١ (بيروت: عوידات للنشر والطباعة).
- ووكر، بول
- ٤٧٠- سمات الفلسفة الإسماعيلية "الإسماعيلية مرونة ومساحة فكرية مذهبة"، نشر ضمن كتاب الإسماعيلية الفكرية النشأة والصراع، ط١، (بيروت، جداول للنشر والطباعة، ٢٠١٨ م).
- ٤٧١- الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله "حميد الدين الكرمانی"، ترجمة: سيف الدين القصير، ط١، (دمشق: دار المدى، ١٩٨٠ م).
- ٢- المراجع والدوريات الإنكليزية
- رابعاً- الرسائل، والاطاريح
- الكربلائي، حيدر محمد عبد الله
- ٤٧٢- المشرع الإسماعيلي أبو حنيفة القاضي النعمان القيرواني المغرب (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م).
- عصره دوره في الدولة الفاطمية - كتبه ومؤلفاته، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧ م). ص ٧٦
- ٤٧٣- الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي ودوره السياسي والفكري والعقائدية في الدولة الفاطمية (دراسة تاريخية). أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠١١ م).
- نادية قمري

٤٧٤- التأويل في الفكر العربي المعاصر-محمد اركون انموذجا-، مذكرة ماستر مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية، (جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، للسنة ٢٠١٩-٢٠٢٠م).

• يوسف، مضر غالب

٤٧٥- الفكر الإسماعيلي (الطبيي). في مصنفات الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م). (دراسة تحليلية). أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة كربلاء: كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٤م).

خامسا: الدوريات

• بلال، رافع وجلول بن طرات

٤٧٦- اللغة وأزمة التأويل في الفكر الغربي المعاصر، مجلة أبعاد، (مجلد ١٠، العدد ١، للسنة ٢٠٢٣م).

• خالد، بلمصالح

٤٧٧- التأويل وأثره في نشأة الفرق، مجلة المعيار، منشورات المركز الجامعي (بتيسميسيلات، الجزائر، العدد الثاني، ٢٠١٠م).

• الخفاجي، إياد عبد الحسين

٤٧٨- زواج النبي محمد (صلى الله عليه واله) من السيدة خديجة (عليها السلام)، دراسة في مرويات الخطوبة، مجلة العميد، السنة ٧، العدد ٧، (كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية، ٢٠١٨م).

• الخطيب، محمد عبد الحسين؛ القطب، حسين كاظم حسون

٤٧٩- وزارة صلاح الدين الأيوبي في خلافة العاضد الفاطمي الوجه الآخر، مجلة الباحث، (جامعة كربلاء: وقائع مؤتمر كلية التربية للعلوم الإنسانية العلمي الدولي السابع، ٢٠٢٥م).

• زرزور، عدنان محمد

٤٨٠- التأويل عند ابن تيمية في سياقه التاريخي، مجلة مركز البحوث للسنة والسيرة، (كلية الشريعة جامعة قطر، العدد ٧، للسنة ١٩٩٤م).

• سليم، منى محمد

٤٨١- التأويل عند المعتزلة وأثره على الفكر الباطني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات (بالإسكندرية، المجلد ١٥، العدد ٢، ١٩٩٩م).

• قاسمي، مراد

- ٤٨٢- التأويل الباطني: أسبابه، ومصادره (إخوان الصفا انموذحا). مجلة التواصلية، جامعة اليكانتي، (إسبانيا، العدد الرابع، السنة ٢٠١٥م).
- العمور، محمد سعيد
- ٤٨٣- أثر التأويل في اختلاف الفقهاء، ط١، مجلة جامعة الأقصى في فلسطين، (غزة / ٢٠١١م).
- الكربلائي، حيدر محمد عبد الله
- ٤٨٤- المنهج التأويلي عند القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ / ٩٧٣م). دراسة في رسالته مفاتيح النعمة، مجلة دراسات تاريخية، (العدد الثامن والعشرون: حزيران، ٢٠٢٠م).
- ٤٨٥- التأويل الباطني في المنظور الإسماعيلي دراسة تاريخية عقائدية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد (١٠)، ٢٠١٤م،
- فيدوح، عبد القادر
- ٤٨٦- إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، ط١، (صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م).

سادساً: المراجع والكتب الإنكليزية

- Ivanow, w
- 487- The rise of the fatimids, (London: oxford university press, 1942).
- 488- A guide to Ismaili literature, (London: royal Asiatic society, 1933) .
- Sami nassib makarem
- 489- ash-shafiya for abu firas, translated and investigation: sami nassib makarem, (berut: americon university, 1966)
- Paul E. walker
- 490- Oration of the Fatimid caliphs, (London: I. b Tauris Publishers, 2009).
- Verena klemm & Paul E. walker
- 491- A code of conduct a treatise on the etiquette of the Fatimid Ismaili mission, (London: I. b. Tauris publishers, 2011).

Abstract:

Interpretation represents an important principle in Islam when Ayas and narratives declared that. It is considered the second stage of Quranic understanding stages after descending stage. Most Islamic castes agree on interpretation originality in Islam but they differ in its issues of obligation, desirable or forbidding after the prophet's (p.b.u.h.) death relying on various arguments and reasons.

Therefore, interpretation significance to Isma'ili caste in its beginning was due to its being as one of Shia group that believe that Islamic mission implied within its knowledge layers and rules a number of the internal facts that cannot absolutely be reached by human mind; rather, there should be a supreme intellectual dogmatic reference they resort to. This reference is represented by Imamate where nominating this position restrictedly by the prophet's progeny as the first condition which is the case that can interpret things facts and underlying issues.

Interpretation significance was reflected on all aspects of the Islamic doctrine especially the historical side. It is well known that dividing the historical event in accord to the apparent ideology (same event) and the implicit (means searching implicit and hidden of the event) means unsubmission, obedience, surrendering to events and accidents apparent. This by itself is a critical analytical process for the same historical event which is not mere a process of an empty external documenting and transferring process. This is what the historian and the real documenter search for. Hence, the great interpretation significance emerge in developing and growing of the historical documenting stage to Isma'ili caste. This certainly refers to a typical and great change from the narrative documentation to a stage of analysis, criticism, and finding real causes and

purposes of the event. This cannot be done without their high skill in the interpretation art.

However, the two worlds: theology and humanity and the relation between them engaged Isma'ili thinkers, scholars, and philosophers. Thus, they tried to find theories to find the connection between the two worlds. It means a relation between the soul world that represents abstractness from the material and the body world or the material world which is able to be formed or imaged.

Based on this, we had to choose this subject. Undoubtedly, studying Isma'ili Fatimid as an Islamic ideology and a doctrine means standing in front of a unique sample that adopted philosophy a basic structure that mixed with the core of their belief to be really a religious Islamic philosophical sample. It mixed preliminary divine facts which do not need for a proof with the philosophical facts that philosophers and thinkers could reach and put their theology and ethical theories to support judgments.

Studying the implicit interpretation is considered one of the most important Islamic textures that greatly participate in enriching spiritual meanings as well as the linguistic ones. It is really a developmental machine that made wide difference in generating new meanings that enriched the Isma'ili heritage.

Isma'ili movement is based on comprehensive faiths for all life issues and their branches. These faiths are arranged due to eternal and fixed facts that accompanied the universe since its first beginning. It is continuing with it endlessly. It also implies new developed beliefs, suitable to the time requirements. They renew it, but these innovative beliefs go with solidarity and correlation relation with the first original beliefs. The real Isma'ili movement is a group of cognitive schools that were established by themselves. It is flourished with the intellectual active creative mind that inducted sciences as it

also produced the social revolutionary ideology. I found systems and judgments. These schools got birth for a brilliant group of thinkers, philosophers, and scientists who assembled their mental and cognitive abilities to defeat Abbasid state to establish their state of the sound social mental system based on the Islamic religious philosophy in order to be a strong unified state.

Interpretation is also characterized with explicit meaning and no naivety for the explicit explanation. This is because stability on the initial understanding for expressions that mostly inspire the expression's shape is considered of the biggest mistake that texts' interpreters committed. It is clear that this matter does not belong to Arabs' conventions whom holy Quran descended in their language. Also, cohesion by the texts' appearance without interpretation may lastly lead to present incorrect information which are opposite to the nature and its rules and to the mind.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of History – Higher Studies



Esoteric Interpretation in the Isma'ili Fatimid Perspective: A Historical and Dogmatic Study

By:

Muna Yousif Naser

A Dissertation Submitted to the Council of College of Education for
Human Sciences / Karbala University as a Partial Fulfillment for
The Requirements of Doctorate Degree in Islamic History.

The supervisor:

Prof. Dr. Haider Mohammad Abdullah Al Kerbela'i

2025 A.D.

1447 H.